

أبطال مصر

محمد السباعي

دار النهضة

القاهرة ١٩٢٢

اهداء الكتاب

الى مليكنا المفدى صاحب الجلالة احمد فؤاد الاول خلد
الله ملكه وادام سلطانه

فى عهدك اليمون استروحت مصر نسجات الحرية وذاقت
حلاوة الاستقلال وفى ظل رعايتكم الظليل وفق رجال عاملون
الى خدمة قضية البلاد . وانما بمددك وعونك وفقوا وبحولك
وقوتك اعزموا وصمموا وبهمتكم العالية خاضوا النمار وساوروا
الاخطار . وبعزيمتك الماضية ابتدروا فى سبيل رفعة الاوطان
غاية المجد والفخار . فان كان لهم فى ذلك فضل فمن معين مواهبك
الغزيرة . تترفه ومستاه . ومنك واليك فى كل حال مبتدؤه
ومنهاه .

قاليك يامليك البلاد اتقدم باهداء هذا الكتاب المضمن
كلمات صدق واخلاص عن اولئك الرجال ابطال دولتك - حاملي
رايتك . ومنفذى مسيئتك ولابسي مطارف فضلك ونعمتك .
وانى اضرع الى الله سبحانه وتعالى أن يصون دولتك
وبحوظ سلطانتك وبيعتك لرعايتك المخلصين ذخراً عتيداً . وظلاً
مديداً . وروضاً مريعاً . وكهفاً منيعاً . وان يقر عينك وعيون

المصريين جميعاً بولى عهدك المفدى الامير فاروق كعبة آمالنا
ومطمح امانينا.

ليحى جلالة الملك فؤاد الاول وولى عهده الامير فاروق
ورجال دولته المخلصون .

عبدكم الخاضع
محمد السباعي



حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول
واهب الحرية والاستقلال ومانح الدستور



حضرة صاحب الدولة عدلي يكن باشا
رئيس الوفد الرسمي



حضرة صاحب الدولة حسين رشدي باشا
رئيس لجنة الدستور



حضرة صاحب الدولة عبد الخالق تروت باشا
رئيس اول وزارة مصرية في عهد الاستقلال

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ان عصور النهضات في كل امة لا تزال مملوءة بعظائم
الحوادث مزدانة بعطاء الرجال والحقيقة ان كل حركة او نهضة
تعترى الشعوب الساكنة المطمئنة فتحدث فيها تطورا او انقلابا
انما هي في الحقيقة نوع من الزلزال فلا عجب اذا رأيت هيكل
الامة قد تفجر عما يستكن في جوفه من ملكات ومواهب
وقضائل ومناقب وتفتحت كنوزه فباحت بخفايا بدائنها
وابرزت خبايا ودائنها . وهناك يقذف المنجم ياقوته وعقيانه .
ويلفظ اللج لؤلؤه ومرجانه . وهناك تظهر فحول الرجال . وعطاء
الابطال .

اوانك الفحول والمطاء من جلة رجال الامة يبرزون على
مسرح النهضة فيلعب كل دوره الذي اعدته له الفطرة والطبيعة
وهيأته لتمثيله الظروف والاحوال .

لكل رواية دورها المصيب المسمى في الاصطلاح التمثيلي
ازمة الرواية او « قمتها » حيث يبلغ السيل الربى ويصعد الترمومتر

الى درجة الغليان. ويجلس القدر على منصة الحكم وينصب الميزان .
واذ ذلك تتشوف ابصار وتثرثب اعناق وتتحقق اقتدة وتبهر
انفاس ويلوى القلق والاشفاق اوتار القلوب ويقوم الشعب بين
الخوف والرجاء على سراط الشك المرهف الذليق . الاملس
الزليق . المعلق فوق هاوية التلف والخسار يؤمون لدى نهاية هذا
السراط وادى السعادة والنعيم مسترشدين في مأزق هذه الرحلة
الخطرة المخوفة بكوكب الأمل الدائم الخفق واللعمان .
تلك هي حالنا بالدقة في دورنا الحالى الخطير وان كنا قد
اجتزنا بعد من مناطق هذا السراط اشدها خطر او او عرها مسلكا
ودخلنا فيما نستطيع ان نجعله بفضل الحكمة والحزم منطقة
سلامة وخطوة نجاة .

وبديهى ان مثل هذا الدور العصيب من ادوار رواية الجهاد
الوطنى جدير ان يحرك بعظيم احدائه من نفوس الكتاب مالا
تحركه العصور الخاوية الفارغة وان يثير من خواطرهم بما يبيديه
من ما آرى الرجال ومفاخر الابطال ما ليس تثيره الاوقات الساكنة
الموسنى باشخاصها الصغار العاديين - اجل ان عصر النهضة
خليق بفضل حوادثه وابطاله ان يهز جدران النفوس من ارسنخ
آساسها ويير لجج الارواح من عمق اعماقها حتى تنفم الاذهان

من مزدحم الافكار والمواقف بما يأتي الا التدفق على اسلالت
الالسن والاقلام اعجز اربابه عن حبس طوقانه في أوعية صدورهم
ودفن نيرانه في حنايا ضلوعهم .

وكذلك الكلمة الحارة هي كالدمعة الحارة ان نفنت أراحت
وفرجت . وان كتمت امضت وارمضت . فهي مدفونة في
الجنان - اخبث داء . ومنطلقة من اللسان - انجع دواء . ورب
كلمة خزنت في الضمير فكانت منية صاحبها وآخرين . وكلمة
لفظت فكانت حياة صاحبها ومنجاة ملايين

فبديهي بعد ما تقدم ان اصبح كغيري ممن تصدوا للكتابة
عن عصور النهضات يأبى ضميري إلا نقت ما يجول به ويزدحم
من سوانح الفكر والخواطر عما يبدولى من حوادث هذا العصر
وما أثر رجاله وابطاله .

وسأتوخى في كتابتي ان شاء الله وصف الواقع لا اقل ولا
أكثر ونعت الحقيقة جهد طاقتي محاولا ان اكون في ذلك كالمرآة
المنبسطة تعكس صورة الأشياء كما هي دون ادنى تحوير او تبديل
وليس كالمرآة المحدبة او المقعرة التي تعكس شبح الشيء مفرغا
في قلبها المشوه - وان اجعل من تخيلتي عابزا ومعبرا للحقائق
ليس الا - تدخل من أحد طرفيه وتخرج من الآخر ثابتة على

حالمها لم يخالطها مزاج ولم تشبها شائبة — متحاشيا ان اجعل من
مفكرتي وعاء طيب وغالية تمر به الحقائق فتخرج مضخة بذكي
قشره وعطر اريجيه . ولكني سأجعل من يراعى معزفا تزل عليه
الطبيعة الحان الحقائق خالصة حرة صريحة — لم يتعرض لها من
الانانية فيطبعها بالحان الاغراض ويوقعها على نبرات الحب
والبغضاء والسخط والرضى

والله اسأل ان يجيء هذا السفر غير خال من النفع والفائدة
وأن يجعله وسيلة هداية وارشاد في ظل صاحب العرش الكريم
المخوف بالعبادة والتأييد جلالة ملك مصر والسودان قواد الأول
ادام الله ملكه وسلطانه واغدق على رعاياه المخلصين بره واحسانه
وارتعمهم من جنانه الفسيح في اخصب واد . واطيب منتج
ومستراد . واحلهم من ركنه الوطيد في اسمي ذروة وقمة . وامنع
ملاذوعصمة . ماهبت نسمة . ولاحت نجمة . والله سميع الدعاء
محمد السباعي

الفصل الاول

مشروع كرنن

والمذكرة الاربعة

ليست حياة الأمة الناهضة الساعية الى استقلالها بالحياة
السهلة الهينة ولا مسيرها الى غايتها المجيدة بالزهة الجميلة بين
الحدائق والبساتين في سناروتق الساعات الذهبية وعلى شجا
ترتيل النغمات الشبية . ولكنها حرب طاحنة ضروس وجهاد
شاق في أوعر المسالك وأضيق المآزق . ولا تزال مثل هذه الامة
تنتقل في تاريخ نهضتها من طور الى طور وتتحول عن دور الى
دور و كل أدوارها وأطوارها صعب شديد وان تفاوتت في درجة
الشدة والصعوبة تبعاً لتغير الظروف والأحوال - على انها
لا تلبث ان تصل يوماً ما الى ذلك الدور الذي يصح لنا بحق ان
نسميه عقدة العقد وعقبة العقبات والباب الموصد والغل المحكم
حيث يخيل للمرء انه ليس ثمة من منفذ ولا مخلص ولا مستروح
ولا متنفس . وأن متن الرجاء قد انبت . وظهر السعي قد انبت
وانحسر . وان ملائكة العون والمدد قد رقت أجنحتها وطارت

وان القلم الاعلى قد سجل حكم الشقاء على الأمة في صحيفة الأبد.
مثل هذه الازمة العصبية والساعة السوداء لم تكذب تخلو
منها سير الأمم الناهضة أثناء حركاتها الثورية وقد أصيبت بها
الحركة المصرية الحالية في أول ديسمبر سنة ١٩٢١ وذلك حينما
رمتنا السياسة الانكليزية بمشروع كرزن ومذكرة اللورد النبي
الايضاحية التي شفع بها ذلك المشروع
لقد كانت لتلك المذكرة الايضاحية اسوأ وقع في نفوس
الشعب عامة وآلم أثر في قلوبه وأشد صدمة لآماله ومطامحه
وأدمى طعنة لعزته وكبريائه. ذلك ان الشعب المصري بعدما أتته
دعوة المفاوضة من جانب الحكومة الانكليزية في أجمل شكل
وأحسن صيغة مال الى حسن الظن بتلك الحكومة وقال في
نفسه لا يبعد ان هذه الدولة الجبارة قد اهتمت أخيراً الى ان
أقصد السبل وأتجمع الوسائل الى حل مشكلتنا وتسوية مسألتنا
هي سياسة الصراحة والوضوح والأخذ بمبدأ العدالة والحق بعد
ما تبين لها فشل سياسة الختل والخديعة» وبناء على ذلك فاوضت
مصر انكلترا على اسان وفدها الرسمي الذي كان يرأسه دولة
الرئيس الخطير عدلي يكن باشا. فكيف كانت نتيجة المفاوضات؟
كيف كانت نتيجة ما ادعاه الانكليز من سياسة الصداقة والوداد

والحجبة والمصافاة والعمل على توطيد دعائم السلام ونشر اعلامه ؛
كانت هذه النتيجة هي قطع المفاوضات من جانب وفدنا الرسمى
بما شرفه وشرف الأمة جمعاء . واعلان انكثرتك المذكورة
الايضاحية المبرحة بما لا يتفق مع ما ادعاه القوم من الميل الى
المسالمة والمصافاة والنية على توطيد دعائم السلام ونشر اعلامه -
من مظاهر الاستعباد الذى ليس دونه استعباد وآيات الاستعباد
الذى ليس وراءه استعباد . كانت نتيجة ذلك هي تلك المذكورة
التي صورونا فيها بصورة شنيعة منكرة تبريراً لما أعدوه
لنا من اغلال الرق ونير العبودية حتى قالوا انهم يرون من واجبتهم
حماية عرش سلطاننا وحماية بعضنا من بعضنا كأننا الشعب المصرى
قد بلغ من همجيته وانحطاطه انه صار عدو نفسه وهي امرى
تقيصة يبرأ منها الى الله أشد الأمم همجية وانحطاطاً . كانت
النتيجة انهم لم يكتفوا باعلان ذلك المشروع البغيض حتى كلفونا
ان نرضاه ونقره - بعد ما علموا وعلم العالم اجمع رغباتنا ومطالبنا
واطلعوا على برنامج وفدنا . كانت النتيجة - وذلك أشنع فصولها
وأذكر أركانها - انهم اندرونا وهددونا بتنفيذ مشروعهم على
الكره منا وعلى الرغم من انوفنا بالقسر والقوة .
من أجل ذلك كله نقول ان يوم ٣ ديسمبر الذى أعلنت فيه

والهباب العزائم حتى تندفع في سبيل جهادها الشريف باضعاف
ما بها من قوة وحدة . فلتفتبط الامة باحزانها في سبيل قضيتها
او ليس ذلك الحزن مقياسا لمبلغ ما عندها من شعور واحساس
ومن مقدرة وكفاءة بل من غلبة وظفر وانتصار ؟ الا ان حزن
الامة المجاهدة ما هو الا صورة معكوسة لمقدار ما لها من عزة
وشرف ونبل فلتفتبط الامة المصرية الكريمة باحزانها ولتبتهج
باشجانها ولتجعلها مصدر همة وعزم ومضاء .

ولتوقن ان هذا الاستعباد الانكليزي انما هو ابطولة
واكذوبة وكل اكذوبة فالى الزوال مصيرها مهما امتدت بها
العصور وتراخت بها الارمان . بذلك قضت نواميس الطبيعة
وحكمة هذا النظام المقدس فانه لا دوام للباطل . بل ان الحق ذاته
لا يدوم على صورة واحدة ولا بد له ان يغير صورته ويبدل شكله
وصيغته من آن الى آن حيث يخلق خلقا ثانيا ويولد من جديد
اما الاكاذيب - وعلى الاخص اكذوبة استعباد الامم والافراد
التي خلقها الله حرة طليقة - فلقد - جل عليها حكم الاعدام منذ
الازل في صحيفة الاعداد - فهي تسير بطيئا او سريعا الى ساعتها
المحدودة - الى حينها المحتوم . وحتفها المحموم . والسرف في ذلك ان
هذه الحياة لا يمكن ان تقوم على اساس الباطل - وهذا الانسان

(لذي هو صورة الله في الارض - مما شابت قداسة روحه
شوائب الخبائث والدناءات) لا يمكن ان يقوم على اساس من
الكذب والضلال . ولكن السياسة - تنفيذ لما ربه الانانية
واغراضها الاستعمارية تجهان ذلك او تتجاهله . وليس بتافها هذا
الجهل او التجاهل ازاء ناموس الطبيعة العادلة وسنة الله الحكيمة .
واستبدادها العقيم مقضى عليه بالفشل محكوم عليه بالفناء مهما
طال اجله وتراخت مدته

لقد ينخيل الى زمرة الساسة والاستعماريين ان استمرار
سياسة الظلم والجور في ارض الله بلا قاع ولا مبيد وتمادي دولة
الاستبداد والاستعباد دون ان يصدر وينفذ عليها ما تستحقه
من حكم العدالة الالهية دليل على خلو هذا العالم الارضى من
قانون العدل والانصاف . ولكنهم في ذلك مخطئون غافلون
فان حكم العدالة الالهية في هذه الحياة الدنيا قد يؤثر اليوم
واليومين بل القرن والقرنين ولكنه حقيقة مؤكدة لا ريب فيها
ولا مناص منها - حقيقة محتومة كالحياة نفسها وكالموت ذاته .
ولا جرم فانك ان انعمت النظر في زوبعة الحياة الدنيا - تلك الزوبعة
المضطربة العاصفة الهوجاء البادية لعينك كأنها كلها هرج ومرج
وتشويش واختلاط - وجدت انه في اعماق اعماقها يستقر وينطق

آله منصف عادل - والنهيت ان روح هذه الدنيا انما هي الحق
والعدالة ، فهذه الحقيقة الهائلة التي ما برحت منذ كان الانسان -
تبدو اعينه ناصعة باهرة سواء كان مسلما او كاتيا او يوثيا او
وثنيا - وسواء سكن قصور باريز او غابات امريكا او زده هيرير
القطب او سفير الاستواء - هذه الحقيقة الهائلة اذا جهلها الساسة
فقد جهلوا كل شئ وقد باعد الله بينهم وبين النجاح كما باعد بين
الارض والسماء . واني لهم بانجاح وقد ظلوا يناوئون ويمادون
ناموس الطبيعة وروح الوجود . ويكافون الكون اجمع في معركة
ان يخرجوا منها الا متقلين بافدح اعباء الهزيمة والخسران
الا ان في كل شئ خيراً . وقد كان للامة المصرية في تلك
الذكرة الايضاحية خير وان بدا متلفعا برداء وهاج من طيب
الأم وضرار الحزن المتسعر . لقد كانت الامة أصيبت من قبل
ذلك بشر ما يصيب لأم الناهضة المجاهدة من العطل والأدواء -
أعنى بداء الانقسام والتحزب وكان ذلك الداء الخيـاث قد فشا في
جسدها ونقض من أسباب ائتلافها وتماسكها وفصم من عرى
اتحادها وتضارفها وهدد كيـانها بالهدم والانحلال وكاد يمسيها في
صميم نفسها ويذهب بما قد ملأ قلبها من روح الوطنية لعالية
والتضحية الشريفة ؛ هو الا ان اطمتها السياسة الانكليزية تلك

اللطمة القامية . وطعتها تلك الطعنة الدامية حتى أفقت من
سكرتها . وهبت من رقدتها . ونفضت عن اعطافها غبار الفتور
الذي كان جلالها به ريح الشقاق والنزاع كما ينفض الأسد المصور
غبار الكسل عن لبدته ثم تحركت ونشطت كأنما قد افعم قلوب
ملايينها العديدة روح واحدة لا تقبل الاقسام والتجزئة .
واعلنت بلسان واحد وبصوت واحد يعلو الفضاء الرحب ويهتز
هيكل الأرض من اعلى جذورها ودعائها ويصدع اديم السماء
« انها حية يقظة متحفزة ناهضة »

أجابت مصر على الذاكرة الايضاحية بذلك الجواب المفعم
الحاسم — اعني بما كانت أعلنته قبل ذلك على لسان جماعة
الكوئنتتال حين شعرت بمأصمره لها الانكليز من الشر وسوء
النية — أجابت بذلك القرار الذي كان الموحى به في الحقيقة هو
روح مصر المنبثة في فضاؤها . الطائفة في جوها المرفوفة على
مضاجع أهلها وعلى سوامرهم وانديتهم الحائمة على مهود أطفالها
واكنان عمازها وشيوخها — على الاجنة في بطون امهاتها وعلى
الأموات في بطون اجدادها — الحدية العظوف على أمانيتها وآمالها
الحذرة الفلقة المشفقة على ماضيها ومستقبلها .

بهذا الجواب المفعم الحاسم أجابت مصر انكترا بلسان

واحد وصوت واحد - علت من نبراته صيحة الانسانية لتألمة .
وتأججت في هزاته جمره الوطنية المحتدمة . وما أعظم صوت
الأمم والشعوب وما أقواه وما أقهر سلطانه وما أشد وقمه ؛ .
لم تر الى صرخة الشعب الواجد الفضبان كيف تصم أذن الظالم
وتقرع حبة فؤاده بل كيف تكاد تشل خالجات روحه . وتكاد
تحرق زهرة الحياة في مغارس نفسه ووجدانه

قال توماس كارليل في كتابه « الثورة الفرنسية » « ما اجل
صوت الجماعات وما اخطره ؛ صوت غرائم التي هي اصديق
من خواطرم وافكارهم . اما ان هذا الصوت لأجل واخطر
ما يصادفه الانسان بين تلك الاصوات والاشباح التي يتكون
منها هذا العالم الزمنى . فكل من يجزأ على مناقضة هذا الصوت
ومقاومته فقد خرج بنفسه عن دائرة الزمان وعن حدود
نواميسه وشرائعه »

اعلنت الامة المقاطعة واعلنت وجوب الاضراب عن
تأليف الوزارة تأييداً لمبدأ عدم الاشتراك مع الانكليز في حكم
البلاد ودارة شؤونها . اذ كان في ذلك الاشتراك دليل على
الرضا بيسومنا الانكليز من خطة الذل والخسف والهوان .
أعانت ذلك الامة المصرية وتمسكت به أشد تمسك ولم تسمح

لنفسها فيه بهوادة ولا لين ولا تساهل وحصنت نفسها بامنع
دروع الاصرار والتصميم والاباء والمعاندة وتمسكت انكترا من
الجهة الاخرى بخطتها اشد تمسكوا ظهرت ان مشروعها الاخير
هو القضاء الفصل والحكم التهاى الذى لا يقبل تغييرا ولا تبديلا
ولا تقضا ولا ابراما . وكذلك انفرجت مسافة الخلاف بين
الطرفين واستحكمت حلقاته وبلغت المشادة والمعاندة اقصاها
واظلم ما بين الامتين وجف بينهما الثرى وعظم الخطب واستفحل
الداء .

وهنا دخلت الامة المصرية فى اصعب ادوار حركتها الجهادية
واشد ازوماتها واقطع ساعاتها - ذلك الدور الذى سميناه فى بدء
كلامنا عقدة المقدم وعقبة العقبات والباب الموصد والغل المحكم
حيث خيل للمرء انه ليس ثمت من منفذ ولا مخلص وان متن
الرجاء قد انبت وظهر السعى قد انحسر . وان ملائكة العون
والمدد قد رنقت اجنحتها وطارت وقد سجل على الامة الكريمة
حكم الشقاء فى صحيفة الابد .

هنا جاء على الامة المصرية شنع ادوار حركتها الجهادية
واسود الافق وحجبت نور السماء سحاب النحاس فاذا نصنع؛

وكيف تواجه هذا الكارث ، وكيف نعد العدد ونجهز آلات
الدفاع ونشحن سلاح الهجوم . وأي عدد لدينا وأي آلات وأي
أسلحة ؛ دروع الصبر والجلد وسلاح السكينة وعدة الأمل
والرجاء . ونم الدروع والآلات والأسلحة (لا أقول ذلك هازئاً
ولا ساخرأ معاذ الله وقد أوضحت آنفاً ان استبداد الظالم
اكذوبة وانه كسائر الأكاذيب مقضي عليه بالفشل محكوم عليه
بالاعدام في النهاية وان صوت الأمة المظلومة أقوى صوت في
العالم وان ما آكل الحق ان يتغلب على الباطل وان الأمل ميراث
الانسان وذخيرته وان الدنيا اسمها دار الأمل) . أجل لا أقول
ذلك هازئاً ولا ساخرأ وانكني أقول ان هذه الأسلحة السلبية
ان احرزت النصر والظفر لم يجيء ذلك الا بطيئاً . وليس النصر
البطيء بأحسن أنواع النصر . وایس الفرح بالمتاع الآجل البعيد
الذي قد لا تمي نفسك بأن تراه لا أنت ولا أعقابك ولا أعقاب
أعقابك كالفرح بالمتاع الذي يزف اليك عاجلاً تلبس جميل زينته .
وترشف عذب ريقته .

أقول لا مشاحة في ان ذلك الدور كان أشنع أدهار قضيتنا
وتلك الساعة كانت أسود ساعات حركتنا . وحق لنا إذ ذاك ان
نحار ونهت وان نأسي ونحزن . وحق لنا ان ندور بأعيننا بين

لأبناء أمتنا المجيدة فنفتش في نخبة رجالها وصفوة أبطالها عن
رجل نرمي به هذا الحادث الجسيم . وتنب عن بطل نصدم به
هذا الكارث العظيم

ان الطبيعة التي تخلق أدواء المجتمع الانساني وعلاؤه تخلق
أيضاً أدوية هذه العلل والأدواء . والطبيعة التي توجد آفات الحياة
الانسانية توجد أيضاً وسائل ابادة هذه الآفات . وذلك لأن
الطبيعة أسسها المعدل وروحها النظام وغايتها الصلاح والنمو
الحسن والرفي . فان هي خلقت الادواء والعلل والآفات فلم
تقصد بذلك الى الفساد والخراب ولا الى الفشل والفوضى (وان
ظهرت تلك العلل والآفات في دورها الاول بمظهر الفساد
والفوضى) ولكنها تقصد الى الصلاح والنظام والرفي في النهاية
وانما هذه الدال والآفات - مع ضررها المؤقت وشرها الزائل -
عمليات ضرورية لا بد للمجتمع من اجتيازها في طريق نموه ورفيه
- هلا نظرت الى أوراق الشجر وأجزاء النبات حين تعصف
بها الرياح الموح فتسقط وتذبل ثم تعفن وتبلى وتنحل فيخيل
اليك انها فسدت وماتت ولا موت ولا فساد في الطبيعة ولكن
هذا الذي يخيل اليك بلى وفساداً انما هو عملية انتقل من حال
الى أحسن منها فلا تلبث هذه المواد النباتية ان تستعيد حياتها

وتجدد بهجتها وقد تستحيل بعد عدة من هذه العمليات الأليمة
المحزنة في ظاهرها الى صنف أجود وأحسن - سنة التحسن
والتقدم وقانون النشوء والارتقاء الذي هو روح الطبيعة وعملها
وغايتها .

قول ان الطبيعة التي تخلق أدواء المجتمع تخلق أيضاً أدوية
هذه الادواء . والطبيعة التي توجد آفات الانسانية توجد أيضاً
مهلكات هذه الآفات . واذا اشتد الجذب صاب الغيث واذا
أربد النسيم بدده شعاع الشمس . واذا تكاثرت المصائب على
أشخاص مأساة الابرياء فوق المسرح وتكاثفت الارزاء وأخذ
الموت بانكظم وبنفت الروح التراقى - ظهر على المسرح من
حيث لا يرجي ولا ينتظر بطل الرواية فغير مجرى الحوادث
وحول منهج الكوارث فجلى دجى الخطب وأشرق على لا يربد
بنور الصفو واخبر والسعادة .

وكذبت ف ادهمت مأساة السياسة على مسرح الحياة
المصرية واتمت هذه المأساة بفضل المذكرة الايضاحية الى زمة
الازمات وعقدة العقد كما أسافت، وعظم الكرب واستفحل . -
- ظهر على مسرح لا يادة الشقاء واسداء تخير واصداء جعل
الروبة لمصرية الحالية - عبد الخالق ثروت باش

ان العناية الأزلية لما بصرت بتناهي البلاء في ههنا البلد
الأمين وبلوغ الشقاء والكرب أتصاه نثرت كنتاجها بين يديها
ثم فاشت عيدياتها فوجدت ثروت أمرها عوداً وأصلها معجماً
فرمت به الحادث الجلل والمحنة النكراء .

أى ثروت ! أيها الرجل القوي التين ! ماذا امامك من العقد
والمشاكل والازمات والمعضلات ! أمة مظلومة مهضومة واجدة
على الظلمة غضبي على جوررة يتأجج صدرها بركانا ويتقد في
أخاظها لهيب ما انضوت عليه الجوانح من نار الحق المكتومة
وتقذف السماء بصيحات احتجاجها على الجبارة وبصرخات تمتمها .
أمة تخنم في أفئدتها عوامل الهياج . وتفرخ في نفوسها جرثيم
ثقتنة ويبعب عيب غيظ . ويزخر تيار غضبها ونجيش أعماق
روحها بدوافع الثورة - امامك خضم زاخر يتذر مسامعت من
اعماقه نشيش غليان الضغيان . وازيز فوران الطوفان . - امامك
في افق البلاد المظلم لمربد آيت العاصفة وامارات الزويمة يتذر
مسامعتك من لدها دوى قصفها مخوفاً رهوباً . وامامت من
أجهة الأخرى الدوة القوية المخيمة على ارجاء المعمور المسكة
بأطراف الماء المائنة الأرض بمدافعها والبحر بأساطيلها والجو
بمناظيدها - جبارة متكبرة طاغية مصرعة على تنفيذ ارادتها ضد

أوامر العاطفة والانسانية ونواميس الحق والعدالة وعلى الرغم
من الأفضية والاقدار . مصممة أبادة مطرقة كالافعوان والحية
الرقشاء لا تؤثر فيها الري والتعاويد - قاسية جامدة عماء كالقدر
أو كئوت !

وفوق هذا وذلك امامك من أمتك الفئة ذت الالهواء
ولاغراض الذين لا يريدونك ولا يحبون ان يكون على يدك
انخرج الازمة وحل لمعضلة وزوال النعمة وحلوا النعمة -
الباذلون أقصى الجهد في العمل على تنحيك عن مواطن المجد
وموقف الذخار .

في روت أيها الرجل الجلد المكين ! ما أخرج مركزك
وأصعب موقفك ! فبحقك ماذا أنت صانع وسط هذه العوامل
المتزعة والقوى المتدافعة والعناصر المتكافئة المتضاربة ! وأنت
دائم بين منمرداً ، حيداً كالجيل لباذخ تعصف بزوابع الهوجاء -
حول هدمته الأشياء فلا تحرك من سكينتها ولا تستخف من
رزانتها وتثور الزلازل حول أسسه فلا ترزعزع من ثباته - وقد
سمت ثمة أعياء فوق سحب الالهواء ولاغراض وضباب
احز زات الشخصية ولاحن الانانية وواجهت شمس الحقيقة
الساطعة والنزاهة الخائفة .

تقدم ثروت باشا الى أمته فصرح لها انه لن يقبل الوزارة
حتى تجاب له شروط فيها رضى الأمة ووفاء بأقصى ما يصح ان
تطامع اليه في هذا الدور من قضيتها : تلك الشروط هي إلغاء
الحمية واعلان الاستقلال التام وتأسيس برلمان تكون حكومة
البلاد مسؤولة امامه وحصر مشاكل الخلاف بين الأمتين في
أربع نقاط يتولى تسويتها البرلمان المصرى بعد انشائه مع الحكومة
البريطانية . وزاء هذه الحقوق المستردة لا تعطى مصر انكلترا
ادنى شيء ولا تنقيد لها بشرط ما

تقدم ثروت باشا الى الحكومة الانكليزية بهذه الشروط
العظيمة وشدد كل التشدد في طلبها وأكد لها انه لن يتنازل
البتة عن شيء منها وانه لن يتولى الوزارة الا بعد احبة شروطه
هذه بحذو غيرها

كيف تقبل هذه الشروط الجسيمة وتجب هذه المصائب
العظيمة وترضخ لهذا الحكم المهائل انكلترا سيدة "بحار وأفوى
دول العالم" وأين ذهبت جيوشها وأساطيلها وسبعونها الباسط
جناحيه على المشرق والمغرب ؟ بل اين ذهب كبريؤها وجبروتها
وشرها الاستعماري ؟

تصعبت انكلترا في أول الامر كما هو المنتظر وتمتعت . وفي

ذلك المشقة العظمى والصعوبة الكبرى :

وأما مصرف فلم تكذب تصدق نبأ هذه الشروط والمطالب
وحسبته حتماً من الاحلام اعتقاداً منها أنه يكاد ان يكون من
المستحيالات قبول انكثرا مثل هذه الشرط الجسيمة . (لقد كان
الوفد المصرى من قبل ذلك لا يطمع فى اكثر من ان تعطيه
الحكومة الانكليزية قبل دخوله معها فى المفاوضات مجرد وعد
بالتاد الحماية اثناء التفاوض) ولا تنس اولى الاغراض والاهواء
والاحن والحزرت ندين مع فرض استمضامهم هذه الشروط
واعتيارها كالا حلام أخذوا يرجفون بأن الامر ليس بالجد وانما
الاعيب سياسية يقصدون بذلك فى ترويض سوء الضن بدولة الوزير
الجليل ويننون فى لامة من روح انتشاؤم ما يثبط الهمم ويفل العزائم .
بين هذه العوامل متنزعة والقوى المتدافعة والعناصر
المتكاثرة متضاربة . - فى ارحس كتمؤ صبيح يكذب ويعمل
مضء فى تؤدة منصات فى .ة صرما فى رفق جريثا فى حزم -
والامة المصرية و لامة الانكليزية واوروپا والعالم أجمع ينظر اليه
نظرة اعجاب وكبر ويشرب لاسنطراع نتيجة عمله العظيم
واستكشاف غية شوره خضير وشوه الزائع - كأنهم يرمقون
عطارداً أو نسترى نباء سيرته لشرقة الرهرة . ودورته

للتألق الباهرة .

وقف العالم ينظر الى ثروت باشا أثناء تلك الفترة الحرجة
العصيبة - تلك الفترة التي باتت تتمخض السياسة اثناءها عن
ميلاد مستقبل امة - لا يعلم ايجىء موفوراً نضجاً تاماً ممتوراً
منقوصاً متوهاً ام ما هو شر من هذا - يولد ميباً .

وقف العالم ينظر الى هذا المخاض السياسي الهائل برقب
نتيجته بقلوب خافقة حتى كاد يخيل لى مرء من الريح ولأعصير
ذاتها قد حبست انفاسها والافلاك شأوها وأن رهن نفسه وقف
مهوتاً يتأمل .

أرك أيها اوزير خطير في بحر السياسة البعيد الغور
العسوف اموج العسوف لاعصير والابوء لسر سفينة نوطانية
تأنكب بها مكامن الصجور وامالك وتنتجى بها مسدب لاهن
والسلامة تدير دفتها بيد مباركة ميمونة رائدها انوفيق والنجاح
تكنم في ساريرها اسرار الحدق والمهارة تؤم بسفينة انفسية
سه حل الفوز والنجة

وأراك في يدهء تسبسة المخوفة تقود الشعب الكريم
خارجاً به من يرعبودية الجبيرة مجتازاً به تيه الاضاليل السياسية
تؤم بالغاولة افق الاستقلال وفضاء الحرية ارحيب .

أوراق المجلات وطبول الجرائد؛ إلا أن أمة تخلو من أمثال هؤلاء
أو يقل منهم، نصيبهم الخليفة أن تختل حالها ويسوء ما لها. ويكون
متابها كمثل غابة خات من الجذور والأصول واستحالت كلها ورقاً
وفروعاً. فهي لا تلبث أن تدبل وتموت. لنا الويل والنكل إن كان
كل عبادنا وذخيرتنا هو ما لدينا من الكلام والطائفة والأشياء
التي نعرضها على الملائ ونرفعها لأعين المتفرجين والنظار. ألا فقدس
الله عام الصمت؛ إنه لاسمى مقاماً من الكواكب وأعرق غوراً
من عالم الموت وإياه وحده هو النبيل والعظيم والجليل - وكل
ما عداه حقير صايل تافه؛ فلتلزم أمتنا فضيلة الصمت ولتعتصم بها.
واتدع غيرها من الأمم المروامة بالجلبة والضوضاء وحج التظاهر
تصيح في كل موقف وتملأ الدنيا صياحاً بكل صغيرة وكبيرة من
شؤونها وتحمل بلادها مسرحاً ترقص عليه وتلاعب على مرأى وسمع
من المتفرجين والمظرفة - فأنه - هـ - الأم المتضاهرة الصحابة
ستصبح عاجلاً وجلالاً لا جوار ولا أصول - ما لها
لذبول والموت. لأنها أقدم أصمت - هـ - ستمد من ملكوت
السماء؛ فترى بدوحة اعضيت في أمة تحده ووابت ابت
عام تنمو في أتم صمت، سكينته تتر سمع صوته لا تسمع
ذلك إلا حين يحين خدب في رية أتم عام عامه يقطعها

حينئذ تسمعك الدوحة صوتها . حينئذ تعلن الدوحة عن نفسها
بتلك الصرخة الشديدة - صرخة الفناء والموت - صوت انصداعها
وانقصامها . فهل أسمعك الدوحة صوتها ساعة البذر والغرس
المبارك حين نثرت بذرتها من حذور بعض الرياح الميمومة . هل
أسمعك صوتها ساعة أكنست حال الورق النضر ووشى الزهر
المفوف (وما كان أمتعها ساعة وأملأها بالافراح والمسار) .
كلام لم تسمعك الدوحة صوتها في تلك الاوقات الهنيئة وقد تبس
بجرف واحد اعلا ، هذه الحوادث المفردة . فلما أسمعك صوتها
ساعة المصاب والفجيعة - ساعة الموت والفناء .

وهكذا رأينا روت وسط الزوامة السياسية يكدي ويعمل
في أتم سكينة وصمت لاثريرة ولا فحار ولا دعوى ولا انخاسة
للوقت الثمين في انجادلات العقيمة الجدة وخوض النظرية
الخيالية المستحيلة ولا في التمشقة الهدرة والاحاجة طاعة
والكنه وقف مجوداه المطبوعة على كد كدب وحمر هموم
جسيمة في حال تتوصل وبإر ك الله في لاعماله حراً وأعظم
من لأقرب . لا تب لا تمل - ببودة بانروح حافه . حياة حياشة
بمادتها تغزيرة برخرة . لا تب لا تمل . حياة باعيفة السمتة التي هي
رغب مصتها حقيقة معدرة . وفوق حاضرة خيرة حنة هارح

والفوائد . والاعمال تزكو وتنمو كالشجر المبارك الثمار وهي تعمر
فراغ الوقت وتملأ فضاء الزمان وتكسوه خضرة ونضرة
ثروت باشالاعمال بطبعه الى الجدل والثروة ولا الى المباحة
والمفاخرة ولا الى الاعلان عن كفاءته ومواهبه . فاذا كان دور
الكلام والاسترسال في ميادين النظريات المستحيله والمشروعات
الخيالية والمباحة بأساليب المنطق الاجوف الفارغ المؤدى الى غير
نتيجة وبتفويق سهامه الطائشة التي قصاراها أن تزل من فوق
سطوح الحقائق المتينة القاسية دون أن تصيب أكبادها . وتزاق
من فوق أديم الحقائق الخسنة الجافية دون أن تنفذ الى صميمها .
فتسقط تلك السهام متعززة خائبة عن أجساد الحقائق وتبقى
الحقائق مد ذلك على حالها لم تدال ولا تمتك ولم يقبض على
أزمته . تواجهك . كما كانت من قبل . مرة أليمة قاسية . قد
تمدت بجعب والكنائن دون أن تؤثر فيها مثقال ذرة وكأنما
لم تصنع شيئاً . وكأنني انهيتنا من حيث ابتدأنا . أقول اذ كان هذا
الدور . دور الكلام والخيالات والمستحيلات . رأيت روت باشا
قد اعتزل الميدان لاعتزاله ويأس ولكن تحيناً للفرصة وتحفزاً
لإثباته رضى في مكمنه وخدر في غيابه سمير افكاره وأندس
وحدته

ولكن اذا جاء دور العمل وو'جهتنا الحقيقة المرة الاليمة وتبادر
الرجال لتذليل هذه الحقيقة وفك معضلتها والاخذ بتأصيلها
والقبض على زمامها واستثمارها لمنفعة البلاد وصالح الاوطان -
ورأيت رجس النظريات المستحيلة والمنطق الاجوف يرسلون
سهامه العنائشة على هيكل تلك الحقيقة فتزل من فوق سطحها
وتتراق عن ادبها الاملس الذي كأنه جلدة الافي وكذلك نستمر
افي الحقيقة سائرة في طريقها سائمة مصححة كاهداً ما كانت
وانعم بالا - إذا كان هذا هو قصارى زمرة الخياليين التشدقيين
ذوى المنطق الاجوف - تم جاء دور ثروت بأشارأيت ذلك الرجل
العملي قد هاجم افي الحقيقة وساورها وقبض على ناصيتها واخذ
بكظمها وطلق يعاجها أشد علاج ويصدرعها عنف صراع يبرى
أهواؤها هي شد بأساً و صعب مراساً - يجالدها ويكافحها بقوة
جنانه أعنى بقوة جلده ومثابرة في أمل ورجاء بل في استيئس
وسمانة وصبر لا ينفذ وايدن عميق وذكاء منوقد

كل هذه القوى العفوية والخالقية تبرر من مكانها حينها
يصارع ثروت أشد و غيره من أعضاء رجال العمل (أفعاون
الحقيقة - وفي هذه المعركة وحدها - وعند هذا الصرع فقط -
يتكئش نقيس مقدرة همة زحج ووزن مبلغ كفتهه وقدرته .

العمل وحده عنوان الفضل وآية القدرة ومسبار غور الرجل
ومقياس عمقه . وعلى صحائف الاعمال يوح في سطور من النور
بيانا ما يمكن في صدور الرجل من كنوز الفضل والحكمة
والادب والنهي ومن ذخائر الصبر والجهد والجد والثابرة والحزم
والعزم والاخلاص والامانة وصحة النظر ونفذ البصيرة والحذق
والبراءة - اجل كل مينطوى عاينه لرحل من قوة يلوح متلاثما
في أحرف من النار والنور على صحيفة عمه . أو ليس العمل الجدى
المخلص هو ان يوجه نرحل الضيعة رواقيسها الابدية فيعالجها
ويتارسها يسيرها في سبيل مقصده وأعرضه . وعلى قدر فهمه
لاسررها ومضامته فهو ينه . يكون مبلغ فوزه ونجاحه . وهي
الطبيعة تصدر على نرجا وعلى كنهه حكمه حسب ما تراه من
أساوه في مدجتها ومسيرتها - د نوره في حكمها على الرجل
هذا مبلغ ما وجدت فيه من فضل وكفاءة - هه القدر لا اكثر
ولا قل - هه مبلغ ما فيه من قدرة على فهم سرارى والائتلاف
معى وشرفى وأسير على مذبحى ومرءة شرعى ونواميسى -
وثنى حسب هه كل حده وخيبته وسعادته أو شقوته كما
ترى وتشهد .

سعر فى أشد مات حمدها وصيق مرقه اعقب اعلان

الذكرة الايضاحية) اصبحت بأمر حاجة الى رجل العمل الدائب
والكد الشديد والمجهودات الهائلة لقد جربت من قبل ذلك
الاجب والضوضاء والصياح والصراخ وجرت الشفاشق الهدارة
والجلاجل الطائفة وجربت طواحين الهواء والاعاب النارية التي
تلا اجوطينا ودويا وألهيب وهاجه وشعلا برفقة تساور
السما والامس الجوزاء ثم تسقط راداً وتتبدد هباء - جربت
هنا وذلك فلم يفتيلا ولا نصمير . ون كان اودع تب
الحقيقة الخطيرة وهي ان الكلام في موضع العمل عبث بطل .
و - نزاع والشتمان في مقام التض من ولاحد ضلال مبين وان
الصياح وحده من رهب في ذور - ون الصبح في بحر الخير
بزي - - - - - بيت - رحمة -
يتشع من تحت فدمت وهب من بن بانهت - ونس يؤدى -
ساحا الخفة المديرة ابانتي تومر في ككت وتقع في حوز -
- حيز - - - - - نددت -
فد - - - - - - - - - -
وهذنف - - - - - - - - - -
ر ت عاية يوم ر - - - - -

الحياة المعضل المعقد الذي أنى أن ينحل على الرغم مما صبت على أم رأسه من بارودها المتنافى وقنابلها « الأستراتيجية الأحيائية » تحننت عليها الطبيعة ورق لها فؤادها الكبير وتقدمت لعونها وامدادها . وقالت لها استريحي هنيهة . واختارت لحل اللغز وفك المعضلة رجل العمل والدأب والحزم والعزم والحجى والدهاء . عبد الخالق ثروت .

وكذلك الطبيعة السمحة السخية ما كانت لتضن على الشعب المجاهد بالرجل العظيم عند الحاجة اليه . ولا يزال كلما ارتطمت الامة المجاهدة فى المأزق الضنك والزحلوقة الزل اسرعت الطبيعة الى اسعافها فساقت اليها رجل الساعة وبطل الميدان فلا يلبث ان يقبل عثرتها ويأخذ بيدها ويهديها سواء السبيل . ذلك دأب الطبيعة وديدنا الذى لن تعدل عنه الا اذا كانت قد أرادت بهذا العالم الارضى خراب السريع والدمار العاجل .

ولما اختارت حل اللغز وفك المعضل رجل الجد والعمل ثروت باشا ودفعت به فى جوف الزوبعة كما أوضحنا آنفاً فى وسط العوامل المتزعة والقوى المتدافعة والعناصر المتكافئة المتلاصمة ارتح تلك العقلاء واستبشروا وقالوا « اما والله ما كانت قط زوبعة فوضى فرمى الله فى جوفها بروح النظام ممثلة فى رجل حازم

الا بدأت فيها حركة مباركة نحو ائتلاف العناصر المتنافرة والتوفيق بين القوى المتضاربة واستبقاء النافع واسقاط الضار من الاسباب والموامل - حتى تري الفوضى سائرة الى النظام والثورة الى الهدوء والضجيج الى السكينة وتبصر مكان الجذب والعقم الانتاج والاعمار - فتوقن بحسن المال والماقبة» ولا جرم . فما من فوضى تقيم في وسطها روحا طاية نبيلة الا آلت الى النظام والخير والفلاح بفضل ذلك . هذا وان الطبيعة تحب النظام وتبغض الفوضى ولا تطيقها ولا تحتملها ولا تصبر عليها الا ريثما تهيبها روحا سامية تعالج بها شرها وتزيل خطرها . وهذا الكوكب الارضي النبيل المقدس الذي نعيش فيه ونتقلب معما طال صبره على مروجي الهرج والفوضى فهو في النهاية لا يطيقهم ولا يلبث ان يربح نفسه منهم . وهذا من أشد ضرورات العالم اذ كانت سنته الصلاح والرقى وكانت مادة الخير فيه اكثر من مادة الشر وكان الحق فيه متغلبا على الباطل .

وأى خير في الفوضى الا اذا أصبحت تنجبه نحو النظام وأى بركة في الثورات السياسية لا اذ تولى المصلحون تنظيمها برسم الخطط والبرامج العملية .

أي ثروت! ايها الرجل الحازم ابعبر . فقد نفذت بث "صبيحة

في مضلة السياسة وتيها وفي مجاهلها ومهالكها حيث اشتبهت
للسالك واشكات المناهج وخفيت وجوه الرشاد وخبث مصايح
الهداية فانظر ما انت صانع ؟ وأي السبل تسلك وأي الوجوه
تاتحي ؟ الا فاعلم ان راكب الصعاب وولاج المآزق مثلك اذا
تشعبت في وجهه السبل ووقف ينظر ايها يسلك الى غرضه
الاسمي فاقدم يوجد امامه بلا شك بين هذه السبل منهج واحد
هو اقصدتها وأهدها - منهج يكون سلوكه في ذلك الظرف
وتلك الآونة احق ما يأتيه واصوب ما يصنعه - منهج واحد
اذ ينجح - وكه ضوئ وكه كره كما كان اخازم البصير والاريب
الداهية - كان رجل المكتوم الرجولة النوفق الى ما يرضى
الرجل والذلة مسير لانظمة الضبيعة ونواميسها لانماضه الخفية
فصبيحة - يكون حجب من حجب الرجول ويستف له
مرحى - نبت وفي عمق - يكون بين رائده والنجاح
حبيبته هال انت باء رجل النير ووزير الجبر ستين
ين - حيث في تمه سيرة - وفي تبها -
من - - - - - منهج المويج الابو -
انقصت - - - - -
وطن بمقفة وانغيته مركبة و - - - - - في الحرية

والاستقلال؟ سنرى ذلك قريباً

سنراك وقد قذفت بك الطبيعة وسط زوابع السياسة الهوجاء وعوامها المتنزعة وعناصرها للتكافؤ بما أوتيت من عزم وحزم بين هذه القوى المتعددة الطاغية. وبين هذه النزعات المتضادة المتعادية - ترد شواردها وتكبح جوامحها - آونة بسوط بأسك وسطونك وإكته بأس الحازم المتدبر المتأهف على مصلحة بلاده وسطرة أنصف العدد الحذب على منفعتها - وآونة بكف أينك الغريزي المغروس في طبيعتك . وردة لك الفطرية المركبة في سحيتك . - دأبك ذلك إلى أن تعتو ناك عاصفة السياسة الهوجاء فترتد الفوضى نظاماً . وروبة نسبها الحرب سلاماً . انك وإن كنت تكسب لنا بحكم الظروف والأحوال أن تعمل وسطاً لروبع سيسيئو بورت رمنية - وسطاً ما يصح لنا أن نسميه نوعاً من الفوضى - ذلك تحببك ونحيرت رجل نظام لأرجح فرضي - وأما طبيعة الأعضاء كفة كدهم تجبوا على حب بعضه - بل كما نرى في كونه وكنهات الرجل بعضهم إنهم يترددون في هدمه أو كذا ذلك ما يجب أن يكون شيئاً كبيراً - إن يحمل الصورة لادمية أو من كبر عجز من أنهم بأسلوبيهم خاتمة مؤرد فوضى

الى النظام «؛ أو ليس كل ذى حرفة وصناعة موكل في هذه الدنيا أن يجمع المواد الطبيعية المبعثرة في أنحاء الكون المشتتة في أرجاء الوجود المتباينة جوهر المتنافرة صفات وطبعا فلا يزال يوفق بينها ويؤلف حتى يضم شتاتها ويجمع بددها ويفرغ تفاريقها في قالب محكم بديع عجيب الصنع محدود بالقواعد الهندسية والحسابية؛ كلنا مولودون بفطرتنا اعداء للفوضى عشاقا للنظام - هذه مزية البشر عموماً وهي في الرجل العظيم اضعاف اضعافها في الرجل العادى .

النظام يقتضى الشدة ويتطلب الصرامة احياناً - وهذا بلا شك نوع من الحذر والاشفاق على المصلحة العامة - وفي هذه الظروف الضرورية يصبح اسم « الشدة والصرامة » غير منطبق تمام الانطباق على المعنى الحقيقي لما يتبعه الرجل الحازم من خطئه لصرمة الشديدة التى يكون أحق بها وأولى وأقرب إلى معناها الحقيقى أن تسمى « رقة معكوسة » و « عظاماً مقلوباً » اذ كان باعثها الحقيقى هو العطف والرقه . والحنان والشفقة وكما أن الطبيعة تنجز اعمالها وتنتج نتائجها آناً بالنسيم اللطيف وآونةً بالاعصار العنيف وتارة بالجدول السلسل وأخرى بسيل الجرف فكذلك الرجل الصالح الذى هو شعبة من الطبيعة وفلاذة من.

كبدها يحدث آثاره النافعة ومآثره الجليلة باللين تارة وبالشدة
أخرى كالطيب الحاذق يداوي بالمسل وبالصاب وربما أزال السم
بالسم وشفى الداء بالداء .

نقول لما عضل على الأمة المصرية لغز السياسة المعقد وامتص
حله ولم تفلح فيه سهام المنطق الاجوف وزخارف الآمال واخاديع
الاماني ولم توفق الى حله طمحات الاوهام وسبحات الخيال
والاستناد على النظريات المستحيلة والاحتجاج بالاقتراضات الوهمية
معززة بقذائف « الهتاف » والقنابل « الاسقاطية الاحيائية »
تقدم إلى معالجة هذا اللغز العضل العويص رجل الحقيقة والجد
والعمل عبد الخالق ثروت . ووقفت مصر وانكثرت العالم أجمع
ينظر إليه نظرة العجب والدهشة ليرى ما هو صانع ازاء ذلك
المشكل العضل .

وقف رجل العمل والذكاء والدهاء امام ذلك اللغز المخوف
وكأننا بذلك اللغز يخاطب الرجل العظيم قائلاً له « أتفقه معنى هذه
الساعة العصبية ؟ أتفهم لغز الحياة في هذه العقبة الكؤود ووقوف
الخرج ؟ أن الآهة تواجهك بسؤال معجز وتغز معضل فهل
عندك جوابه وهل لديك حله . »

قل توماس كاريل في كتابه الماضي وحاضر التمدد في

أساطير الاواين ان جنية كانت تربض على فارة الطريق للمارة
تواجه كل عار باحجيتها الصعبة وانزها العويص إذا استطاع حله
مرساناً مناً في سربه ولا هلكته وأوردته حنقه . ويزعمون
أن هذه جنية كان لها وجه حورية حسناء وصدرها الناهد
وأعطافها اللينة . ولكن بدنها الغض الرشيق ينهي بمحيزة ابوة
ضارية ونجاب سبعة عادية .

و كذلك الحياة هي كتلك الجنية لافرق ولا خلاف -
فالحياة تواجهك بجبال حورية وحسنا الفردوسي الذي معناه
النظام "بديع" والحكمة العالمة و خضوع لقانون العقل الأزلي
السرمدى ولكن فيها مع ذل - عنفاً وطغياناً وظلمة هلاك -
أحق أن تسمى هت جهنمية . وهذه الحياة أو الضيعة لا تزال -
كتلك الجنية - تأتي على كل انسان بمر سبيلها لصوت رقيق
رخيم همس سؤر خور رعب - أنهم منى ٥ - يزدادى
ت غيه تسه مخرى معه الساسة تدرى أى مشكاة تراحمك
وكيف تحاها ون سبب لست فى ذلك °

حس الحياة والضمة أو بوحود والتقدر - كيف
سميت همد حديتة همدى لا استطاع لسمتها - ون مرس
فى وسطها ونحوه - هي حورية فردوسية ودروسى ووية ودرنج

وغنيمة للاربيب اللبيب والذي الالعى الذى يستطيع أن يتفهم
أسرارها ويحل لغزها ويتبع قوائنها ويصدق بأوامرها. وهي
جنية فتاكه وشيطانة مهلكة من لا يفعل كذلك ولا يستطيعه .
عاقبهم اسرارها وحل لغزها تسلم وتفهم .

أما إذا تعن بذلك ولم تأبه له ومضيت فى سبيلك دون أن
تحل ذلك اللغز وتحيب ذلك السؤال فستجابه لك حنية الحياة
ونسيطة الطبيعة - ستجابه بك تهمها الخبيث من تزا وأنما ،
احادة سم من تصادف فيه . سوى بيرة سناربه وسبعة عاديه وحية
رقشا . أباءه حماه لا سمع دعاك ولا ترق اشكوك . ولا بلين
لرقك .

تقدم رجل الحقيقة واخذراه ان ترقمة حبهبه وسكن
انه ضال بعدد اعجزهن خيالات والاهمه رجب اعجز
وانستحيل - وقف روت بش على ذرعة السبيل ووجده
تيمه سياسة لغزه ، اعويص ربه بنه ربح ر خوب -
فبس هو محبى - ومصيب - هل ش بعرضه ربه رده
لحبابه ريبه روم - من نظرة ربه و تسامة لارياح -
الى منهج التوفيق وسين نجح - سنير ذب قريبه نرى ربح
بمن سهر خيالات ووهام ولا متعمداً تير خور ر

والمستحيلات ولكن رجل الحقيقة والواقع - رجل الممكن
والجائز - رجل الغريزة الصادقة والبديهة الحافلة والبصيرة النافذة
رجلا يسلط شعاع عينه الثاقبة على المشكل والمعضل فيبدد عنه
ظلمات الشكوك وغيوم الريب والشبهات كما تسلط العدسة
البلورية طائفة الأشعة على الأشباح فتجلوها في أسطح مظهر
من الوضوح والبيان - رجلا ينفذ بنور بصيرته إلى اكناه الأمور
وجواهر الأشياء واكباد الحقائق حتى يقهرها ويمتلكها آخذاً
بنواصيها قابضاً على أعنتها - وذلك بفضل مافاق به غيره من
رجاحة العقل وصدق العزيمة وقوة الروح - ذلك رجل لا ينظر
إلى الدنيا ومشكلاتها بمنظار النظريات والقياسات ولكن بعين
مجردة نافذة البصر ساطعة الشعاع ككشافة السموات - رجل
الاخلاص العميق والغيرة الماتبهة والقاب الذكي المتأجج . والروح
الحى المتوهج .

سنرى رجلا مطويماً على غريزة الاهتداء إلى سر الحقيقة
وجوهرها أينما كان - رجلا قد ثبت قدمه على أساس الحقيقة
توصيه ^برأسخ - رجلا يستضئ أن يتبين بصادق نظره ونافذ
بصره من خلال التعاقيد والارتباكات إباب الشيء وجوهره
فيعمد نحوه ذلك ويسدد إليه خطوته . فقد روي عن نابليون

الأول انه لما كان أمين قصره يعرض عليه يوماً ما استجده في
القصر من فرش وأثاث وقد جعل هذا الأمين يطرى هذه
الأمثلة والأدوات ويثني على صناعتها ويقول انها قد جئت إلى
جودة الصنف ونفاسته رخص القيمة وقلة النفقة ابث نابليون
أثناء تلك الأقوال المسهبة والخطب المستفيضة صامتاً لا ينبس
بمخرف واحد . ولكنه بعد نهاية هذا الكلام المطول أمر أمين
القصر أن يجيئه بمقص ثم عمدي في هدبة ذهبية من هداب إحدى
الستائر فقصها وطواها في جيبه وانصرف . وبعد مضي أيام قلائل
أبرز الهداية من جيبه في الفرصة المناسبة فعرضها على منجد
القصر الذي كان صنعها فارتع ذلك الصانع التمس وأرعدت فرائضه :
لقد كانت تلك الهداية منسوشة - لم تكن ذهباً كما زعموا ولكن
صفيحاً ! هذه النادرة على تفهتها تبين ماهية صبيحة الرجل وعنصر
خلقه - تبين أنه رجل عمل لا كلام وبن غريزة نفسه الصادقة تدفع
به إلى كبد الحقيقة مباشرة ضارباً صفحاً عما يحيط بها وبمحجها
من الأقوال والأراجيف ومن الشكوك والشبهات . كنت
كان نابليون لأولئك وكان غيره من رجال الحقيقة والجد
والعمل - وكذلك نرى عبد خاق ثروت .

هذا الرجل العظيم - ثروت باشا - يعرف بغريزة الصدقة

كنه ما يحيط به من الظروف والأحوال وماهية الأسباب
والوسائل التي يستخدمها ويتذرع بها إلى بلوغ غرضه ويعرف
كذلك درجة قوته ومبلغ قدرته وأين تقعان من غايته وبغيته -
يعرف النسبة بين كفاءته وبين ما يكتنفه من الظروف
وما يستعمله من الوسائل . وهذا لا يتأتى بانظر السطحي ولا
باللمحات المتقطعة ولكن بعرفن من نور البصيرة بغير الأمر
المبهم من جميع جوانبه وأركانه - بفننل العين الثاقبة والدهن
المنوقد . وكذلك على مقدار فهم الرجل لحقيقة الموقف يكون
حسب كنهته ولا هـ فإن هـ استطاع أن يجع استت و يؤلف
اسورد وينسب في حيطه لشوس روح النطاء والناسيق -
هـ استطاع زحل أن يقول في غياهب الشك وظلمات التشبه
أبكن نرد فيكون النور هـ هل استطاع أن يخاق من عالم
نسيم و نرسى د . منضه هـ هـ ستكون قدرته على ذلك
بحسب هـ يحتويه قبه من النور والضياء . وسنرى قريباً مبلغ
نصيب وزير الخيل من هذه البرقة العظمى - ميزة الملائكة

د . م . ر . د . هـ في فؤاد ذلك لرحمن لأبي -
عبد حقي ر . هـ - م . ر . م . هـ م . هـ من خلال النبل

والكرم والهمة والروءة والوطنية الملتهبة وخصال الصبر والجلد
والحلم والرفق والتسامح .

الأفقدس الله نور القرب وضياءه ؛ - أليس ذلك هو الذي
يجلوك ما يستمكن في ضائر الأشياء من روح النظام والائتلاف -
اليس ذلك هو الذي يوضح لك مغازي الضيعة ومقاصدها وما قد
تخفيه تحت قشورها خلسة ومظاهرها الكريمة من المعاني
الموسيقية (انه ليس من - كثن في هنا - يوجد لا يستمكن
في أعماق جوفه ، معنى موسيقى أى روح نصائيه يكون قوم
ومسايكه وعماده وملايكه . وغيره لا يمشك ولا يكون) فهو
القاب أو الامين الثاقبة في علماء الرسل عامة وفي ثروت شخصه
هي أى تديه في روءة أليه - - - - -
موادني الخير والمنفعة وأصبح شيسه - - - - -
ومن اللرجلوا ومن السمج دريهما كمن سئوى قريه .
لحم تقدمت أياها روي - - - - -
صرح الأسته من تهيه و - - - - -
يحول المقوره - - - - -
وحويد البنة زون - - - - -
- - - - - ومهمه مقده - - - - -

بخصايك حجة ومثابك شاقة - أحجار وجملامد صلبة صماء تتأبى
وتتعرس . ورجال تتأفف وتتصجر . وأمور متناقضة وشؤون
متضاربة وظروف عاتية متمردة . فلتقهرن هذه جمعاء ولتتغلبن
عليها إن قدرت - وإنك على أمثالها لقادر .

إن المصاعب والآفات والمناعب والعترات قريبة ظاهرة
مجاوبة تتأفك لدى كل خطوة - وإن عون الطبيعة ومددها
وإسعافها (وإن كان في النهاية مؤكداً مضموناً) لستر مختبىء -
فاستثره من مكانه وتقب على خفاياه بالصبر الجميل وبالجلد والعزم
والإخلاص - بقوة رجولتك ومضاء همتك . تملب على كل عقبة
وصعوبة وحاول بكل ما أوتيت من حول وطول أن تشيد من
هذه الانقراض المبعثرة المشوشة صرح الاستقلال التام لبلادك
راسخ القواعد موطن الأركان منيع الجوانب شامخ الذرى .
لست الثورير الجميل عبد تخالق ثروت باشا ثلاثة أشهر
طويلة يدافع عن حمي بلاده ويدود عن حياضها ويكافح عن
حقوقها ويناضل إزاء الد الخصوم واعتاها وأشدّها استبدادا
وجبره - وبضاب بتحقيق مص - نوطن العزيز واما نيبة الكبيرة
- لثة أشد رحمة فيها جرد مشمر معتزم مستبسل في سبيل
الحق مقدم صدق مشرعى روح ارضية عالية والتضحية

الشريفة . فكيف كانت نتيجة مساعيه وثمره مجهوداته .
في نهاية هذه الأشهر الثلاثة أذعنت لشروطه وأجابت
مطالبه اقوى دول العالم فاعلنت في ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ الغاء الحماية
عن القطر المصري واعلنت استقلاله التام . وان يكون للبلاد
دستور وحكومة مسؤلة
جزاك الله أيها الرجل العظيم عن البلاد وأهلها أكرم الجزاء
وقدرها على القيام بواجب الشكر نحوك

الفصل الثاني

التصريح لمصر

بانعاه الحماية واعلان الاستقلال التام

وكذلك في غرة شهر مارس سنة ١٩٢٢ خُطت مصر أفسح
خطوة و يُنهي نحو غايتها المتصودة وأمنيتها المنشودة فصعدت
عن نفسها فأول أسبابها لأجنبي وتخاصمت من رتبة الحكم
ببرهان و رصحت قديما عن قزعة طريق النجاة والسلامة
وبرزت من طرفة سجن اليهودية الى فضاء الاستقلال الطلاق
لرحيب وان جرة المشرق المستنير واتسمت أول أسمت اخرة
- أدت أسمت مضمنا بمقتضى التي في سنة ١٩٢٢ من المادة
لأرواح وخيرة خبايا ذكات هي السراط لأول النهضة الامم
من يندت لتأثير الانحطاط وحجر الاساسي لبناء صرح النجاة
و... .. والرغد والرخاء... ..
... .. والخيرة السارية... ..
... .. التصريح لمصر لنعاه الحماية والاعتراف

بالاستقلال التام وأن يكون لمصر برلمان يمثل الامة تمثيلاً صحيحاً
وحكومة مسؤولة أمام الامة ممثلة في برلمانها وأن تتولى مصر
بنفسها دون أدنى تداخل من الدولة الانكليزية أمر تأسيس
البرلمان وسائر مهمات الحكم والادارة في بلادها. وأن يحرص
الخلاف بين الامتين في أربع نقط وهي :

(١) حماية المواصلات البريطانية داخل حدود القطر
المصري (٢) حماية الافليات واللاجب (٣) المدفع عن مصر
ضد كل اعتداء أجنبي (٤) مسألة السودان . فهذه المسائل
الاربعة ينظر في تسويتها وحلها بواسطة مفاوضات مستقبلية
تدور بين الحكومة الانكليزية وبين البرلمان المصري الذي يكون
هو بحده صاحب الحق في تحديد موعده هذه المفاوضات
والشروع فيها حسب مياها ومشيتها اخرة المتأخرة . وفي مقابل هذه
الفوائد الجمة والغنائم العظيمة التي استخلصها عبد الخالق تروت
بشخصه من بلادها من يداخيم الامة العندة بين دوله الرئيس
الاجب . ذلك الخضم أدنى من في صورة شمس وشمس وشمس
- بل احتجاز لاروطن هذه الثروات المبركة غنما بلا غرم وطعمة
رسالة هنية وعربونهم سرف ستزغيب مصر على يد برلمان في

المفاوضات المقبلة من موفور الحقوق ومستكمل المطالب
كل ذلك نأتمه مصر بمعونة الله العلي الأكبر جل شأنه وبهمة
ملكها المعظم وفضل مساعيه الجليلة ومجهوداته العظيمة محتذيا
في ذلك حذو آبائه الاقبال الاماجد واجداده الصييد الصناديد
جاريا على سنتهم الاغرا الاوضح ومنهاجهم الانبل الاشرف متبذرا
غاية من المجد والثناء تقع من دونها ساجحات الآمال وطامحات
الاماني وتنحصر عن شأوها المديدأحث مطايا الحمد واوحى سوابق
الثناء والشكر . ادام الله سلطانه . ودعم بالعز بنيانه ووطد بالعدل
أسسه واركانه . وايد بالفتح المبين صولجانه . واسح في بحبوحة
النعيم ارجاءه . واخفق في رياح النصر لواءه . وجعل عهده اليمون
مراد خصب عميم . ومرتع عز مقيم . وفاتحة خير للبلاد لا تجف
على الزمان اخلافه . ولا يجمد على الحقب والاجيال هطاله
ووكفه انه سميع البصير . مجيب الدعاء .

نأت مصر كل هذه الفوائد والغنائم بفضل الله عز وجل
وبفضل ملكها المعظم ادام الله عزه وخدم ملكه وبفضل الوزير
الاجر عمدا حقي ثروت باشا الذي رد إلى البلاد بفضل حكمته
وحزمه وبمسيرة وجهده وفر قسط من حقوقها المسلوقة - (وأنه
على متبذرا شأني مرة دقوب) - واي محاما كان أصاب

كرامة الاوطان من وصمة «المذكرة الايضاحية» واسى ما كانت
أحدثته في أديم تلك الكرامة من ندوب وجراح - دون أن
يقيد البلاد باعطاء أدنى مقابل من شرط أو تمهد .

وبفضل مجهودات الشعب المصرى ذاته الذى ما قصر فى
المطالبة بكامل حقوقه ولا فرط ولا ونى ولا تلبذ والذى أظهر
فى الساعة العصيبة والمحنة النكراء (عقب اعلان المذكرة
الايضاحية) من ضم الصفوف وتوحيد الكلمة ما شد أزر الوزير
الجليل ثروت باشا وايدده وكان من ورائه حصناً حصيناً فى
مناهضة الخصم وكهناً منيعاً وعروة وثقى .

وكذلك فى أول مارس ١٩٢٢ هب على مصر من نفحات
رضوان الله نسيم الاستقلال وحياء مسامعها من موسيقى انضمام
لابدى نفحات لحرية المطربة السحبية خيا الله فى الأيام ذات اليوم
الأغر المحل وقدس الله فى الساعات تلك الساعة السعيدة ثمراء
ساعة هبط علينا البشير يحمل إيانا صحيفة السعادة الخائدة ممسكة
بذكى من شدى العطر مصقوله الضراز بهي من سنن فجر .
وئى ساعة أحل وأعض واحق بالتحميد والتحميد من ساعة
تنطلق فيها روح لا يهتد بهد ضول سر و حيز من قيود
لرق و علال تحسف واحسف فتمرحس وتبهب - وير حشمة .

اثناء ذلك شيء من الدهشة والارتباك والحيرة - وتنشط من
عقلها حافة بالذي خلقها وسواها لتكون حرة واتبقين طليقة!
الحرية وما ادراك ما الحرية، هي جوهر الروح وعنصر النفس
وهي الاكبر الذي لا تقوم بغيره وقوامها الذي لا تصح ولا تسلم إلا به.
وهي البغية والطلبية التي لا تزال تنزع اليها الروح من أعماق اعماقها
وتشراب وتطمح وتصبح مفضحة أو معجزة مينة أو مجحة
تطاب بها الساب المعتصب مناوثة مناوذة ولو هدها بما في
الأرض والسماء من قوة وهي التي في سبيلها وحدها يبذل بنو
الانسان بحكمة وبلا حكمة كل كد وعناء ومجهود وجهاد ويغشون
كل ملحمه ومعتك ويقسون كل أم وكربة وبلاء اجل ما اجل
تب السعة وما اعظم - ساعة تنسم الامة انفاس الحرية المنعشة!
ساعة يبدو والتقالة مكدودة الطمأى خضرة الرومنة العشبية وسط
أعفرة جرد - يقر عينه رفيف يكما لضر في وقدة المهاجرة
ولفحة نرحم.

فقلت كبر تمه صروت باشا و حابت مطالبه انفكت
لذرة تارة رية و... ذاب لوزير... نه لا بأس عليه في
تات لصر - ... وزارة - حنذاك رأت جلالة
تات لوزير - ... قاضي دمرت هيك بعضه نبيء وسرع

إلى طاعته صادع بأمره محتتملا في سبيل خدمة البلاد اعباء تلك المهمة الشاقة ثم اختار دولة الرئيس للوزارات المختلفة رجالاتهم صفوة أبناء الأمة ونخبته واعتادها في الازمات والشدائد وذخرها في الملمات والعنائيم - من كل فاضل كفوء وحازم بصير مديد السأور ورحب الدراع بميد المهمة وحسبك أن يكون بينهم رجل كصاحب المعالي اسماعيل صدوق باشا - ذلك الفذ النافعة الذي الأمل الذي كأتما تموقد به حينه كوكب الدك ومصاييح الخلك . ذلك المشهود له بدقه الدهن وصفاء لقرينه لا يبيض له في حومة النضال سهو . ولا يخبوه له في ظامه الشكوك نجمة . وقد ضاب عجمته حوادب . وعركته لكوارب . وانفته صد الصفوة . حيد حصة لأبح حيوته . ولا تتر عرمته وكذبه - به خطوب السياسة في المآزق والمضيق فما راعنا إلا خروجه منها طامرا وادع القلب وضاء الجبين . وكفه نيل لا وتيرو نه كن موضع اختيار الرئيس لأحر ديه مارل مرصن شامة واعماده .

وحسب أيضا أن يكون من بين من صعدني رئيس
أيضا صاحب المعالي مصطفى ماهر باشا - وهو ذكيت رحل حـ
تقدير على اعس النهمض أعده مهم . كبت يومحت

من موقف في ميادين الاعمال الجسام اظهر فيه الحكمة مقرونة بالصرامة والتؤدة مشفوعة بالعزم والمضاء وقد أحسن الرئيس كل الاحسان في اختيار مثل هذا الشهم الهام لوزارة المعارف لانها أحوج الوزارات الى عميد ينفجها بروح من عنده ويبعث في كيانها تياراً ملتهباً من « بطارية » ذهنه المتقد - وجذوة حامية من مرجل حميته المحتدمة . وما ذا عسانا بعد أن نقول في رجل رآه الرئيس اهلاً لما ناط به من ذلك العمل الجميل والمنصب العظيم كذلك تألفت الوزارة باختيار ثروت باشا من رجال اكفاء سبقت لهم في خدمة البلاد ايد بيضاء . وما أثر غراء . تجلى فيها اخلاصهم وصدق وطنيتهم في حذق وبراعة . وقد تبوأ اولئك الوزراء مناصبهم في وزاراتهم المختلفة حيث أخذوا بالمبدأ السياسي الجديد - مبداً لانفراد بغير والاستئثار باسلطة فقبضوا على أزمة الحكم وتسلموا مقاليد حقه وحققوا معاني ذلك المبدأ الجديد وأغراضه تحقيقاً تاماً لا يقبل شكاً ولا ريبه - فاصبح الشريف لا يكيزى من عت درجته مرثوساً للوزير مرغماً أن يخضع لأرادة ويصعد بأمره ويس رئيساً مستبداً مطابقاً لسلطة متحركة في جميع من حوله . أمر وينتهي لانقض حكمه ولا رد لكلمته ورد . ستبد على وزير نفسه واغتصب سلطته

وأخضعه لمشيئته ورغبته - كما شوهد كثيراً في العهد السالف .
فها نحن أولاء أصبحنا نرى بعين قريرة جذلي كبار وجالات
الانكليز يتقلص ظل سلطاتهم عن مناصات الحكم داخل بلادنا
ويطوى بساط نفوذهم عن دوائر حكومتنا وينملس شبح صوتهم
المرهوبة ويحول عن أبصارنا - ويحل محل هذا كله سلطة وزراءنا -
أهل جلدتنا وأبناء آبائنا وأخواننا في الله والوطنية وشركائنا في
السراء والضراء - الواردين معنا حياض المناعم والمكاره والشاربين
بالكاس التي بها نشرب ان عاقماً وان شهيداً - ورفقنا في قافة
الجهاد وزملائنا في سفينة الاقدار - السائرين معنا الى الهلاك
أو النجاة . الى الموت أو الحياة . المقرونة اسماؤهم الى اسمائنا في
سجل القضاء الازلي . الخبوء لهم من القسيم والخضوض مثل مخبي -
لنا في خزانة الغيب ومستودع المجهول . الجارى لنا ولهم باسعود
والنحوس نجم واحد في فلك واحد . فليس من المعقول ولا من
الجائز قياساً أو فرضاً ولا مما يسوغ في الضمائر و يمر على نحو ضر
أن اخواننا الوزراء - من تجيش عروقهم بدمائنا وتابض قلوبهم
على دقات قلوبنا - ينزفون لا على ردتنا - أو يتوخون سوى
أغراضنا ومقاصدنا ولا سير في هذا العهد المبارك وفي هذا دور
المتقدم من قضيتنا وبعد ما أعلن الانكليز رحمة الله الرحمة

والاعتراف بسيادة مصر في الخارج وفي الداخل فكان في ذلك
أوضح برهان على ما عدلت اليه وعولت عليه الحكومة
الانكليزية من صحة العزم وصدق النية على عدم التعرض لادارة
مصر الداخلية والحيلولة بينها وبين التمتع بحقوقها الكاملة في
حكومة أهلية.

أجل ان الوزارة الحالية لا تألوا جهداً ولا تدخر وسعاً في
استرضاء الامة والنزول عن حكمها وان قامت العقبات والعثرات
مؤقتاً دون قيامها بالبلاغ الامة كل رغباتها وجميع مشتباتها ولو سكن
الوقت كفيلاً أن يبرهن للشعب على أن ما يؤجل الآن من
أمانيه وبنياته بحكم الظروف القهرية الناشئة عن حالة الانتقال
والتطور السياسي لن تلبث الوزارة أن تعمل على قضائه وتحقيقه
في الحين مناسب متى تراخت الازمة وانفسح المجال وتيسرت
الظروف مسعدة مؤتية - وفي سبيل تيسير هذه الظروف
ورضا تلك الازمة واستعمال ذلك الحين المناسب تبذل الوزارة
الآن أقصى جهده وتخطو اوسع الخطى

فهي في قوتها كمن أسفنا مقائيد العمل وقبضت على أعنة
السلطة. فنجت منشار مناي عن حضور جلسات مجلس
لوزر. كما هو معروف وتحدثت من معظم وكلاء الوزارات

ومستشاريها الانكايز واستبدلت بهم وكلاء وطنيين . وهانحن
أولاء لا يكاد يمر بنا برهة من الزمن الا رأينا بعض كبار
الموظفين الانكايز يعتزل منصبه في الحكومة المصرية فيعين
مكانه مصري من ابناء البلاد . وهانحن نرى الوزراء المصريين قد
ملكوا نواصي الشؤون والاحوال . وامسكوا بدفة المسائل
والاعمال في وزاراتهم المختلفة فأحاطوا علماً بكل دقيقة وخطيرة
ولم يغادروا صغيرة ولا كبيرة . . . ومن ذا الذي يطاع في الجرائد
السيارة على قرار صاحب المعالي اسماعيل صدق باشا بهذا الشأن
وفي ذلك الصدد . ذلك القرار الحاسم الجازم . الذي أماط كل
لثام وجلى كل شك وشبهة عن هذا الامر الخطير فمد يدع مجالا
للنقد ولا موضعاً للاعتراض .

هذه كلها من فوائد العهد الجديد . ومن ثمرات نفوذ السياسي
المبين الذي احرزته البلاد بمعونة الله عز وجل وبفضل جدها
ومجهورها وهمتها وتضحيتها وعلى الاخص بما ظهرت من الاتحاد
والتضامن (عقب اعلان المذكرة الايضاحية) والتفيم في وجه
الخصم الالذ المعاند متساندة متعاضدة كأنها روح وحدة في جسد
واحد . وبفضل مجهودات وزيرها الاجل ومهارته وحنكته
السياسية وكفاءته النادرة فهو الذي استطاع ان ينجد من صمت

موقف الامة وقوة تضامنها أحسن وسيلة وأضمن ذريعة الى اقناع الخصم واستماتته والتأثير في أعصابه حتى أمكنه أن يستخلص للبلاد من قبضته ما استخلصه من تلك الفوائد الجمّة والغنائم العظيمة .

وايكن كيف كان موقف الامة ازاء هذا التغير السياسي العظيم وبماذا استقبلوا هذا العهد الجديد . وما ذا كانت آراؤهم فيما قد تأتي للبلاد من تلك الفوائد والغنائم ؟

انقسمت الأمة بهذه المناسبة وفي هذا الموقف من حيث الضنون والآراء شيعاً بدواً . وطرائق قدداً . . فتمهم المستبشر المتفائل الفرح أبجذلان بما نالته البلاد من ذلك الغنم العظيم وان وقع دون أقصى غاية البغية والمراد وتقاصر عن أبعد مرامي المتصود ومرغوب وذيسم إلى ما تطمح إليه الامة من الاستقلال ثم بدأ كل معانيه . وفي إسعي مراقبه . وأسنى مجاليه . فهذا الفريق من أهل البلاد يعتقد أن هذه المرحلة الأخيرة فوز صريح وربح حاصر وثم . بل أنني جدار خطوة إلى الأمام . وخطوة واسعة قد تربت من نية منه ودة شوطاً بعيداً . وشأواً مديداً . وحسبت معرفة وحصنت مركزه ورفقتنا من وهدة ضعف وحضين مينة كذا فيه تحت مدفعية نخصم نصلي نيران سطوته

ولهيب صولته لانستطيع له مطاولة ولا مصاولة - فرفعتنا هذه
الخطوة إلى ربوة عزة ومنعة وهضبة حصانة وقوة أصبحنا بها
أولي قدرة على مناهضة ذلك الخصم ومناجزته وأقدر على مواصلة
سعيينا إلى أمنيئتنا المنشودة أعنى الاستقلال التام المطلق من كل
قيد المجرّد من كل شائبة - أولم يصبح هذا النعم الذي استفدناه
أخيراً أقوى سبب وأمتن وسيلة نستطيع أن نتذرع بها إلى أحرار
الفوز الأتم والنجاح الأكمل أعنى تحديد الضمانات التي تضمنها
بريطانيا العظمى ونقصها وتلطيفها بما لا يتعارض مع استقلالنا
ولا يضيره إلى أن يحين الوقت للعدول عنها وإطراحها فتخلص
مصر الخالص التام من كل قيد من هذا القبيل وخلافه .

هذا فريق التفاؤل والتيسر الذي هو في الحقيقة أقرب من
غيره إلى الصواب والمعقول . لأن جميع ما يحيط بالسؤال من
شواهد الظروف وقرائن الأحوال تصدق رأيهم وتؤيد حججهم
وتمت فريق آخر يناقض الفريق الأول في رأيه ومذهبه . فهو
لا يثق ببريطانيا على الإطلاق بل يفضل ترك الحانه معلّقة - حتى
يقضي الله أمراً كان مفعولاً - على قبول ما هو معروض الآن
على مصر - محتجاً بمذهبه هذا بأن الانكيز ما برحو منذ بدء
احتلالهم هذا القصر يمتنون أهله بباطين المواعيد وسدائل الأمانى

فاذا استسلمنا الى وعودهم هذه المرة أيضاً فقد تضعف العزائم
وتتخدر الأعصاب ويتأخر سير القضية الى غرضها الاسمي
ومرادها الاقصى وفي هذا البلاء والشركه .

ونحن نعترض على هذا الفريق ومذهبه بأن انكثرة اليوم
ليست بانكثرة الأمس . لقد علمتها الحوادث والخطوب أن
أمر الشرق وشعوبه الواقعة تحت سيطرتها ليست بالرغم البالية
المقبورة في مدافن الدثور والعماء ولاهي بالخشب المسندة الملقاة
في زوايا لاهمال والنسيان رهائن العجز والتبذد والجمود .
تقد كات كنز تحسب أن الامة المصرية وسائر أهم الشرق
لم يشارك الشعوب الغربية انهضومة فيما أحدثته الحرب الكبرى
في صميم كيانها من تلك الثورة الفكرية والغايات السياسية الذي
استحدثت حركتها العادية وسيرها المألوف في سبيل لري الطبيعي
التمريجي عبر سيرة محتوية عليها بوعب - (ولو بطيء وتريث
وبعد تعصبات العقبات والعراقيل) - بحكم السنن الكونية
والمواهب الطبيعية . فالكبره بلوغ من اعترافها للشعوب الغربية
بشأن نهضة - حرب الكبرى من الثورة الفكرية
السياسية وبرهانه من ذلك ، حكمة هذه الثورة - أعني حكم السنن
الكونية و - وليس في طبيعة تعصب عن مصر في بادىء الامر

وتعامت ولم تحسب لها حساباً في باب النهوض والتحضر فلم تلق
لمصر بدلو يوم القت الشعوب الغربية بدلائها في مناهل المؤتمرات
ولا أجالت لمصر قدحاً ولا سهماً يوم أجالت الشعوب الغربية
سهامها وقداحها في قرعة السياسة على موائد المقامرة الدولية .
لم تطرح انكارنا مسألة مصر - ولا سمحت لمصر أن تطرحها بنفسها -
في ميزان التسوية يوم طرحت مسائل الأمم الغربية في ذلك
القسطاس الحكيم .

فإذا كانت النتيجة والعاque ؛ نتيجة الغفلة والتفريط وعاque
من لا يحسب الأمر حسابه ولا يتدبر عواقبه - كانت النتيجة
- مفاجأة الغافل المغتر بما لا يتوقع من الخطب الجسيم والحادث
جليل لذي مابرح يختمر ويتكوف - يه غفاته وغروره - في
طي الخفاء حتى ظهر له حن القشع عميت ونجود غمره -
بارزاً جهيراً شنيعاً بشعاً جهاً متنكراً يحملق ايه بعين الخفية
الستعرة جراً وشرراً .

كانت النتيجة استيقظ برينان من رقته في يوم ١٠٠٠٠٠
فسية من كم خيرة مرة لألميه حذر - توفت - حقة
نموها واستكمت فضحة ويرح - من -
ميدان - ترك حدة مقور زه وتزيد .

كانت النتيجة ان مصر المهضومة المستضعفة التي لم تحسب
بريطانيا حسابها ولم تأخذ منها حذرها تارت ثورتها المعروفة في
مارس ١٩١٩ وهبت في وجه بريطانيا هبة الأسد المسلسل
صدع قيوده وأغلاله ووثب يطالب المغتصب بحقوقه المهضومة
المسلوبة .

عند ذلك أفاقت بريطانيا لأول مرة من غفاتها بالنسبة
للمسألة المصرية وصحت من سكرتها . واقبلت على القضية
المصرية تتأملها بعين الحذر والاهتمام المشوب بشئ من الخشية
ولرغبة . ولا جرم فلقد راعها من عجيب تطور الأمة المصرية
وعظيم نهضتها وخصرتها . مارع « أهل الكهف » اذهبوا من
رقاءة فبالهم ماهاهم من تغير حال الدنيا وتبدل الشؤون
والمشاهد . وكان بعد ذلك ما كان من محاولة بريطانيا المرة بعد
المرة نسوية لتعضية المصرية بوسائل شتى - احداها « لجنة مانتر »
تي فشلت في مهبتها بفضح جمع المصريين واطبة وتوحيد كلمتهم
على مقاطعتها شد مقاضمة وأقصاها حتى أوصدوا في وجهها كل
باب المناقشة والمفاوضة - قطعوا منيا كل أمل في ذلك . وكل
شئ من ريرة - متبرتي متى كان يذذك وكيل الأمة المفوض
ومفاوضين . نرض سواه مندو . ووكيل .

وهنا يجدر بنا أن نشوه بما كان من سلوك ثروت باشافي
تلك الآونة الدقيقة وكيف كان موقفه ازاى لجنة ملر وبماذا أشار
عليها : قابل ثروت باشافي ذلك الحين اللجنة المذكورة منفرداً
(كما قابلها عدلى باشا منفرداً) لا مقابلة راغب فى مفاوضتها
— حاشا لوطنيته الشماء أن تفعل ذلك — ولكن مقابلة من أحب
أن يبلغها جواب الشعب الصريح واعتقاده الصحيح معبراً عن
جنانه . ناطقاً بلسانه . فانبأها بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن
الشعب المصرى ان المصريين قاطبة قد أصروا على أن لا يكون
لهم مع اللجنة شأن ما وان لا يدخلوا معها فى مناقشة أو مباحثة
— ذلك لأن لهم وقدأ يمثلهم أصدق تمثيل وأصح . فبه لا يرضون
غيره محاميا عن القضية ولا يتقون بمفاوض سواه كما نأمن كان .
هذه المأثرة اجنبية من مآثر ثروت باشا لدالة على مينطوى
عليه فؤاد الرجل الكبير من صدق الوطنية وروح التضحية
أقل ما يؤثر من عظيم مآثره . وجسيم مفاخره . وأدنى ما يذكر
من مساعيه الجليلة فى سبيل خير البلاد وصالها . ونكتة ريت
أن نودرها هنا تذكرة لمن نسى وتعريفاً لمن لم يعرف . فليعلم
الناس ان وطنية ثروت باشا ليست وايدة اليوم ولا بنت
الامس بل هي عريقه فيه متأصلة منذ ادلى به عام خفاء على عام

الوجود . - منذ

سأله الله للخطوب من الغيب ب كسل المهند المنمود
وكذلك كل رجل عظيم لا تكون فيه الوطنية مجرد عادة
يتأدها أو خصلة يتحلى بها أو إداة يتذرع بها الى شئ من
مقاصده وأغراضه . بل تكون فيه غريزة غالبة وطبيعة
مسيطرة على جميع مشاعره ومساكنه ونزعاته . وعواطفه
وشهواته . تكون مزاج دمه وأساس كيانه والجوهر الذى صيغت
منه نفسه ولعنصر ندى صورت منه روحه

قد نرى أحيانا ما أوقات من سكرتها بالنسبة لمسألة
المصرية به تسعت ذلك قدر عن بصرها ما كان ران عليه من
غساوة الغمة وغرور وعن قلبها ما كان قد غشيه من حجب
التسوية
حرس
وقد
لا
و
و

والاجتماعي عن منزلة تلك الشعوب - تلك ادراكات بريطانيا كل
هذا وجبتهما حقيقة صداية خشننة كالعضير العمياء - ارادت
استهزاء الامة المصرية وحوارها لوان في التسوية قضيتها المرة
لعدة مرة - رأتى منها اجزاء من اتي ذكر ما كان
من سباب بفتن جماع الثوريين في مصر - اعمى - رة
والتيندهم عمدا -

في حضم الجهاد واما تحفر بتدب الدرّة اليتمية فتردها الى موضعها
من اكليل مجد اولاد و مدد الى نصيبها من تاح حسبها المجيد .
وعزها التمدد امد عمه بربطه به أنه ايس لاغرب أن يفخر على
السرق رعمه أنه نور سيبا منه في مرأيا لهوض و تمتدده وانه
آدى منه قلبا و أباي روم ر صبي جوهره اكره عنصراً -
امد عمه بربطه به أنه سرق ثوبه الا عرب ذهيبه لاه من
سما . ثاب حقه مدد سرقه سرقه سرقه سرقه سرقه سرقه
لاسرق ولا عرب ذهيبه سرقه سرقه سرقه سرقه سرقه سرقه
وارمحه وجهه وجس ثماره في سرقه ح ان سرقه سرقه سرقه سرقه
لوصيه له سرقه سرقه سرقه سرقه سرقه سرقه سرقه سرقه
سرقه سرقه سرقه سرقه سرقه سرقه سرقه سرقه سرقه سرقه
لاصده زحيره سرقه سرقه سرقه سرقه سرقه سرقه سرقه سرقه
هيكال لاه ان يقم من سرقه سرقه سرقه سرقه سرقه سرقه سرقه

والشعور وان حجبت سماعها حجب الفتور والتبدل منا وحجب
 الففاة والفرور منهم اقدمنا بريطانيا هذه الحكمة البايغة وهي
 انه لاسي في حلية ميتة ارهامه اودرا كد . لقد ذكرنا عم بما
 كان اوجر له بمكة في سنة ١٢٠٠ وس كارليل في القرن الساف
 حيب هل في كذا في سنة ١٢٠٠

لكن في الكبريت رسالة الله في سنة ١٢٠٠
 في حقيقة في حالة استجدالة وتغير اعتبار قواه الكمننة وفتها
 في سنة ١٢٠٠ في سنة ١٢٠٠ في سنة ١٢٠٠
 في سنة ١٢٠٠ في سنة ١٢٠٠ في سنة ١٢٠٠
 في سنة ١٢٠٠ في سنة ١٢٠٠ في سنة ١٢٠٠
 في سنة ١٢٠٠ في سنة ١٢٠٠ في سنة ١٢٠٠

في سنة ١٢٠٠ في سنة ١٢٠٠ في سنة ١٢٠٠
 في سنة ١٢٠٠ في سنة ١٢٠٠ في سنة ١٢٠٠
 في سنة ١٢٠٠ في سنة ١٢٠٠ في سنة ١٢٠٠
 في سنة ١٢٠٠ في سنة ١٢٠٠ في سنة ١٢٠٠
 في سنة ١٢٠٠ في سنة ١٢٠٠ في سنة ١٢٠٠

السحابة السارية ، الى الانسان الحي ، الى أقل فعلة من أفعاله وأدنى
كلمة من أقواله - أجل ان الكلمة اذا خرجت من فم القائل
مضت كالسهم النافذ لا ماحي لا يرها . وأشد منها وأقوى الفعلة
الواقعة . أو لم يتغن لنا الشاعر « بندار » قديماً بحكمته الماثورة
« ان الآلهة أنفسهم تمنع أن تنجو أثر الفعلة المفعولة » لقد صدق
« بندار » فان هذه متى فعلت بقيت على الأبد الأبد مفعولة أي
دائمة المفعول والأثر - بقيت مسترسلة في فضاء الزمن اللانهاي -
وسواء لبثت ظاهرة لنا بادية . أو مستترة خافية . فستبقى فعالة
تكون أبدأ وتتمو عنصراً جديداً لا يفتي ولا ينعدم في غضون
مزيج الكائنات اللانهاي . بل ماذا تحسب هذا المزيج اللانهاي
ذاته الذي نسميه « الكون » - أتراه سوى فعلة أو مجموعة من
الأفعال أو القوى ؟ أتراه سوى مجموعة حية (يعجز الحساب عن
جمعها وحصرها في جداوله وان بدت أميزك مكتوبة على صفحة
الزمن) - مجموعة حية لهذه الثلاثة الآتية : كل ما فعل ، وكل
ما يفعل وكل ما سوف يفعل . فاعلم - علمت أخيراً - ان ذلك
الكون الذي تراد انما هو فعلة - هو النتيجة والمظهر لقوة مبدأه .
هو البحر العديم السواحل الذي من ينابيعه تنفجر القوت - والذي
في هباب حورته تجيش وتموج القوة ذخارة منسفة منتظمة فسيحة

كالانهاية عميقة كالابدية - جملة مخوفة حسناء رواق غير مدرجة
 ولا مفهومة - فهذا النج الزاخر الذي لم يبرح يجيش ويرغى
 وتزد من وراء الافلاك ومن قبل بداية الزمن ولم يزل يهوج من
 حولك - يا انت نسك جزء منه في هذه النقطة من الفضاء
 وفي هذه النقطة من الزمن - هذا هو ما يسميها الانسان الكون
 و الوجود

و كذلك احياء البشرية وكل ما فيها لا يزال في حركة دائمة
 وفي ذل وتتبدل باستمرار من حال الى حال ومن شكل الى شكل
 تغير مستمر دائم - نتيجة محدودة ونتيجة لازمة
 ونحن نرى كيف ان كل منغسلين منغسلين في
 شواق سريرة زمن وفي ضمان اغزدالع يصر - ولا جرد فحين
 ينزل في حركته من حركته من حركته من حركته
 ويصر - في حركته من حركته من حركته من حركته
 و الفعل قد كثر زمن شماره وحكمة الاقرار في موضع
 في حركته من حركته من حركته من حركته
 في حركته من حركته من حركته من حركته
 في حركته من حركته من حركته من حركته
 في حركته من حركته من حركته من حركته

المعظم بالأعمال الصارمة ذات الأثر والمفعول والتأثير الخطيرة
أقد أيقظاها الى الحقيقة المرة بثلاث صدمات شديدة كبحت
جماها وكفكت غربها والآلات عريكتها حتى هياتها نهائياً الى
التأثر بسياسة ثرون باشا في مناوراته الاخيرة والى الاقتناع
بناصع حججه ودامغ براهينه والى الانقياد نوعاً في زمام مهارته
السياسية وبراعته المنظمية. أمهذه الصدمات الثلاث التي مهدت
طريق نجاح ثروت بنينا فهي كما يعرف الجميع قوة مصر
في وجه بريطانيا في مارس ١٩١٩ (٢) مقاصد لجنة ملنر (٣) قطع
وفد لرسمي الذي كان يرأسه دولة لوزير العظيم عدلي يكن باشا
للمفاوضات المصرية - الانكليزية. وقد عقب شك من انتم
مصر ولاف ثروت بنينا في مصر - مصر - مصر - مصر - مصر
وتنازعهم اضمام اصفوف وقبيل لامة فوه سابية بسايب
لدوع "سابية ولا يانس أحد أن صاحب فضل الاعظم في
مدد ربة القريضة . . . ربة . . . ربة . . . ربة . . . ربة . . .
ثروت بنينا ربة . . . ربة . . . ربة . . . ربة . . . ربة . . .
ذلك ربة . . . ربة . . . ربة . . . ربة . . . ربة . . .
كان . . .

وأين تقع رائمات الحمد وغاديانه . وسابحات الثناء وسارياته . من رفيع مقامه في ذروة المجد الشامخ . وذوابة الحسب الباسق الباذخ ! ماذا عسانا نقول في رجل حملته الامة امانتها فأحسن الحمل والاداء . وزجت به في حومة النضال عن حقوقها فأجاد الذود وصدق البلاء . أولم يدفع عدلى بحر وجهه الكريم ما أرادت بريطانيا أن ترمي به وجه الامة المصرية من آيات الخسف والهوان ممثلة في ذلك المشروع الذى رفضه هذا الهام فكفى بذلك أمته غضاصة مناقشة المشروع والنظر فيه ؟ أولم تبعث به مصر فى تلك المفارضة نائباً عنها وممثلاً فكان خير عنوان على ما لها من نبيل وكرم . وأنفة وشمم . وشرف رفيع . وعز منيع ؟ أولم تكن طلعتة الوضاعة البليحاء . وغرته الوضاحة الزهراء . صفحة صدق تتألق بنور الامانة والاخلاص ويسطم في جنباتها رونق اليقين والايان ويترقق ماء الحياة والعفة والبراهمة ؟ أولم يقرأ الان كثيرا أنفسهم في أسارى جبينه الأغر . سطور الحزم . والعزم . والحلم والرفق والحكمة والخلق . والمضاء . والدهاء

أم ينتشل عدلى باشا الشعب المصرى الكريم من وهدة الضعف والفتور التى كان القاه فيها دعاة التخاذل والتواكل وبغاة التفرقة والانقسام ؟ أم يستنقذ عدلى باشا ، ته المجيدة من حضيض

الدواني والأسترخاء الذي كان أهبطه فيه نجار الفشل والهزيمة
ومروجو اشاعات السوء عن الوفد الرسمي الذي أثبت ما آثره
وحسناته أنه كأكرم وأنبل من انتدبت أمة للمطالبة بحقوقها
والدفاع عن قضيتها . والذي سجل له التاريخ أشرف سوره الفضل
واسنى آيات الوفاء في مجد فضوله وانصاع صحائفه أم بيضاء عدلى
باشا وجه أمته بما أحرز لها من النصر الباهر بموقف الشجعان والآباء
والعزة والكبرياء . الذي وقفه إزاء خصمها الألد وقرنها العنيد .
أم يفهم الإنكاري أن الذي يرفض مشروعهم بمنتهى الألفة والنخوة
والإباء هو الأمة المصرية بأسرها ممثلة من شخصه الكرم في مرآتها
الحاكية مجموع نزعاتها ورغباتها وأمانتها وعواطفها . وفي لسان
حالمها الناطق بأخفى ما يحبه ضميرها وادق ما يمكن في خبايا
سريرتها . ألم يكن في أفهامه الإنكاري هذه الحقيقة وتقريرها في
أذهانهم مرفوع من مقام الأمة المصرية في عيونهم بعد ما اسقط
منه ظهورها في انكار مظاهر التفرقة والانقسام . ألم يكن
في مجيد عماله هذا ما اعاد إلى قلوب الإنكاري تلك الهيبة والخشية
التي كانت أوجدتها تحت الأمة المصرية بفضل ما أظهرت في بدء
حركتها من روح التضامن والالتحاد والتضافر . ألم يشرف عدلى
بموقفه العظيم وما آثرته الكبرياء أمته العزيزة ويعلو قدرها ويرفع

معتزلة غير وانية ولا فطرة - وانها كغيرها من الشعوب الغربية
مندفعة بحكم السنن الكونية والنظم الطبيعية في سبيل النهوض
والنقد لاخذ المسكان المقدر لها زايما في مرايا الحياة ؟

كذلك في سبيل الحق والحرية صاح عدنى كمن صيغته
التي اسرعى بها مسامع ائمة وأتمنؤها من غمرة التناحر والنظام
الى تلك الحقيقة الكبرى . وهي ان كل نزاع بين ابناء الامة

هو شره عايب . ومنه يحصم . حتى يرد حيزه فرصة .
ونهاك قواها بتوسيع الخرق بينها . وعند كين ومدتها . وتمزيق
سقفها . يرد سها . بالموجهة . ان يحصم في نحره هي وتمزيق

مجهودتها المردونه . في حده . في حده . في حده . في حده .
يا . في حده . في حده . في حده . في حده . في حده .
هذا وكبر . في حده . في حده . في حده . في حده . في حده .

أزرها . في حده . في حده . في حده . في حده . في حده .
خون . في حده . في حده . في حده . في حده . في حده .
ممن . في حده . في حده . في حده . في حده . في حده .

انها . في حده . في حده . في حده . في حده . في حده .
في حده . في حده . في حده . في حده . في حده .
في حده . في حده . في حده . في حده . في حده .

لن يجد التاريخ بدأ من أن يسجل له هذا الفضل على بلاده ولا
من وضعه في مصاف الأبطال منقذي شعوبهم ومحرري أوطانهم
— أمثال شمشون إلا أنهم تغلبوا على دليلة « الخنثى والخديعة » فلم
تستطع قهرهم واذلالهم .

كل هذا صنعه عدلي لامته . ولا عجب فانه عظيم وبقوة
الرجل العظيم وحوله تدعم أرض الله وتوطد أركانها . وبهمة الرجل
العظيم ونجدته يثل عرش الظلم ويشاد صرح العدالة وينجاب
غيب الباطل ويسطع نور الحق . وبكلام خيمه ومحامد شيمه
ترق حاشية الزمان ويخضر عوده ويورق . ويخضل روضه بندي
الخير ويتفرق . ويشرق صمونه بسنا الصفاء ويتألق . خياك الله
عدلي يكن ! لقد طاب في كنفك العيش واحلولى . واقتر عنك
باسم الدهر وتلالا . وقد حسنت بك الدنيا وماحت . وتأرجت
بعبير ذكرك وتفتحت . وقد شربنا بك ماء الحياة كوراء . ونشقنا
نسيمها عنبراً . وانتمجعنا غيظها ثجاجاً . وتوسدنا جنبها أنيق الروض
مهباجاً . فجزاك الله أحسن أجزاء عن أربعة عشر مايونا من عباده
وقمت بالهن هامهم . وثبت في مدحضة المترك العنيف أقدامهم .
وطهرت بحيفة أعراضهم من كل شائبة ووصمة . ونقيت أديم
أحسابهم من كل ريبة وتبمة . وبعد فان ماأثرتك هذه الجلى التي

حاولنا عبثاً توفيتها حتماً من الحمد والشكر ليست لعمرِكَ أُخرى
مأثرك . ولن تكون بحال ما خاتمة مساعيك ومفاخرِكَ . يأتي
لك ذلك فرط حبك لبلادك وعطفك وحنانك على أبنائها
الذين هم أبنائك البررة وصدق وطنيتك العميقة . وحميتك العريضة .
وشدة اخلاصك لوطنك وتفانيك في خدمته والتذاذك بتضحية
الأعز والأقرب في سبيله . وارثيأحلك الى ركوب الصعاب .
واقترحام العقاب . واعتساف الأوعار . ومغامسة الأهوال
والأخطار . من أجل الدفاع عنه وصيانة حوزته . وحماية بيضته .
نقول لم تلتبه بعد مساعيك في صالح البلاد ولم تترك المسرح لغير
رجعة . معاذ الله أن يكون ذلك ومعاذ همتك البعيدة . وشيمنتك
المجيدة . وحاشا لعزتك الشماء . وحميتك الذكية الروعاء . أن ترى
على سكونك هذا إلا خفاق الجوانح على وطنك راجف الاحشاء .
فما كانت روحك الكبيرة السامية . ونفسك الجياشة المتوقدة
لتسكن في هذه الآونة إلا نأهباً للحركة وتمحيزاً للوثوب .
وانكماشاً للكثرة الى الميدان متى أمهات بك النوب والخصوب .
بل أراك في عزلتك الزاحمة لا تزال ينبوع أمل وقوة مواجئتك
تنفث فيهم روح اليقين والثقة والرجاء . كأنك زورق النجاة لا يبرح
باعثاً يرد الضأ نمنة في ركب السفينة مهاطئى الموج من حولهم

واصطخبت الانواء .

هذه كلمة حق . ونفثة صدق . ارفعها اليك يا صاحب الدولة
في عزلتك السياسية اعبربها عما يضمرك لك ويعلنه من آيات الحب
والولاء أهل وطنك أجمين الذين لم يبق فيهم - بعد موقفك
المشهور ومقام دفاعك المأثور . في قضيتهم المقدسة - غامط لحقك
العظيم . منكر لفضلك العميم . ألا جاحد عريق في الجحود .
يحمل مكان قلبه أصم جلود . سقيم الطبع مريض الذوق ينكر
من علة ضوء الصباح . ومن آفة حلاوة العذب القراح . وما
أحسب أن مثل هذا المخلوق يوجد بين مجموع الشعب حماء الله
من أمثاله . وصان أديبه النقي من وصية خلاله . وما أراني بد
يا صاحب الدولة قادراً على الوفاء لك بواجب الشكر . وليس ينبغي
لك بهذا إلا صلوات المليك في السور .

نرجع الي ما كنا فيه من أمر انقسام الامة في الرأي والمذهب
الي قسمين أراء تصریح انك انرا العظیم الشأن بالغاء الحماية والاعتراف
لمصر باستقلالها التام وأن تكون ذات سيادة في الداخل وفي
الخارج وذات برلمان ووزارة مسئولة أمام البرلمان . وحصراً
اختلاف بين المماليكتين في النقط الأربع المروفة واعطاء الحق
لمصر في بدتها مفاوضات مستقبلية تدخل فيها مع انك انرا مزودة

بإسراع الاستقلال مطلقة من قيد الحماية لكي تسوي مع بريطانيا
في تلك المفاوضات المقبلة قضية بلادها التسوية التامة - وكل هذه
المغانم والارباح والمزايا ناتجا مصر دون أن تدفع فيها ثمننا من تعهد
أو تعهد أيا كان .

نقول أزاء هذا الحادث الجليل انقسمت الامة من حيث
الرأى والمذهب الى فريقين - فريق التيمن والتفاؤل وفريق التطير
والتشاؤم . وقد ذكرنا أن هذا الاخير قد بنى تشاؤمه على ما يزعمه
من سوء عقيدته في بريطانيا وجرأتها على خفر الذم ونقص
المهود واخلاق المهود . وقد حاولنا في الصفحات السابقة أن
نثبت لهذا الفريق أن انكثرة اليوم هي غير انكثرة الأمس
وأن تعدد الثورات والاضطرابات أثناء السنوات الاخيرة في
ولاياتها ومستعمراتها قد اثبت لها بأنصع البراهين والأدلة . ان
الامم والشعوب ليست أشباحا ولا تماثيل تتصرف فيها كيفما
شاءت وشاء لها روح الاستبداد والمطامع الاستعمارية ولكنها
نفوس وأرواح كاخواتها ساكنات البلدان الغربية والبلدان
الاوربية - مستمدة مثلها من روح الله وينبوع القوة الأزلية -
وانها بذور الله قد عرسها في أرضه منطوية على جوهر الحياة
وعناصر النمو والتفرع والسمو في جو الله الى حيث تنسم في

الفضاء الرحب أنفاس الله اعنى نسيمات الحرية والاستقلال وانما
- كسرت لبذور والاعراس - لا بد أن تزكو وتكبر وتبلغ
غاية نضجها وتسمو الى درجة الارتفاع المدورة لها اذ لما بسنة
"البيضة" السايقو حكما النافذ وبحكم ما الطير عاينه من عوامل
لابتداء ونمو وارتفاع ونحو حسب نصيبها من تلك الثمرات -
جاء لدهر تربية - رافعة - است في أرض الله أن تنمو وتسدوا
و... وتبين ... تنشر من جداءها وتمود الى حياة

حاوانا أن تثبت لهذا الفريق انا - كبعض تلك الشعوب التي هبت في وجه بريطانيا تطالبها برحقوقها المساوية - قد صدمنا بريطانيا ثلاث صدمات عنيفة : « حركة عام ١٩١٩ » و « مقاطعة لجنة ملتر » و « قطع الوفد الرسمي للمفاوضات » ايقظنا بها بريطانيا من غفلتها أو تغافلها وزعزعنا بها أساس طمأنينتها وهدوئها وارجفنا بها قلبها وبدلناها بالامن حذراً وبالاستهانة استعظاماً وبالوقار خفة وبالاطمئنان وجلا

وبذلك استطعنا أن تثبت لهذا الفريق ان انكثرة اليوم ليست انكثرة الامس . وانه باعتبارها أمة تفهم وتعقل و تعرف الخير من السر والتمر من الجهر وتشارك سائر خاق الله حتى الاطفال والحيوانات في الغريزة المشترك فيها كل الخلائق والتي عليها مدار الحياة ونظام الكون والتي لولاها ما حامت قدم جسام ولا احتوى جسم روحاً - أعني غريزة النفور من الأذى والهروب منه الى خير - تقوى به باعتبار بريطانيا هكذا وبالنظر اليها في هذه الصورة الطبيعية الحقبية - باعين المجردة عن الاهواء المتبعة من الحق وموقع آثاره أين كان وكيفما كان - لا يسعنا الا أن نراه قد عيرت من سياستها وبدلت من خطتها - وانها قد وقفت اليوم لنا موقفاً خلاف موقفها بالامس (لا يمكن

أن يكون أسوأ من الموقف السالف بل أحسن بلا نزاع
وأفضل) - ولما كنا نحن المصريين الذين استطعنا بقوتنا وحكمتنا
أن نغير موقف برطانيا معنا ونحوه عن حالة إلى أحسن منها -
ولو قليلاً - فليس يستحيل علينا ولا يتعذر ولا يبعد بفضل
اتحاده وتضامنا على الجهاد المستمر الدائب أن نرحلها شيئاً
فشيئاً إلى مواقف أخرى أحسن لنا فأحسن - حتى نقفها أخيراً
عند حدها وتقيدها في مسبب الحق ومسبب اسدود و صوب
ومفصل الا صاف والعدالة وحيث بلغ المراد وال الغاية
على أننا لو سلمنا حداً لا يوجب اساءة النية بدها اي اى
صدرنا في قول الاله العدم والاعرف لا تتقوا
التام - في قبول منحه - انه - في منحه كده ورحمة ونور
مدرناه في مزرعة الجهاد من الدور هي عرق حدهم ودهم
دنه وقلاذ كدها - في منحه في منحه هذه فتمت
الادوية ولا يجمعها جدهم في منحه في منحه في منحه
اي صرعها في منحه ودهم وسلاحه فنيده في
ماديه من لاسجته يكون ذلك في منحه في منحه في منحه
ومع ذلك

أليس الأجدد بنا والأضمن لخيرنا وفلاحنا أن ننظر إلى
هذا الاستقلال في أول ادواره كبا كورة أعمالنا المحيطة وبادرة
مجهوداتنا الشديدة . وانه مولود نهضتنا العظيمة الذي ما برح
يتكون في احشائها أزمان الجمل العسيرة . وانه نتاج وطنيتنا
المقدسة التي جعلت تتمخض عنه تمخض البحر عن دره ومرجانه
والكنز عن تيره وعقيانه . حتى اذا التقى به الحظ في حجورنا
ذخراً نفيساً وثمره مباركة كان من اوجب الواجب علينا أن
نبتهل لله شكراً ونرحب به ونهليل تحية اطلمته واستبشاراً -
بفرته قائلين مع الشاعر

يمن الله طلعة المولود وحباً أهله بطول السعود
ما اننا لا نظرب ونفرح بهذا المولود الجدبد . ما لنا لا نحمد
الله عليه ونحوطه بالنفوس والنفائس . نم نعمل على تربيته وانماه .
وترقيته واعلاؤه . حتى يباغ أشده . ويستكمل قوته وأيده
هذا الاستقلال الوليد انما هو جذوة مقدسة اقدحتها يد
الشعب بزناد الكد والجهاد واستنارتها معاول الكفاح والجلاد
من صحرة الجبروت والاستبداد . فما لنا لا نحوط هذه الجذوة
لمقدسة وما لنا لا نشبها ونكياها أنفاس هممنا الصادقة
رياح عزمنا الرقبة حتى يتلهب سناها ويسفع شعاعها فيخرج

البلاد واهلها من ظلة الرق الى ضياء الحرية
ان استقلالنا في هذا الدور الاول ليس سوى هلال الحرية
في اولى منازلها . فانا لا ننتظر به النمو والزيادة وما لنا لا نرقب
له الكمال والتمام . وما لنا لا نقول مع الشاعر
مثل الهلال بدا فلم يبرح به
صوغ الليالي فيه حتى اقرا

ومع الآخر

ان الهلال اذا رأيت نموه

ايقنت ان سيكون بدرًا كاملا

وهبونا لم ندرك الغاية . اقلم نضع اقدامنا على فاتحة السبيل
المؤدية بالثابرة والمصابرة الى الغاية . انا تلك اليوم فوهة المسلك
الواضح المستضيء بعد طونى مخطئى الاوعار و ليدحى . أم يعتر
الفريق بين طفوه في غمرة الكرب ورسوبه على لوح النحاة -
ولو ضعيفا - وعلى عود سلامة - ولو ضئيلا ، أو تخرج السفينة
من منطقة الخوف والخضر وان لم يزل بينهم وبين انس حل
عباب وغمر يحرج خوضها وافتحامها الى حمال المشاق والمتاعب .
يقول الفريق متأثرا ان بريطانيا تضمركنا في سريرتها
خفيا . وتكن لنا دوت وخبيا فبب ذلك من حاز فوه ، اذا

لا ينتفع بالثمره لو اذمة ثم نحذر المضره المتوقعة؛ وهل يجوز في عقل ان ترفض الورده من يد مهديها مخافة ان يهديك الشوكه يوم ماء او ترد الكاس الرويه الى كف مديرها وساقها خشية ان يدير عليك فيما بعد حذلا وعاقما، اليس قياسا على هذا يحق لنا ان نرفض سواكب الغيث من السماء لما يتحمل من ارسالها للصواعق عايسا يوما ماء وان نفض ابصارنا في وجه الافق رافضين اشعة الشمس الضاحكه لما توقع يوما ما من عبوسه لنا نظامه الضباب والغيم، في ذا تكون حال اناء البشر اذا ساد في الأرض هذا المذهب وتغلبت هذه الشريعة؛ وأى حياة يحيون وكيف تدار دواليب الاعمال وكيف يتقدم ركب الانسانية في سبيل الرقي الى امد الكمال.

هبونا لم ندرك الغاية قفى الحائتين اشرف واعد، وأى المرفقين اقوى وامع وأى امركين دنى من امل واكمل سحاح - دخولنا المفاوضات الآتية حررا مستقلين أم دخولنا اياها تحت نير حكم لاحتي وفي قبود حمية - أى الامرين افضل، ذهابنا ننفوس مطعنين من هذه لاء ز مزودين بسلاح الاستقلال (ونوهمومهمولادهم ما عزلا من السلاح اكتفاء من اندروع مكتوفين باصمده حمية؟ هم. ذاغر منا بعد وما ذا خسرنا؛

وماذا اضنعنا بقبولنا ما نزلت عنه انكثرا وما صرحت به من هذا
الألماء وهذا الاعتراف؟ هل بذلنا في سبيل ذلك شيئا من
حقوقنا أو تخلينا عن شيء من مطالبنا؟ هل اعطينا بريطانيا في
مقابل هذا العربون الجسيم ثمنا؟ هل سمحنا لها ان تأخذ علينا ادنى
تعهد أو تقييد؟ كلنا يعرف الجواب على ذلك - كلا!

وبعد فهل نسيتم أو غاب عنكم ان ما تحقروا به اليوم بل تنقمون
عليه من ذلك التصريح المتضمن الغاء الحماية والاعتراف بالاستقلال
قد كان يوما انصى ما تطمح اليه اظن انكم يوم كان الوفد المصري
لا يتمنى على بريطانيا - عند بدء دخوله المفاوضات معها - امنية
اجل واعظم من مجرد اعطائها اياه وعدا بان يكون الغاء الحماية
ضمن ما تعرف به لمصر ثمة المفاوضات في ذلك اليوم (وليس
العهد ببعيد) لم يكن لوفد مصري ولا أي مصري كائنا من كان
محل أن في استطاعة الافراد ان تستخلص من برضايا العظمى
عزيمة الغاء الحماية والاعتراف بالاستقلال مبدئي وقبل
المفاوض كمرور بلا عن وكأداة تهديد وتوضيئة لهم - وصت
المقبلة.

انسيتم يوم كنا نسرئب باعناقنا التي قصها الضمأ وتتطاول
بابصارنا التي ارمدها السهاد اذ نحن في مضن اخيرة وقفهار اليأس

— الى ذلك المنهل العذب — منهل الحرية — الذي كان ممنوعاً منا
باسوار الحماية للمسلحة واسلاكها الشائكة — وقد اذبل العطش
اسلات السننن — يوم كنا نتوق ونتلهف على رشفة من زلال ذلك
المنهل الشيم — أم نسيتم ونحن في دياجير القنوط كيف كنا نتشوف
الى شعاع من ذلك السراج المنير — سراج الحرية الذي كان يطمس
سناه ضباب الحماية وادجائها المترامية الكثيفة — فها نحن اولاء نسير
في وضوح السراج المنير . ونتقم الغليل بماء الحرية النير . فامعنى
هذا التسخط والتذمر . وماذا تريدون بهذا التأفف والتضجر ؟
وما هذا القال والقيل ؟ والصراخ والعيويل ؟ والتغريب بابناء البلاد
والتضليل ؟

نخبرونا — بعيشكم — ماذا كنتم فاعلين لو أن هذا التصريح العظيم
« بالغاء الحماية والاعتراف بالاستقلال ، جاءكم في ظروف أخرى
وعلى أيدي آخرين (يوم كنتم لا تحدثون به أنفسكم ولا في
الاحلام — يوم كنتم تعدون ما هو دونه بكثير منة عظمي ونعمة
جلي — يوم كانت أقصى أمانيتكم أن يكون هذا الالغاء وعداً
موعوداً لا مرة حاصلة) — ماذا كنتم فاعلين اذ ذلك ؟ أهناك
أدنى شك في أركم كنتم تملأون الارض والسماء تكبيراً وتهليلاً
ونشيداً وترنيلاً . وتحرقون البحور في الجامر اقامة لشعائر

التقديس الذين ساقوا اليكم للغم العظيم . ونأدية لمناسك العبادة
للآلهة الذين غمروكم بالفيض العميم . أما كنتم تقيمون الصلوات
في المحراب . لا ولتلك الارباب . أما كنتم تهزون أعواد المنابر .
اعلاناً لمفاخر اولئك الاكابر . اما كنتم تنحرون النحائر .
وتدقون البشائر . وتوقدون الشموع . وتزينون الربوع . أما
كنتم تقطعون الخناجر وتمزقون الرثات بالهتاف حتي تصبحون
خرساً . لانطيقون الكلام الا همساً ونبساً . أما كنتم تمثلون
في عرصات القاهرة رواية البعث والنشور اذ تحشرون قبائل
وشعوباً في صعيد واحد متزاحمين متدافعين متكديسين اكداساً
مشتبكة متلاحمة - جبلاهاثلا من الانسانية الهاشجة الماشجة وصرحا
ممردا من الجماجم ليس فيه أدنى تامة ولا فرجة
فلو حصبتكم بالسما سحابة

لظل عليكم حصبها يتدحرج

سم تخلعون كل عذار وتندفعون في كل تيار مطلق طوفان
الفرائز الحيوانية من محاسن المؤدة والرزية . مرسلتي سيول
اللزعات الشهوانية من قيود الورع والرصاة . ساحبن لعنصر
التراب والحمأ المسنون فيكم أن يتغلب على عنصر الروح الآلهي
والنور السماوي - كأنكم كتلة جسيمة من الفوضى يطل من

يبصر فرط اضطرابها وتشوشها واختلاطها لا يكاد يصدق أن
في استطاعة النندرة التي خلقت نظام العالم العجيب من عالم السديم
المشوش أن ترد هذا البركان المتطاير اللحم والشطايا وهذه الزوبعة
المستطيرة الشرر والصواعق وهذا الزلزال البادي في أشنع صور
التخريب الذهني والتدمير الروحاني - إلى سيرته الأولى من الحياة
المهادنة المنظمة وصورته المعهودة من مظاهر الانسانية المهدبة .
وبالاختصار اما كنتم تجدون عهد ذلك اليوم المعروف
٥ ابريل ١٩٢١ الذي يسجل على ترموه تر الحياة الاجتماعية أعلى
درجة حيوانية الانسان وأخفض درجة لروحانيته ويقدم
أصدق مثل تاريخي على أصل طباع آباء البشر ساكني الكهوف
وقانصي الوحش في نفوس ابنائهم مها قدم العهد وتطول
الأمد .

اجل قد كنتم تفعلون ذلك وفوق ذلك لو أن غنيمه هذا
التصريح بانغاء الحماية والاعتراف بالاستقلال التام جاتكم في ظروف
أخرى وعلى أيدي آخرين . فإياكم اليوم لانصنعون عندهم مشار
ما كنتم صانعيه ذلك ؛ بل ما بالكم لا تكتفون بمجرد اظهار
الارتياح والانشراح . بل بمجرد السكنينة والنبات . بل بلزوم
سنة الصبر الجميل حتى تروا عواقب هذه البوادر وتنتج هذه

البشائر . فان لم يكن هذا ولا ذاك فاماكم مجال المعارضة الشريفة
في صفاء جواهر الهدوء والحلم اللذين تقتضيهما سنن الجدال وقوانين
المنافسة - رابئين بنفوسكم عن مواقف التعرير بالشعب والتضليل
وعن خبث مواطن الارجاف والتهويل وعن سفال مساف التشنيع
بالوزارة الدستورية الساعية الى خير الامة المثلة لأمانيها الباذلة
اقصى الجهد في تنفيذ رغابتها - وعن خسة مهابط الانتقاص منها والنيل
من كرامتها وتوجيه كاذب التهم نحوها وترويج سوء الظن بها مما
يفسد اذهان الشعب الذي تدعون انكم قادته وابطاله الذائدون
عن حياضه ويسم عقيده ويضل رأيه ويطمس على نور بصيرته .
مابالكم تحاولون باخماد جذوات الأمل في النفوس وابدالها ظلمة
الياس تنبيط الحزم وقل الذرائع واقعاد الامة عن مواصلة السبى
في سبيل الجهاد أو تحويل ذلك السبى في شر السبل واشدها
وبالا - اعنى سبيل المشاحنات الحزبية والمطاحنات الفرقية
وتقاطع الارحام والصلوات . وتدابر الخلفان والفتات - ذلك
السبيل الذي طالما اغرستم الناس بسلوكة فلم تجدوه يؤدي
بقضية البلاد الا الى شر غايات الفشل واحرج مضايق
الكرب وأوخم مراتع الخيبة كما قد شاهدتم أن نذير الخطر
كلما كان يصيح بالشعب محذراً الاسترسال في ذلك

السبيل سبيل التنايد المقوت والامعان في شعابه
داعياً الى الرجعة لسبيل التضامن والاتحاد فيطيمه الشعب
جامعاً كلمته حاشداً صفوفه - ادبر الشر والطلاح . واقبل الخير
والفلاح . وابرمت روح الاتحاد من أسباب القضية ما كانت
آفة التفرقة قد نكثت وتقضت . ووثقت عزة التضافر من
أركانها ما كانت ذلة التخاذل قد هدمت وقوضت . فأشرق نجمها
بعد افول . وأورق عودها بعد ذبول . تقول لقد جربتم هذا
وذاك ولقيتم من الخطتين النعمة والمصاب . وذقم من الكاسين
الشهد والصاب . فهل انتفتم بتجارب الزمن . وحنكتكم
تقلبات الدهر بين نعم ومحن . وهل فقهتم الصروف . وفطنتكم
قلونات الظروف . وهل سبكتكم نيران الكوارث في بوتقة
التمحيص والتهديب . وقومتكم أيدي الحوادث بتفاف الاصلاح
والتأديب . أم وجدتم هذه الموى والعوامل بمعزل عن ندائها
وبمنقطع عن صوت دعائها . فكانت انما تحاول في هدايتكم
تحريرك الجبال . وسكين الرلال . وضبط هوجاء الرياح . .
واسكت العارض اسداح . وكأن موقع وحيها وتماليمها من قلوبكم
موقع الرقم على صفحة الاء . والنقش في أديم الهواء . وكذلك لم
تجد هذه المؤدبات الالهية . والمهدبات الطبيعية . من بينكم الا

كل نافر شرود

جامع في العنان لا يسمع الزج ر ولا يرعى الى الرواض
فلاى قوة في الكون يرضخ من أبى الرضوخ لاستاذ
التجربة ولاى ارشاد ينصت من لم يصنع الى وحى العواقب .
وأى درس يحفظ من أهمل درس الاسباب والنتائج . ولاى
صوت يأذن من أغلق سمعه دون صوت الطبيعة . وبأى مصباح
يسترشد من أغمض طرفه عن سراج الحق . وبأى شئ في هذا
الوجود يصدق ويؤمن من خادع نفسه وغالط ذهنه في الواقع
المحسوس والحقائق الملموسة ؟

وأى انكار للحاصل والواقع أشد من انكاركم لتلك الحقيقة
الكبرى التى أصبح بصرها الضير ويسمع وقع آناها الاصم
ويكاد يتحرك لها رفات الاموات في قبورها - تلك الحقيقة التى
بتنا نتقلب فى مضاجع راحتها ويزاعطاف نعمائها ونجنى باكورة
ثمارها يانعة جنية : من تحكم فى اورنا وتصرف فى ادارة شؤوننا
وقبض على ازمة السائفة فى حكومة بلادنا وتأسيس برلمان
كأرى برلمانات العالم دستورية واحسنها نظاما ووزارة مسؤولة
أمام ذلك البرلمان قد قام رئيسها الجليل نروت باشا يبرهن للناس
على حسن نيتهما وتقدم لهم أمثلة صادقة من مبدأ مسؤوايتهما بما

قد جعل يلقبه علي الملأ مرة بعد أخرى من خطبه الرائعة المملوءة بروح الديموقراطية مما لم تهده البلاد قبل اليوم من أى وزارة قامت بين ربوعها أو رئيس تقلد زمام الحكم فيها . ثم بتنفيذ نصوص هذه الخطب بالأعمال الجليلة والنتائج العماية .

أى انكار للواقع المأموس أشد من انكاركم الغاء الحماية بعد ما أعلنت ذلك بريطانيا وصادق عليه برلمانها وكساه الصورة الشرعية والصيغة الرسمية وبعد ما أمنت عليه دول العالم وهلمت له وصاحت وتواردت به التهنئة تطير أجنحة البريد وتهفو على ساريات الريح . كانت تشترك فى اعلاها الطبيعة ذاتها فتهامس نرجواد الرياح ويمضى بشراة المساء للصباح . فتقولون بعد كل هذا انه ما حدث حادث ولا تغيرت حال . وانه

تخدرص وأحاديث مالمقة استمعنا اذ عدت ولا عرب
عربون نسي لا سمعها ورين المظاريب موها
كلام فى كلام ووضغ أحلام ورماد يدرفى الاجفان وتخدر
أعصب وئذن فبحقك هل كم قاتين دالك لوسيف اليكم
هـ رـ معبى ندى آحرين أم أتم لانعرفون بانفضل
ومقدرة لا د نحدركم من طرق مخصوص محبب اليكم
ولا تتحدثون بانعد الازاء فى علاف معين مبصومة

بمärke معينة لفابريكة معينة لا تعرفون غيرها ولا تعرفون بسواها
ولا تؤمنون الا بها ولا تأخذون الا مصنوعاتنا - ثم المقاطعة
التامة والويل والعفاء على البضاعة بعينها اذا صدرت عن فابريكة
أخرى تحمل ماركة أخرى - فأنتم انما تعنون بالواسطة لا بالنتيجة
وكل ما به حكم هو الرى لا الكائن الحى المشتمل به واوعاء لا المناع
المنطوى تحته ومن كان هذا شأنه متعلقاً بالاعراض دون الجواهر.
منصرفاً عن مادة الحقائق الى هباء المظاهر . كان يعيش فى عالم من
الخيالات والاحلام . ويقلب فى جو من الاكاذيب والاهام .
وان تشأقل عنه ولا حرح انه لا يحى ولا يعيش ولا يكون ولم يكن .
آيت شعرى ماذا تقول للذين يستقبلون نعمة الله بالسخط
والنقمة ويلقون فضله العظيم بالاستياء والاسف آيت شعرى
ماذا تقول للذين يلقون وجوه اليمن الضاحكة بوجه مرودة
عاسه . وينفرون من عرائس النعم المرفوفة عليهم باعطاف
شامسة . أفلا تقول ان الطباع البشرية قد انعكست فيها فدواعى
السرور اسحوهم وابسائر الصفو لسجيهم . وابساص الامل
يورهم اقباط الياس وأسباب الطمانينة تنير فيها هواجس
الوسواس . فأى فائدة رجبى من أمثال هؤلاء لصالح العالم
عامة ومنفعة أوطانهم خاصة أى فائدة رجبى منكم امن هذا

دأبهم وديدنهم سوى انكم تعملون على اماتة الامل و تقض
العزائم و نكث الهمم . تكذبون الصغو . و تعكرون الصحو .
وتجعدون السلس . و تخشنون الاملس . و تعرون السهل .
و تعقدون المنجل . و تثيرون على رونق الاماني للشرق غبار الضجر
و التبرم . و تعقدون دون كواكب الرجا غيوم الظاير و التشاؤم .
لا تفكرون تقيمون مناخه جديده . على مصائب رهيمة . ثم تجعلون
تشاؤمكم هذا دليلا قاطعا على صدق و طنيتكم . و تسمون انكاركم
للواقع المحسوس و اقامتكم القببات في سبيل تقدم البلاد الى غايتها
المدشودة عنوانا على فرض اخلاصكم و شدة تفانيكم في خدمة القضية .
نخبروني بربكم أهو الاخلاص و التفاني الباعث الحقيقي الذي
يدفعكم الى اتيان ما نأتون من المراضة في الواضح المستنير . و المكابرة
في انكار ما يراه الاكبر و البصير . و هل حقا تمقدون في صميم
افئدتكم انكم أنتم و حذكم بصون و ان فريق التيمز و الاستبشار
هم المنافقون ؟ و هل حقا في صدوركم و حدها يتأجج لهيب الوطنية
و على قلوبكم دون غيرها يتنز وحي الوطنية و هل الوطنية لم تضرب
في عرس ذكركم . و ان تجد في سوى جواحكم منسكها
و محرابها . و خائفكم مداره يدافعون عن قضائتها . و لم تجند
غير عسكر يدعون من حوزتها و هل هي لم تتعشق سواكم

ولم يهتم قلوبها الا بكم . وهل كل من عداكم خونة غدرة و فجرة كفرة
وهل انساكم حب الوطنيه اغراضكم الذاتية وما ربكم
الشخصية واذهاكم عن طلب الجاه والمنصب والرياسة والهالك
عن الولوع بمظاهر الالهة والفخامة والزخامة وهل صرفكم
الشغف بالوطنية عن الشغف بهتاف الناس لكم في كل شهر من
الأرض والناداة بأحياتكم وبغليد ذواتكم السامية العلية .
في هذه الدنيا الفانية الدنية وباستقامت ضد اعدائهم وتكفينهم
ودفعهم

واذا كان ذلك كذلك فهل من حق الوطنيه عليكم ان
تخذلوها في ادق ساعاتها واشد ازماتها بمحاولتكم صدع الشمل
وهدم البناء وتمزيق الوحدة وتفريق الكلمة بضم معالم الحق
الابلج . وترويج الباطل اللجاج . واقاد الهمم والعزائم عن مواصلة
السعي الى الغاية المقصودة وصرف الامة عن الاخذ بالعروة
الوثقى وانتهاج الخطة المثلى والانتفاع بما سواه اليها الحظ من
الارباح وانعام واستثمار ما تنازل عنه الخصم لمصلحتهم من الفوائد
والمزايا وعن مضاعفة حوثها وقرتها باستخدام ذلك السلاح القوى
الذى استفادته أخيراً بفضل مساعي الوزير الكبير ثروت باشا

سلاح الاستقلال الشرعي التام - الذي أصبحنا اليوم نجتني باكورة
ثماره؟ امن حق الوطنية عايكم ان تصنعوا هذه الهبات وما هي
الاسهام تصمون بها كبد الفضيحة المقدسة ومدى تزعقون بها اديها
وهماول تهدمونها كياها أم هن نسيتن - وليس العهد بيميد
- يوم خدلتموها وهي امامة في قسطاس المفاوضات الرسمية اذ كانت
تبهل اليكم ان تلتفوا حولها واتسدوا أزرها ليكون من جماعتكم
محتشدة ومن كالتكم مندجة خير قوة ترجح بكفتها في الميزان
قتشيل كثرة الخصوم وتنهى عنس والنعس بهمكم وعلى أيدكم
قبل أعسموها ونصرتهم وأجبتهم ساءها وايتم نداءها؟
أبعد هذا كله تدعون انكم وحكمم الوطنيون ومن
سواكم غدرة، ففون وان بوسية قد خصت بكم وحبست
عليكم هزمت حيث أتم ان عكم بتمدم ولاه تاخره
هذا سيف حد ... زروع عريب كالتيلانه سبه
قبل صيرد كنه لاسبه اي ... بين ياهتمه على أهل
البد ... كنه وحقا ... ره ار حتراعه وانكم
أن ... رك ... مها مزية لانفراع ربحه
واسأبره ... من ... يفتوز ابره مر محوقات لله
حلا ببحا سته تعون كانه زرع رأس ... نسه تعون وناس

ما يستثمرون . فاحتكروه وحدثكم واستأثروا به وامنعوا منه
خلق الله قلل استطيعوا أن تحسنوا الى الناس اكثر من
احسانكم عليهم بمنع ميل هذه « الوطنية السامة » من السريان
في كيانهم الصحيح المعاني ولا اري كفارة لجريرة اختراع مثل
هذا الصنف من الوطنية افضل من قيام مخترعه بدسجيله واحتكار
امتيازها نفسه دون غيره وما يستدعي ذلك الاحتكار من صيانة
خافي الله الآمنين وعباده الصالحين من سروره وآفاته

الوطنية المحضة الصريحة المحاسنة الصادقة لا توحى بأمثال
مدد النفع ولا تغري بانتهاج تلك المسالك انها ابل مقصداً
واكثر نفعة من أن تأمر بغرس بذور الاحقاد والخدوش والتأثير
والإساءة بين ا . . . واحدا وتدريق الكلمة
وبدليل الصفوف وفرط العقيد وقصم العمى هي قد تضر
الامة وان كان بالعمارسة الدورية السوية الواقعة في حدود لرفق
والله اعلم بالصواب
من راح صدقة رمدكم = حجة المأخضة .
التي من البرعين يتحرد عن مراتب
ف واتمه عن عوامل لاهواء والنهي متناقب الكرم

والعفة والحياء ودمانة الطبع ورقة الجانب ولين العريكة وسجاجة الخلق - أعنى كل ما ينحصر في مدلول تلك اللفظة المفردة الانكليزية التي اصطلح على تعريبها بلفظة « الرجل المهذب » . فالعارضنة - تلك القوة الهائلة التي تعد بحق من أقوى عوامل تنظيم الهيئات الاجتماعية والسياسية وأفضل الوسائل المؤدية الى حسن التوازن في كيان الامم والشعوب - يجب أن يكون القائمون بها من أفاضل القوم أعنى المهذبن الذين حاولنا وصف محامدهم ومناقبهم لأن تكون سلاحاً في أيدي الطائشين الخرق المتهورين . ولا المتفاخرين بما آتاهم الله من قوة السواعد وجهارة الاصوات وصواعق الصيحات المنتشرين من خمر الزهو والتهيه والادلال بتسدة البأس وقوة الفتك ونخوة الفروسية والحماسة الذين يهزون اقلامهم كما يهز مفض الرحال نبات والشوم - أو بالاختصار - لا يصح أن يسم سلاح المعارضة المرير الى «فتوات» السياسة لا يصح أن تستخدم المعارضة في تضليل السذج البسطاء من الجماهير والتغريب بهم ترويج الاباطيل والاكاذيب ونشر اشاعات السوء والاراجيف وتسميم الاذهان باكاذيب التهم والظنون مما لا يساعد مثلاً ذرة على خدمة القضية ولا يتقدم بها شبراً واحداً نحو النجاح بل يعمل بالعكس على تعريضنا للخطر

الجسيم . لا يصح أن يتولى المعارضة من لا يهمهم منها إلا اتخاذها
ذريعة لخدمة الأغراض والأمرأة وهم يعرفون الحقائق ولكنهم
يتعامون عنها نعامي البصير في الليلة الضمراء ولا أن يتولاهما
القدر إذ النظر الدين لا يبصرون الحقيقة لما يحول دونهما من رجب
الأكاذب والأضاليل . ولا أن يتولاهما القوم البهاسون بأسنة
الأقلام وحراب المطاعن وعجز الكلام . الدين لا يذهب ولا يصر عينهم
الأزيرانية في المارة حريمته وساحة قمانه ونها
بدماء المناظرين وناقشين سبيل صبات الألاهه وأسالات
يراعانهم من جراح الكرامات الدائمة ومن كلوه الأعراض
المنلومة فهذا وحده الذي يسره ريتفيمه وبدرنه لا يرخصين ولا
ينمود أطريق المطرق والسوس والعتور فاعلم مما تأفونه أو
يميلون كثيرا إلى سلوكه وليس لاهجنا عندكم جرح ورك أو كبر قيمة
وبدل ما هو أساسي ضروري للمناقشة الحرة والمعارضة النزيهة من
صناعة حو التمدوء والحلم والرزية الضرورية لرضاء نور الصدق
وسطوع نجم الحقيقة تراهم يكسرون جوقة الأثر ثنائي يبرون فيه من
غبار الشغب والشر ويعقدون في أرجائه من دخان الأساءات
والاعتداءات باليم المقال ومضاضه . وهذه الخلال اعمر الحق
ليست مما يجب المناقشة إلى اربابها رذوى البراعة فيها والافتنان

في اساليبها ولائها يجعل ميدان المناظرة ذلك الندى المأنوس الذي
يشتاقه ويرجع اليه او لوالفطن والالباب بل هذه الخلال السيئة
اجدر ان تبعض المناظرة والمناقشة الى من يرجون حل مشكلاتها
وانارة شبهاتها من ذوى الفضل والحجى - اذ يرونها الى الصراع
والملاكمة اقرب منها الى الحاجة . وبالجلاد والطعان اشكل منها
بالمباحة . ويررن بمآلها الحق ان يسمى مأسدة وهسبة تحول فيه
الضاربات باهران وتصول بالانياب والمحاب . فليس يجرأ على
ولوج بابها ودخول عابها الا من تحصن في الجانن الوامية .
وسرل لدروع اصفية وليس يخفى ما يكون لا اذ اهل اهل
والتمى عرش اسياسة من نحر الجسيم على سلامة لقايق
والبدىء يجمع شعة القرع لوقدة من النفاذ اليها والاشراق
عليها وابرزها للعين في ضياء الحجج المنير والبراهين الساطعة
وذلك من شر ما يتلى به أمة عظيمة متحمة اعرس يرى
انأولة من الحريه والاسمائل في ظروف عصبية ورمب شديدة
وجو مغيب مظلم تحل فيه احوح ما تكون الى الاستنارة اتسهب
الافكار وروح يبح الفطن من عقول اعمورة المختارة من نخبة
ابنائها المحرين انواع
نحن لا نصدقهم - الكلام في الضعف في وطنية مصرى

كائننا من كان. لأننا ننظر إلى الوطنية نظرة أوسع وأعمق مما اعتاد أن
يلحظها بها أولئك الذين يعدونها ضربة من الحرف وصنفا من الصناعات
والمهن يحترفونها فيقال فلان وطني كما يقال فلان مهندس أو
طبيب أو أوامك الذين يعدونها حلية وزينة يتملح بها المتبرح المتأنق
فيقال فلان قد برع في الوطنية وصدقها كما يقال قد تفوق فلان
في البياردر أو الرقص أو الساي. ولكننا نرى الوطنية شيئاً أعرق
من كل ذلك في كيان الإنسان وتركيبه وأشد امتزاجاً بنفسه وأرسخ
جذوراً في طبيئته وأرباب أصولاً لا يمدو الحقيقة ذقناً عنها
هي بفعل مادة حياته وعنصر كيانه فهي ليست حرفه إلا إذا كان
التفلسف ذاته حرفاً و ليست حياً إلا إذا كان السعور والو- من ذاته
حلية ولا هي مما يفتخر به بل هي ما يفتخر به به صاحبها بحجة دلالة
الإنسان إذا صح أن يفتخر بالإنسان على حروفه ويرهن ميرمه سبب
سوى أنه حي يرزق وموجود تحت الشمس يستطيع أن يتحرك
ويهضم والواقع أن الإنسان بطبيعته مطيع مباح هو مدني. مطيع
وإنه بطبيعته وخرايى بطبعه لعد ذلك من أمره وهو مطر
المكون من مجموعته من الحيوان المدعش يسمى الإنسان بل
أنى لأذهب إلى أبعد من ذلك وقولاً أن الوطني، عني فرط
تدبت الإنسان وتعلقه بالأرض أتى منها أساساً رنجاً ليست

مقصودة على النوع البشرى بل مشتركة مشاعة بينه وبين كافة
فروب الحيوان من لئمة الى الفيل ومن الاسفنجية الى النسر -
كل لا يقرب ولا يهدى بل في هراة وبيته . بل ان النبات ذاته
وطى اذا نقلته ان يروى في غير عالمه ذوى فدل
فان .

اكرم من ذلك ان الوضعية اكوبها بريرة وبيها
كسائر الغرائز تفعل فعلها وتحرك شوطها مستقلة عن العقل
لا تقول ان اهتلاذ عن مثل فرس الاموشي - دائر و
تتقن به حيوانه تروى حبه واكر ذلك شى - بريرة و
من محاسن صمدية وبيها . كرون اطنيه راحة مبصرة
ويكن ذلك ليس من وثايتها ولا من طبعها تصفها غررة
كـ ترانزيتى لا - رتبع -

ازلى غير حاصه -
ان ترى الوطنية مندومة في مجراها في غير صحبة العقل بل انقد
تسلك الوطنية مسكها في غير صحبة السمود فيأتى الرحل العلة
الوطنية من حيث لا يشعر نه صنع شيئاً البته واكر من حسن
عناية الله وتوفيقه أن لهم الوطنية الانضمام الى العقل والابضواء
تحت لوائه لأن العقل وحده هو المبصر الناظر وسط

ظلمات الكون والدليل المهتدي بين مضالته ومجاملته وكل سيّء عسار
في صحبة العقل فقد ضمنت له السلامة وقدر له النجاح . وكل
مالم يكن كذلك فقد تعرض المتالف واسهدف الهالك .
على أن العقل حينما يصبح الفريرة المسماة الوطنية
لامساحة في انه يكسر من حدتها ويفل من سورتها لما يتحتم
عليه من مراقبتها وتديرها بالكبح من جماحها وصددها في الاحايين
الكثيره وقدمه ودمع طغيانها وتوقيفها عند حد الامان وفي دائرة
السلامة فنصبح بلا شك - من حيث مبلغ قوتها وشدها -
أضعف بكثير من الوطنية المستقلة عن العقل الراكبة رأسها
للمائة على وجهها وعنايتهمها الناس بالمتور والتراخي ان ربما
ما امرت راحياتهم في كالت الالهانية ستبده
حياء في دور حاسر أعي قيمة وأعظم عددًا ورجب الاحلال
ر تيار ر اوف التبعرة السارية في ضياء العقل ومن ثم
ف - ي - ت - ا - ي - ر - ط - ي - ع - ا - ك - ر - و - ا - ي - و - ا - ش - د
حرمًا وحررة في استهير وابعاميع - واهاتتدفع فوة ووحية
وهيما كلة ارداد نصيب صاحبها من العلم والفلسفة حتى اصبح
الكثير من نوانغ العلماء والفلاسفة وفي مقدمتهم « جيتا » أعظم
محول الالمان يتهمون في وطنيتهم والحقيقة خلاف ذلك فان

الوطنية في كلا الفريقين جوهر لا يقبل التجزئة والتقسيم ولا
النقص والزيادة وإنما يختلف مظهرها في الفئتين تبعاً لشدة اندفاعه
وطغيانه بلا رقيب ولا مدبر في الواحدة أو انطوائه في زمام
العقل وعنان الحكمة ومسراه في ضياء الرأي والبصيرة في الثانية.
وبعد كل هذا الكلام أرجوا أن أكون اقنعت من عساه
يكون قد أساء فهم مرامي فظن أني طعدت في وطنية فرد ما من
أفراد شعبنا الكريم - أني ما قصدت البتة إلى ادنى شيء من
ذلك ، بل الذي أقوله هو عكس ذلك كما حاولت إثباته بإبراهيم
الآف من ن ثوطنيته تظهر في فتنة مدارضين على أشد ما بدت
فيه لوضعية منذ خلق العالم من اسطع الصور واعنف لمظاهر
من كان فيها عنة وناهي الافراط والطغيان لا الفتور والضعف
وإن كن بها آفة فبأنيك هي العنف والبغاش لا الاين والهواذة
من كنت ادعيا ، بيت ، فذلك هو زيادة لا التدهور

وهو من ن لدين يدهيون إلى فصل الوطنية عن مظاهر
التعقل من لانة والتؤدة ورفق والهودة بحجة أن هذه العوامل
من ، أن تضامف من قوة نوصنية ، تكسر من حد ، فنعوق
كبيراً ونبلاً ، من فرط اندفاعها وسدة اصباها ، ما ترمى
اليه من شريف ، بيتها - قد فطنوا إلى ، وعامت عنهم أشياء.

لأنهم نظروا الى الامر من وجهة واحدة ولم يستوعبوا سائر جهاته . وكذلك النظر الجزئى الى عظام المسائل جدير ان يضل صاحبه ويعمى عليه الشيء الكثير من الصواب .

لقد فات هذا الفريق ان الغرائز والمواطف معها شرفت ونبات ومهما كرم غرضها وحسن مقصدها فانها اذا لم تجعل تحت رفاة العقل (الذى هو وحده منبع النظام وأساس سلامة الكون) تصبح مرضة الموهوع تحت تأثير آفة الآفات ومصيبة المصائب وادوى ادواء المجتمع والداء اعداء الانسانية — اعنى داء « الانانية » ، وليس هذا محل الخوض فى هذه المسألة الكبرى وما اظن المجال ينفسح أو يسمح باستقصاء البحث والدخول فى الجزئيات والنفاصيل وضرب الامثلة — على ان القارىء اذالقى هذا الكتاب برهة وراض الدهن على خصمه نظرية جهده طاقتة لم يبخل عليه بالجمل العديد من الشواهد والأمثلة المؤيدة لهذه القاعدة العامة — خذ مثلا بسيطا : عارفة الحب التى هي انزه انمواطف فى أصلها وطبيعتها وأشدّها تضحيجا وبراءة من الانانية بل اقبلها الانانية اذا تسربت اليها آفة الانانية فنقدت تلك المزايا الكريمة والمناقب الحميدة — فقدت روح التضحية وانزاهة وروح النفاق فى شخص المحبوب فاصبح صاحبا اكبر اهتماما بنفسه

منه بحبوه واشده عشقاً لدانه السخيفة السمجة منه لذات معشوقة
وشغف واهيم بملاحات جماله ومحاسن دلالة منه بمفاتن الحبيب
فكل عنايته واكثرانه لذسه وكل عواطفه وشهواته تدور حول
محور نفسه . ومن تم تصبح نفسه « السخيفة السمجة المقوتة »
هي الصنم الذي ينصبه ويخر له ساجداً ويريد معشوقته المسكينة
على أن سجده أيضاً ثم بدلا عما يكون في حالة طائفة
الحب التزيه الطاهر من تلك الفضيلة الاخلاقية الاجتماعية
الكبرى أعنى روح التضحية السامية القاضية نسيان العاشق
ذاته الخفية واتجاه كل ملكاته وقواه وجهوده نحو خدمة النوع
البشري ثملا في شخص حبيبه وتقديس المجتمع الانساني مصوراً
في هيكل معشوقه — ترى جميع قواه وملكاته قد انماكست
نحو ذاته لمقوته فيظل يحسب أن نفسه هي الجوهر الوحيد في
الوجود وان سر الكائنات اعراض خسية وان كل ما في
الكون من خلائق لم توجد ولم تكن الا لتسره وتلذه وتسعى
في خدمته واسبح بحمده . لا يحسن القارئ أن في كلامي هذا
شبه من البلاغة فاقد رأيت بعيني رأسي كثيراً من هذا الصنف
من العاشق ولا أداني مغالياً اذا قلت أن مثل هذا العاشق لا يعير
محبوته من الاهتمام عشر معشار ما يبذله في سبيل انتقاء «دبوس»

أو « بباغ » أو « حمالة » أو في سبيل المقارنة والمفاضلة عند
اختياره لون ثيابه بين « الكحلجى » و « الكريم » و « الكاكي »
ورأيت أن مثل هذا العاشق ينتهى به الأمر الى خسران محبوبه
وخسران الصاحب والصديق والخللان . وكلما ازداد جمالا فى عين
نفسه ازداد قبحا فى عيون الغير وكبر مقتنا عند الخلق والخلق .
نقول لقد فات ذلك الفريق أن العواطف والغرائز مهما
شرفت وبلت فانها عرضة للإصابة بداء الانانية مالم تحصن
برادع العقل والرأى . ولما كانت الوطنية كما بينا آفغا عاطفة
وغريزة فهي بهذا الاعتبار والحكم عرضة لداء الأنانية - لا يقىها
من شره سوى العقل الذى هو الدواء القتال للأنانية ولغيرها من
العواطف الخبيثة والشهوات الشريرة . لأن العمل هو القوة
المدبرة المسيطرة على الكون . هو اس النظام ووسيلة الصلاح
وعامل الرقى وهو الدواء المستأصل لجرائم الفساد والشر والفوضى .
وهو سلاح الحق الذى لا يزال ينصر به فى كل مظهر من مظاهر
الحياة وفى كل ذرة من ذرات الوجود على جيوش الباطل . وب
كان الباطل والغي والشر والفساد والفوضى لا تزال تتخذ من
العواطف والشهوات أثوابا تلبسها وتظهر فيها وأدوات تستعملها
فى اغراضها ومطايا تركيبها الى غاياتها المرذولة فلسنا نخطيء اذا قلنا

ان وظيفة العقل في هذا الوجود هي محاربة الشهوات والعواطف .
لذلك نقول ان الوطنية باعتبارها غريزة وعاطفة اذا نحييت
عن مسقط اشعة العقل قام حولها من ظلمات الاهواء شر يئمة
تتكون فيها جرائم الاتانية المنكرة وتظهر بمظاهر شتى من
التعصب والاشيع والتحزب وما يستدعيه ذلك من التباغض
والشاحن والتحافد والتضامن وحب الأنتقام والنار ولذة التشفى
والشهادة .

هذه الخُذ بالدقة هي التي تسرد اليوم في فريق المعارضين
المتشاكين - وطنية قوية تتسبب لاشك فيها ولكنها وطنية
مرتدية ثياب التعصب والاشيع مدفوعة بمواهل التحافد والتضامن
ساحية بسيف الانتقام والنار - أعني وطنية مساحية بكامل عدة
الانانية وأصحابها - أو بعبارة أخرى - أقرب الى الحقيقة - انانية
مساحية - ح او طية

الآن حسب القارىء - أدرك انى كفى (المتناقضة في
- عرء - مسته في حفية - رب أقول للمعارضين ان الوطنية
يكون انى حده عتب نون ايه ان أعمالك لا تتوزع مع
لوطنية

لوطنية كغيره من امرئ والعرف طف لانتزج المنج

القويم المؤدى الى الغاية المفصودة الا اذا تسيطر عليه العقل لأنه
يعصمها بذلك من أن تنقاد في عنان الانانية أو تجرى وراء
الاغراض الشخصية . لأن العقل لا يوافق الا بالصدق ولا يريم
الا وراء الحقيقة - فهو يهيم أثر الحق متمعاشاً اليه متلهفاً عليه
كالمين منهومة بالحسن تتبعه

والانف يطلب أقصى منتهى الغيب

صدا ، مستهاما - أقول كذلك يهيم صاحب العقل في طلب
الحق ممرضاً نفسه لتفاد السن المعارضين تنهش عرضه وتفري
أديه ويكذب يمتنى رغم ذلك كالسهم المرسل والسييل الجارف
رسا من كوكب أو كما طا

رت من البرق شقة في نعام

والناس يعجبون له كيف لم تستر هذه العوامل المهيبة
عند الله التي كأنها الصخور الصم . أو الهضاب الشم بل
يبين أن من هذا الانسان وما كان بلا عواطف
وتشعر به في أثر الحق فهو عديم العواطف لا عاطفة
اهيم بسحب حقيقة فأما عواطف الاستياء والغضب والتأم من
الاشن و مشعب ومضيض الهجاء والقذع وعواطف الاحقاد
والاصعب و - حسب والتشيع فهذا ما ليس له محل في صدر ذلك

الرجل الذي افعم قلبه حب الحقيقة افعامالم يدع مجالاً لأي عاطفة أخرى . فاذا كانت العواطف والشهوات الانانية هي مقياس انسانيه الرجل ومسيار بشريته فانه يصح لنا أن نخرج مثل هذا الرجل من عداد البشر ونجرده من الانسانية فنسميه أي شيء الا انساناً. والواقع انه أشبه ببعض الآلات والمكينات (كآلة الاحصاء مثلا التي تمر خلال جملة عمليات حسابية بغاية الضبط والدقة وبلا ادنى شعور أو تأثر بما يحيط بها من المؤثرات الجوية والعوامل الكونية - الى نتيجته مضبوطة لا تقبل تغييرا ولا تبديلا) منه ابداء البشر .

تقول أن الوطنية في مثل هذا الرجل لا يخشى عليها من بوادر الاهواء والشهوات وآفات النجيز والتعصب اعنى من مظاهر الانانية . فوطنية هذا الانسان خائفة ان تعد وطنية محضة صريحة نزيهه نقيه - منطوية على عناصر الخير وعوامل النجاح مضموناً لها ادراك البغية وبلوغ الغاية .

فهل وطنيه اخواننا 'معارضين هي من صنف تلك الوطنية المحايدة ابجدة من المادة البشرية والعناصر الانسانية اعنى من العواطف والشهوات - هل وطنية المعارضين هي من قبيل

تلك الآلة الحسائية للمركبة على مكينة العقل المجرد ودينامو
الفكر المحض - هل وطنية المعارضين هي تلك الآلة العقلية
المتحركة الفعالة في صفاء الفكر البحت وأثير الرأي الخالص - في
جو صاف تقي الأديم من كل شائبة للشخصيات والميول الذاتية -
هل وطنية المعارضين كذلك أم هي أشبه الأشياء « بالفاتوس
السحري » يجاؤ على ناظر كوسط الظلام معرضاً مستعراً من
الصور والاشباح يحاول مديره أن يدهشك بصورة هذا البطل
وشكل هذا الهمام - أم هي (أعنى وطنية المعارضين) أشبه شيء
بداخل المعبد أو الكنيسة كل جذراتها مزدان بالتصاوير
والتهاويل والدمى والتماثيل - وأنت بين هذه الانصاب والاصنام
لا يسمح لك أن تبدى رأياً أو تجهر بفكرة ربما كان لك أن تحاول
قط ذلك ولا أن تظن أن لك فكراً أو عقلاً بل كل ما يجب عليك
اعتقاده أنك لم تقم ولم توجد بين هذا الجمع المحتشد من القديسين
والشهداء والملائكة والعذراء إلا التسبيح وتحميد وتبتهل وتضرع
وتخرساجداً لهاتيك الآلهة على عروشها

لو كانت وطنية لمعارضين هي من صنف وطنية العال المهادئة
المحايدة المحضة المجردة من نزعات العواطف ونزعات الشهوات

الذاتية والميل الى الشخصيات والتشيع للاشخاص لما كانت - كما
شاهدنا مراراً وتكراراً - عرضة في كل آن ولحظة لان تغتاظ
وتغضب بتأثير الاهواء والغايات وتثور وتهيج بعوامل الحب
والبغض والحقد والضعينة مما صيراهما بالهناك الشخصية أشد
منه بالمسائل السياسية واكثرهما الذاتية - اخصوصية أعظم منه
لأ مبات المسائل العمومية. واتقد اثبت العلم والفلسفة انه اذا ضعف
سلطان العقل على العواطف أصبح تأثر الانسان بالمسائل الشخصية
مما يمس شعوره الذاتي وما يتصل مباشرة بشهوته وأغراضه أشد
الف مرة من تأثره بالمسائل القومية والشؤون السياسية ومن
ثم ترى الرجل الذي لا بأس في وطنيته واخلاقه ابلاده ربما
اغضى عن الكلمة يكون فيها مساس عظيم بحقوق وطنه
واكفنه لا يفضى على اللفظة يكون فيها أدنى مساس بشعوره
الذاتي واحساسه الشخصي . وترى عين هذا الرجل ربما سمع
الطعن في مذهب حزبه وشيعته فيحتمله هادئاً وادعاً مبتسماً فاذا
ما وجه الى شخصه أقل مسبة ثار تأثره فارغى وأزبد . ثم أبرق
وارغد . واخطأ اسانه بالسب واللعن يصب على رأس شاتم
صواعق غضبه وحنقه . وربما سبقت يده الى ذلك المعتدى
باللزمة أو اللكمة بل بالخنجر او المسدس

اشتد اختلاف الناس في أى الاشياء اندر وأعز وجوداً في هذا الكون العظيم . وأنا أقول وأؤكد ان أعز الاشياء واندرها في هذا الوجود هو العقل القوى المتغلب على سلطة العواطف . واعتقادي ويقينى ان مقابل كل الف فرد ممن تتغلب فيهم العاطفة على العقل في هذا العالم يوجد فرد واحد يغلب العقل على العاطفة ويحكم الملكة المنطقية في نزعات الشعور ونزواته . وایس هذا مجال الاطالة والاناضة في ذلك المبحث العميق الذى عقدت له الفصول المسهبة في كتب الفلاسفة وعلم النفس ولاكننا نورد النظرية عارفة عن الشروح والحواشى احتجاجاً لقوانا ایس الا . تقول لا عجب فيما نراه من ندرة العقل القوى ازاء نقشي العواطف في العالم واستمناضة الاحساسات والشهوات في كل ذرة منه فتلك حكمة الخالق وسنة الطبيعة والقاعدة المشيد ليها نظام هذه الحياة الارضية التى لا أظها في جوهرها وعنصرها غاية في الرى والسمو ولا آة في التهذيب والنقاء والطهر والتى أنا أميل الى موافقة سونهورر» فى رصفها بأنها شر ما يمكن أن يكون من اصناف المياة منى الى مطابقة (ليننز فى نعتها بأنها أحسن ما يمكن وجوده من العولم والذنا . وسواء كان الحق فى جانب « شوبنهورر ، او فى جانب « لينزيك ، فلا مقل

الاول ولا تصریح الثاني بغير متقال ذرة من نظام الدنيا ولا بمبدل
من شيمة هذه الحياة الارضية وخلقها - ولا بناف هذه الحقيقة
المرّة الالهية وهي ان العقل ما زال ولن يزال بحكم ناموس الحياة
وتركيبتها وفطرتها اندر الاشياء فيها كما ان العواطف والشهوات
ما زالت ولن تزال اكثر الاشياء كمية وأشدّها تفشياً وانتشاراً
وان هذا الناموس الازلي (وليس لنا معشر البشر العجزة الضعاف
أن نعارض فيه ونطاعن - وما ذا تجدى المطاعنة والمعارضة - بل
كل ما علينا هو أن نتقباه على علاته ونستثمره جهد طاقتنا) هو
مصدر ما تنطوي عليه الدنيا من الظلم والطغيان والشور
والمصائب والشقاء والبؤس - بالدليل الواضح البين وهو ان
العواطف والشهوات هي بطبيعتها سفلية جهنمية ومنها يتكون
الجزء الدنس القذر الخبيث من هيكل الحياة (وهو الجزء الاعظم)
- كما ان العقل هو بطبيعته سماوي الهى ومنه يتكون الجزء الطاهر
الذقي من هيكل الحياة (وهو الجزء الاصغر). وهو توزيع قد
رأته القدوة الالهية مناسباً لنظام هذه الحياة الارضية التي لم
يرد الله سبحانه وتعالى أن تكون فردوساً أو ملكوتاً أعلى أو مقام
قديسين وإيرار - بل أرادها أن تكون (كما أنبأنا الكتب
السموية) دار توبة وندامة وتكفير عن جناية ابويتنا الخاطئين

أقرب دار الخلد - أو بالاختصار أرادها الله أن تكون سجننا أو - بعبارة
أخف وألطف - إصلاحية أو مستشفى . فاما الجنة - دار المكافأة
والجزاء ومقام الأبرار والشهداء والقديسين - فما ظن أن الخالق
سيبنى نظامها على قاعدة هذا التوزيع المحزن - ندرة العقل وغلبة
العواطف المتسلطة بجيوش الاحتماد والضغائن - بدليل قوله
سبحانه وتعالى في وصف أهل الجنة « اخوانا على سرر متقابلين
ونزعنا ما في صدورهم من غل »

نقول كذلك مذهب القدرة الالهية في خلقه هذا الوجود -
يدنا تراها كأنها كالبخل البخلاء في هبة العقل كأنها تجود به من خرت
ابرة اذا بها كأنسخى الاسخياء في هبة الشهوات والعواطف تسح
بها سحا وتهطل هطلا . فهي كلما جادت على هذا الكوكب
الارضى بمنقال ذرة من العقل جادت مقابل ذلك بليون قنطار
من العواطف - عطية مشتركة بين الانسان وسائر ضروب
الوحش والبهيم والحيوان من أعلى درجات سلم الحياة الى
ادناها على حسب أن العقل القوي المسيطر على العواطف لاتبه
الطبيعة الا لاسمى طبقات الانسان - اعنى الانسان المفكر .
هذا المخلوق البديع السامي نادر جداً بالنسبة الى ما يملأ فضاء
الله ويتشاحن فيه ويتطاحن ويتناحر ويتصاح ويتعاوى

من مختلف ضروب الوحش والحيوان وفي مقدمتها (أوفه مؤخرتها وهو الاصدق) ذلك الوحش الساعي على قدمين المسمى انسانا - اعنى الانسان الاعتيادى الخاضع لسلطان الشهوات والدوافف الذى منه تتكون المجاميع والجمهير والامة والسواد الاعظم من بنى البشر

وايس يخفى على ذى اب أن المسائل السياسية والاجتماعية حتى اينها وابسطها هي - وأن خيل للبسطاء السذج أنها سهلة الفهم والادراك قريبة المأخذ والاستيعاب لا يحتاج بحجتها ونهضها لكبير عقل أو ثقب فضنة - لى فى الحقيقة والواقع صعوبة عويصة وعرة الساك لا يستطيع أن يحيط بها ويستجلي غوامضها الا ولو الفطن والالباب . وانما هو الغرور والتبجح والدعوى التى توهم السذج البسط من الجماهير والامة انهم قادرون على فحصر وتمحيص هذه المسائل البسيطة وهم ايضا هم الحق فى مشاركة أولى الالباب فى تناول تلك المسائل وابداء الراى عنها والبت فيها . وذا كن هذا هو موقف الانسان العادى من المسائل السياسية والاجتماعية وهذا هو مبلغ ضعف عقله وقصور ذهنه عن فهم ماهيتها وادراك دواعيها وغوامضها فى حاله الطبيعية أى فى حالة هدوء عواطفه وعدم اهتياج احساساته وشهواته - فبالك بمقدار

عجز ذلك الذهن وقصوره اذا زدته ضعفا باستثارتك عواطف
الرجل وشهوته وتسليطها على ذلك الذهن الضعيف من
اصله .

ومن ثم ترى أن العامة والصبيان والنساء في كل أمة يكونون
اتغاب العواطف فيهم على العقل وامتلائهم بالشهوات النارية أشبه
شيء بمخازن البارود ومعامل الذخيرة . وهذه المزية العظيمة لا تخفى
بالطبع على عشاق المعارضة في كل أمة فهم كالصياد يعرف مسارح
الظباء ومسارح المها وكالمنتجع يهتدى الى مساقط الغيث ومنابت
الكلاء . أقول أن زعماء المعارضة يعرفون مواضع تلك العناصر
للإتهبة والمواد المفرقة من قلوب العامة والصبيان والنساء فما
هو الا أن يرسلون عليها شرارات مما يجيش به صدورهم حتى
تشتعل فتتأجج .

فالى زعماء المعارضين اللاعبيين بألباب الصبية والنساء والعامة
تقول . اتقوا الله في عقول اضعفها الطبيعة لا تزيدوها ضعفا
واتقوا الله في احلام خففها الطبيعة لا تزيدوها حفة وطيشا
وراقبوا الله في عواطف واحساسات قابلة نلاتهاب بفطرتها
لا تضرموها على اربابها وعلى البلاد نارا حامية . واخشوا الله أن
يراكم تسلون من قلوب أولئك البسطاء سيرف عواطفهم وشهواتهم

بمجهزوا بها على ذرة العقل الضئيلة التي تفضت عليهم به الطبيعة
مما بقي لديها من مادة العقل بعد ان كالت منها كيلا للفضلاء
النوابغ . اتقوا الله ان يراكم تطلقون سيول تلك العوطف الجارفة
تسلطون طوفانها على تلك الشراة الكيلة التي منت بها الطبيعة
على ادمغة اوائلك البسطاء بعد ما اشعلت مصاييح الفطنة الوقادة
في سماء اذهان الاذكاء الالباء . رفقا باوئلك الضعاف لا تعينوا
عليهم الطبيعة القاسية الظالمة بافسادكم ما جادت به عليهم
من النزر الطفيف من مادة الفهم يوم قسمة العقول والبصائر .
وهنا يجدر بنا القول بأن مايقوم اليوم بين ظهراننا من
تغلب العواطف الثائرة في مجال تبادل الاراء الهادئة وسيطرة
الشهوات الفائرة في مقام أعمال الفكرة الثاقبة والعقل المجرد
عن شوائب الاهواء - انما هو مظهر من مظاهر آياتنا الاول في
العصور الغابرة ونزعة رجعية الى عسبية ذوى الثارات والعداوات
من اجدادنا أهل البيد والفلوات

ان أهم ميزات الطبقات العليا على السفلى والخاصة على العامة
هي ان الفئة الاولى لحدة ذهنها وقوة للملكة المنطقية فيها تستطيع
التفكير والكلام في المعنويات كالنظريات والكليات والقواعد
والقوانين بينما الفئة الثانية اضعف ذهنها وقصور الملكة المنطقية

فيها ازاء قوة الحواس والاحساسات لانفهم المعنويات ولا تقوى على ولوج أبوابها وخوض غمارها فهي لا تلتذ ولا تفنى الا بما قد كاد يقصر عليه إدراكها من المراثيات والمحسوسات كالاشباح والذوات والاشخاص ولذلك اذا غشيت مجامع العامة ومجالس الصبيان والنساء الفيت حديثهم قد كاد يقتصر على الاشياء المحسوسة كوصف المراقص والملاهي وأما كن الفرجة كالمعارض وحدائق الحيوانات والمطاعم وحوانيت الفواكه والحلوى الى الفصول المسهبة الشرح والتفصيل في مسائل اللبس والتفصيل وأصناف الاقمشة والمنسوجات وآلات الزخرف والزينة الى ما يماثل ذلك ويجرى مجراه من المباحث الاقتصادية في تاريخ المطبخ والكيلاز والتاريخ الطبيعى لشتى أصناف الطيور والدواجن الى المحاضرات الفلسفية في فنون « الغيات » المختلفة الحمام والخيل وورق البريد والعملة القديمة والسجاجيد والجارين وما لا يحصى ولا يمد من أمثال ذلك واشباهه - ولكن هناك شيئاً آخر هو اعلق بأذنان هذه الطبقات واروح على قلوبهم وذلك هو التعرض للاشخاص أنفسهم (لا في متعلقاتهم من مأكل وملبس) والحواس في شخصياتهم وتناول سيرهم قدحاً أو مدحاً .

أما الكلام في المعنويات وارسال الذهن الصافي البلورى
يسبح في عالم الافكار والروحانيات وينغمس أجنحته في ضياء
الحقائق ويقلب المعانى محضه بجحة طارية عن ثياب الاشخاص
والمادة والزمان والمكان فذلك مالا تستطيعه ولا تعرفه هذه
الطبقات من العامة والنساء والصبيان وانما هو شأن العلية الفضلاء
اولى الفطن والالباب

ولا يخفى ان هذه الخصلة أعنى تعلق النفس وجولان الذهن
في عالم الحس وضعفها عن خوض عالم المعانى والنظريات هو من
مظاهر الامم والشعوب غير المنمدينة التى تكاد تنحصر أعمالها
ومساعيها في التكافح والنزعة تل وشن الغارات بعضهم على بعض
لاتزال هذه القبيلة تغزو وأختها وهذه الفصيحة تكتسح جارتها .
ثم ترى أفراد كل قبيلة لاهم لهم اذا ضمتهم محافلهم وانديتهم الا
وصف مواقف أبطالهم في ساحة الوغى ونعت ما أتوه من آيات
النجدة والبطولة ثم تمجيد الرعيم الاكبر وتقدس ذاته فأحاديثهم
وأفكارهم مقصورة على الاشخاص ومظاهر المادة لاتتعداها الى
عالم المعنويات والمبادئ والقوانين العامة .

ولا تنس مالا بدأ أن يصحب هذه الحالة (اقتصار الافكار
والحديث على عالم الحس) من تعرض العواطف والاحساسات

بسبب سرعة الانفعال والثورة والهيياج لما هو مفروض في تلك
الحالة من ضعف سلطان العقل وضوئته امام جيش العواطف .
ونحن لانزال في غدواتنا وروحانا نبصر أثر هذه الخصلة
العتيقة أعنى الولوج بالاشخاص لمجرد أسباب مادية لاعقلية ولا
روحانية وتقديس اولئك الاشخاص لمجرد تأثيرهم على عواطف
مفتونينهم من السامة لا على ملكاتهم العقلية والروحانية - بادياً
في كل شبر من أراضى بلادنا وفي كل آن ولحظة من خضوع العامة
لرجل قوى البعاش فيهم مرهوب السطاوة يسمونه «فتوة» فمن شاء أن
يرى أصدق صورة تمثل تاريخ العصور الوسطى - عهد الاقطاعات
او عهد الفروسية في أوروبا المظلمة ووقائع « قلب الاسد »
و « اوراندو » و « اماديس دي جول » فليطلع على ما يجرى من
مظاهر العواطف العمياء والانانية الخبيثة في طبقات العامة مما
يدعوهم الى تمجيد زعمائهم من « الصبوات » و « الفتوات »
وان نشأ مثالا آخر على هذه المظاهر المقوتة فتفقد ليلا
محافل العامة في قهواتهم حيث تتلى عليها قصة عنتره وأبي زيد
وانظر في وجوه القرم وحركاتهم مظاهر تلك النزعة الرجعية -
نزعة تقديس الزعيم لمجرد قوته العضلية ومزايه العدوانية
وفرط تأثيره على عواطف شيعته وانصاره . بل انظر اليهم

كيف ينقسمون شيعاً واحزاباً حسب ميولهم الغريزية للأشخاص
الخرافية السرودة عليهم افاصيصها - كل فريق يتمصب لزعيم
دون الآخريين . وكيف في سبيل انتصار كل لزعيمة الخرافي
وتشيعة له يتهيج ويتور وبما وثب على مناظريه من انصار الزعماء
الآخريين واستطال عليهم بالسب وأحياناً بالضرب . فهكذا يبلغ
من حدة العواطف البشرية وغلاء سورتها حتى في حين تأثرها
بالموامل الخيالية الوهمية المستمدة من عالم القصص والخرافة -
فما بالك بفرط سطوة هذه العواطف وطغيانها اذ تسلطت عليها
عوامل فعلية واقعية من عالم الحس والحقيقة

هذا هو الحاصل بيننا اليوم وذلك هو شأن المعارضين
ومن شايعهم وتابعهم - والا فكيف كان يمكن ويتأتى ان ينكروا
الحسوس والمموس ويماروا في الحق الصراح ويلوموا غير ملوم .
ويذموا غير مدموم . ويرتعوا سائمة الهجاء في غير مرتع .
ويشرعوا صادية القدح في غير مشرع . وكيف - لولا هذه
الحال التي شرحناها - كان يهون عليهم ما يحاولون اتيانه من تفريق
ذات البين وتبديد الصفوف وتمزيق الوحدة وفك الاواصر .

حتماً ان المعارضة اذا خلت من عوامل العواطف الشخصية
والشهورات الحزبية وصحت من سكرة الأثرة والانانية عز عليها

أن تأتي كل مامن شأنه عرقلة المساعي وأضعاف المجهودات وايداء القضية . ولكن ماذا تصنع المعارضة وماذا تفعل الوطنية اذا أصابتها الانانية ، اليست الانانية جديدة ان تصم أذن العقل وتخرس صوت الضمير وتغشي ناظر الرأي والبصيرة . وتطرح في زوايا الاهمال كل مسألة وقضية الا مسألة شكائتها الوهمية وظلامتها الخيالية

وفي هذه الحالة تقوق وتصبو الى فكرة الانتقام . وقدما قبل ان الانتقام حلولذيذ عند الانسان الاعتيادي الحاد العواطف وكم رأينا وسمعنا عن التضحيات العظيمة تبذل في سبيل الانتقام ومن أجل تذوق حلاوته واستمراء لذاته . ولا جرم فالانتقام هو كما وصفه الروائي الأشهر « السير والتر سكوت » « اشهى لقمة طبخت في نار جهنم »

ولا عجب اذا رأينا المعارضة رغبة في الانتقام تشن الغارة على الغارة وتصول بجيوش المظاهرات وتقيم مسرحاً عظيماً للشغب واللجب والصبياح تلعب عليه أو تتفرج جماهير العامة والنساء والصبيان مدفوعة بما جبلت عليه تلك الطبقات من حب الهياج والصخب والضوضاء وبما فطرت عليه من التنف بمشاهدة ملاعب الصراع والملاكمة مما يثير شعور ويميل تلك اللذة الحاصلة

من التهاب العواطف واشتعال الشهوات - فضلاء عن اللذة المترلدة
في المظاهرات من احتكاك الانسان بالآلاف المؤلفة من الاجسام
البشرية ومن تفرج الانسان على مثل ذلك العدد من الوجوه
الآدمية المختلفة السحن والملامح .

كذلك تحاول المعارضة الانانية قلب الحق وثق ومسحها وتشويهها
وانكار الواقع للموس والمشاهد وطمس ما اثر الذين ساقوا البلادهم
الخير والغنيمة وجحودا لما طوقوا به جيد الوطن من بيض
الأيادي - تحاول بذلك شفاء غلة جهنمية . وانتقاماً لاساءات
وهمية . وقد تفلح وقتاً ما في ترويح مذهبها بخلقها جواً من الهياج
الوجداني والانفعال النفساني تلهب فيه العواطف وتحتدم الشهوات
- تبذر في ارجائه بذور اراجيفها وتذرو في انحائه لقاح اباطيلها
واضاليلها . ولكن هذه الحال ان تدوم وماهي الا مؤقتة - شأن
غيرها من الاكاذيب التي هما يتمد اجلها فآلها حتما الى الزوال
والفناء .

وكذلك تلك الارجيف والاباطيل وتلك الظنون السيئة
بالحكومة الحاضرة والله الكاذبة مما لانفتاً المعارضة تصوغه
وتختزعه - هما صادفت من الرواج في هذا الدور الاول من العهد
الجديد بسبب مايسود في اذهان بعض العليقات من عـامل الحيرة

والارتباك المثيرة للريب والشكوك من تأثير صدمة هذا الانقلاب السياسى الخطير - فهي لا بد أن تأخذ فى التناقص والهبوط والكساد ثم يؤول أمرها الى الاضمحلال والزوال على مر الايام متى تتابع على ابصار تلك الطبقات من مزيد الشواهد والآيات وتوالى على بصائرهما من جديد الحجج والبيانات ما يححو من اذهانهم ذلك الخلط والارتباك والحيرة - ويرزلا بصارهم الموقف الجديد ومعالمه وحدوده وخصائصه ومزاياه فى اجلى مظهر من الحق الصراح .

واكن حركة القضية نحو النجاح وسير البلاد الى الغاية المنشودة من الرقى والفلاح دائية مستمرة لا تنتظر ذلك اليوم الذى يسطع فيه نور الحقيقة على ابصار المضالين من مفتونى المعارضة . لقد نهضت الطبيعة بنفسها فقبضت على زمام القضية بيدها القوية تدفعها فى سبيل التقدم - فمن ذا الذى يقوم فى وجه الطبيعة يردّها عن قصدّها وغايتها ؟ وأي قوة بشرية تستطيع للمطبيعة دفعا أو مقاومة أو ليس اذا هبت على شىء ماربح المدد والمعونة من جانب عرش الله اصبحت أقوال المعارضين فى هذه الريح الشديدة هباء . وذهبت اراجيف المعاكسين فى نفحاتها جفاء هذا بحر السياسة العجاج قد لان جانبه . وسكنت غواربه .

وسلم قياده . واطمان مهاده . وقد سررت فيه الملك وانسابت
تمخر الى الامام عبايه . وتشق الى مرادها جلبابه . تزجيهما ريح
السلام ويهدبها كوكب اليمن والتوفيق . فلترعد المعارضة ولتبرق .
فما شئ من ذلك الصخب والضجيج بضائر الفلك في مجراها .
أو صارفها عن قصدها ومبتغاها .

لقد ولجت البلاد باب الحرية سواء اعترفت بذلك المعارضة
أم لم تعترف . وقد ملكت البلاد فريضة سبيل الاستقلال سواء
شاءت المعارضة أن تصدق ذلك أم لم تشأ . وقد انبرت البلاد
تجتاز تلك السبيل كمنت بذلك المعارضة أم لم تؤمن

لقد اعترف بانقضاء الحماية وباستقلال البلاد في الداخل والخارج
وأمنت على ذلك دول العالم وتواردت به التهاني من ملوك الارض
وقد زال العهد القديم واندر وطواه الدهر فيما لا يزال يطويه كل
لحظة من هالك هذا العه . وهماياته . فلن يرجع هذا العهد حتى
يرجع أمس الدابر

وحتى يزوب القارضان كلاهما

و نسر في الموتى كليب بن وائل

وقد اطلق سبغ الاستقلال - نايوس جنازة العهد القديم
المنذر وبوق البتارية بميلاد العهد الجديد المبارك وكان دويه

المستفيض يحمل صوت البشير مممناً في ظلمات الغيب الى ذرية
المصريين من أهله المستقبل البعيد في عالم الدرر متغلغلا الى
الى أعماق الأبد!

الفصل الثالث

الحالة الحاضرة

واجب الامة في موقفها الحالى

من كان يسره التشبث بأهداب الامانى البعيدة والهيام
وراء اشباح الخيالات فالعاقل من اغتبط بالشىء الواقع وان قصر
عن مدى أمله ووقع دون غاية مبتغاه . وحسبه أن يكون ذلك
الواقع منظوياً على عنصر الخير وجرثومة لفلاح
ألا ما أعظم الواقع المدرك الحاصل فى حوزة الامة وما أجل
خطره وقيمته ! أليس هو الدررة المستخلصة من أعماق بحر الخيال
وجوهرة السننفة من غم ربح النظريات والاحتمالات . أليس
هو ذلك الشىء الذى أممك حقيقة ثمة مؤكدة لا ريب فيها
ولا سب ولا يثيب ، الباطل من بين يديها ولا من خلفها ؛ أليس
هو الذى ينبىء به لامة نظام الحياة والعمل -
و هو الذى ينبىء فى معارج لوى والرفقة الى حيث
يتبع به من شجور ولساعى ليلات كان من الحزم
واحكامه أن نقسث لانه بايسوت . ايها الحفظ من الخير الواقع

اشد تشبث وتذتفع به جهدها وتستثمره وتتخذة وسيلة وسببا
الى غيره من الثمرات والفوائد بفعل الجهد والعزم والمثابرة .
نحن لاندى أننا قد نلنا اقصى اماننا القومية او بلغنا غاية
مطالبنا الوطنية . واكننا نقول ونصرح أننا ادركنا شيئا كثيرا
ادركنا الاساس المتين الذى نستطيع أن نشيد عليه صرح
الاستقلال التام بفضل الجهد والمواظبة وماكنا فوهة السبيل
لذى اذا تضافرنا على اجتياز اوعاره واقتحام عقباته ادانا بلا
شك الى اقصى غايتنا المنشودة .

لذلك ترانا نعجب كل العجب وتمتلئ قلوبنا دهشة من
الذين لا ينفكون ازاء هذه المنافع العظيمة والفرائد الجليلة يصيحون
أن حتمنا السياسية باقية على ما كانت عليه من قبل لم يطرأ
عليها أدنى تغير . فهو يقول مثل هذا الاغفال عن الحقائق الناصحة
والسواهد الملموسة او متغافلا ؟

من يشك مخارق كما من كان ان يربها نيا بتصرعها
حزير ، لذى اعرفت فيه بالغا الحمية ربه استقلال البلاد قد
محت من سجات السياسة رات ربح التات الصحينة "سوداء اتى
سجات بها على مصر الحماية المشورة ، فاصبحت مصر بفضل
حبات رده مستقلة ذات سيادة فى نظر الدول وفى اعتبار الدول

جمعاء وأصبح من المفروض على الدول قانوناً أن تعامل مصر على هذه الصفة كما تعامل سائر البلدان المتمتعة بالاستقلال التام. ولمصر الآن كامل الحق في طلب الانضمام الى عصبة الأمم متى شاءت وفي صيرورتها ضمن أعضاء هذه العصبة. وأصبح غير محظور على الدول أن تعاملنا معاملة النظير للنظير وأن تراعى معنا كل ما هو مقرر بين بعض الدول والبعض الآخر من الحقوق والحرمانات والواجبات فليس في استطاعة الدول الآن أن تنكر وجودنا مثما فعلت حينما أوصدت في وجهنا أبواب مؤتمر فرساي واعتبرتنا أمة عديمة الشخصية قاصرة لم تخرج بعد من حقوق الحماية والوصاية بل لا تملك حق الكلام والتعبير عن ذات صدرها.

كل هذه لمزايا العظيمة كانت الحماية تحول بيننا وبين التمتع بها. فقد زل هذا الحائل بزوال الحماية وأصبحنا في حل من التمتع بها واجتذء عظيم ثمراتها.

هذه خطوة كبرى خطوناها في سبيل الاستقلال التام. وبغضب كبير لشيء الكثير لذي لا يستطيع نكرانه الا غافل عن الحقيقة الصادقة ومتخافل. أما بقية أمانينا وتكلمة مطالبنا والشيء الذي ينقص اسنة لاننا فهذا منطوق في المسائل التي احتفظت

بها بريطانيا معلق على تسويتها تسوية نهائية في المفاوضات المقبلة التي سيكون لبرلماننا الحق في تحديد موعد افتتاحها وانتخاب المفوضين فيها والاشراف عليهم .

هذه المسائل التي احتفظت بها بريطانيا لم يقل قائل ولا خطر على بال انسان انها قضاء محتم لا دافع له او ضربة لازب باقية على الابد او أن بريطانيا قد احتفظت بها بصفة نهائية لا تقبل تحويلا ولا تغييرا . وانما هي شيء عارض لمدة مؤقتة اقتضته ظروف ذلك التطور السياسي العظيم كما ورد ذلك صراحة في تصريحها الخطير .

فاستقلالنا في الحاله الراهنه وحتى تم التسوية النهائية بشأن هذه التحفظات في المفاوضات المقبلة التي سيشرف عليها البرلمان انما هو استتملال حكى اكر منه استقلالاً فعلياً وان كان قد انتج بعد نتائج فعلية عظيمة الشأن كالى المعنا اليها آنفاً من ارتفاع الرقابة الانكليزية عن أعمال الحكومة في كافة أركان الحكم والادارة وكالذى يسرى الآن في البارز من مبدأ مسؤولية وزارة أمام الشعب ممثلاً في برلماننا المسموع في الشاء .

لذلك لاندنى أننا قد نلذ أسمى أماننا ونزد باذنا الغيا ولم يدع ذلك رجالنا العاملون المحابرين لا أدهاد نصر انهمضت

الحماية وفارس حابيتها دولة الرئيس العظيم ثروت باشا فقد أورد
دولته في غضون رده على تهمة الحكومة البريطانية بمناسبة
اعلان استقلال مصر هذه العبارة الآتية التي جمعت بين ادب
الكتاب التحرير ودم - السياسي التبرير والتي يتألق في ديباجتها
المصروفة - ورقة اخضر بولينه شعاع الوطنية الحارة ووهج
الغيرة النبوية مما يحل بلاد ومسقبل لأوطان قد سرته
الركيز نرزون صاحب الاعراف الآنف الذكر (مع حسن رده
على تهمة يارق منها عبارة والطف اشارة) بذلك الأمر الجليل
ومرر - عمر اتمتع بحالة لرمنة رانها أشد ما كانت بفضة
وانابة - وبتين حتموقها - فدالب حير - يقول دولة الرئيس
في ذلك لرد

وأمر العرب لثمة المتكلمين ، يرند جليل ، في ثابته - كبريه
صاحب ، في - - - - -
الحد ، و - - - - - في - - - - - على وبة أمة المسألة
المعروفة في - - - - - و - - - - - على صلات الود
و - - - - - - - - - - -
نحن - - - - - الكريمة ، وادركها الغيرة وولما المدي
وبلدة ، في - - - - - و - - - - - في سوا امة الهيم ، واربهم

مطايا الجهاد . وارخواقسى النضال واغمدوا سيوف الجلال .
واقترشوا مهاد الراحة وتوسدوا وثار الدعة وتمرغوا في حجور
الصفور وتقلبوا بين اعطاف النعيم . ولو قلنا لهم ذلك اكننا لهم
خادعين وبهم مغررين ولحق لهم اذذاك أن يتهموننا بما به يصموتنا
الآن زورا وبهتانا من التعمية والتضليل . ولكننا من وجهة اخرى
لا نقول مع جماعة المعارضين اننا على حالنا الأولى لم نتقدم فيد
قتروا وتأخروا ولا نحارى المغالين منهم في زعمهم ما هو اكثر من ذلك
اذ يقولون ما نانا خيراً بل شرراً ولم نتقدم خطوة نحو البغية بل
تأخرنا خطوات وان الوزارة - معاذ الله - لاتناصر الأمة بل
هي الى خذلانها اميل وان القادة الامجاد (الذين سخرهم الله لخدمة
الشعب واظهار حجبته وتأيد فضيته) لا ينهضون بالوطن الى
ذروة المجد والعلاء بل يهبطون به - لا قدر الله - الى الوهدة .
نحن لا نقول ذلك لاننا لا نعتقد ولا أنه غير الحق ولأن شهادتنا
لا يترعنا على قراءه ونتبعه من دون النطق به الستنا ولو فعات
الكتابها في الساطمة والسوانة لنا - اى وداننا - نملأ
باوضح الاية . تاملنا اظهر الآيات البيئات أن حكومته
اليوم هي غير حكومته الا من يران دولة رئيس الوزارة و صحاب
المعالي يزملاءه لم يتربعوا في كراسى الحكمة الاعلى في رطاسته وه

من الرأي العام واردة الأمة . وانه لو لم تعترف اكلترا بالغاء الحماية
وباستقلال مصر لتقبلوا الوزارة وليأتى خلال الملك أن بكل
اليهم العناية بأمر النظام الاساسي فهم من هذه الوجهة ومن وجهة
مشاركة الأمة في كفاحها وجهادها لا يمكن فصلهم عن مجموع الأمة
واعتيارهم حكما بالمعنى العميق المتقضى يتحكمون في الشعب بحكم
الأسف المستبد الذي لا يحترم ارادة الأمة ولا يعترف بسلطتها
للقديسة - كما كانت الحال في العهد السالف

ذلك عهد قد اتقضى وباد . وقد اصبحتنا اليوم في عهد جديد
ميمون تتضافر فيه الأمة والحكومة معا على تقويض صرح
الاستبداد ونسف دعائمه واستئصال جرثومته لتغرسا شجرة
الحرية المباركة اعنى شجرة سلطة الأمة التي تزرعها في تربة الوطن
العزير بين رفات الاباء والاجداد وتسقيها دماء الشهداء من
ابناء الأمة لتزكو على ضفاف النيل المبارك وتنفع ببرد ظلالها
عظام العرب والفراعنة في اجدادهم وتغدق على الابناء والذرية
ثمارها اليانعة الجنية .

فالوزارة اليوم من الأمة والأمة من الوزارة وهما في الحقيقة
كتلة لا تنقسم ووحدة لا تقبل التجزئة وحلقة مفرغة لا يعرف
اين طرفها - هذا من حيث الاخلاص في الوطنية وصدق

الحية وفرط النيرة والنضحية والتفاني في خدمة القضية وان
 اختلفت منهما الوسائل والذرائع - كل يؤمى في خدمة الوطن
 وظيفته . فالحكومة ترسم الخطط والبرامج وتهد السبل
 والناهج . كفرقة الكشافة في الجيش العرمرم والامة من
 ورائها كالجند تتقدم وترحف محتما من المواقع الحصينة والاماكن
 الخطيرة مايدلله لها فرسان الطبيعة .

بيد أنه لا يفوت الامة ان هذه الطبيعة أو الكشافة
 (أعنى الحكومة) قد لا تستطيع - ولا سيما في مثل ظروفنا
 الاستثنائية المترتبة على تطورنا الفجائي - أن تنجز كل هذه
 الاعمال التمهيدية في بضعة أيام أو أشهر (مهما تأقت القلوب
 واولمت النفوس بسرعة هذا الانجاز) وانه لابد للجيش (أى
 الامة) أن يمهل طبيعته الكشافة ويعطيها الكفاية من الوقت
 ملتصقا لها وجه العذر مقدرًا حرج مركزها وصعوبة موقفها
 معاونا لها بما قدره عليه الله من حسن المؤاتاة والمسامحة والملاينة
 والصبر الجميل والتأييد والتشجيع - ذا كراً تلك الكلمة المأثورة
 لرجل الدهر نابليون بونابرت « الدنيا بخذافيرها تنساق في النهاية
 لمن يعرف كيف يصبر »

وجدير بالناس ان يذكروا هذه القاعدة الخطيرة وهي ان

الانقلابات السياسية لا تستلزم الغاء النواميس الجارية والدساتير
السائدة ولا تستدعي هدم الكائن من نظم وتقاليد وابقاف سير
ماهو تاهذ من أحكام ولوائح فتصبح البلاد فوضى لانظام ولا
فانون الى أن يتم انشاء البرلمان الجديد ويبنى عليه أساس الحكم
في البلاد . فهذا مناقض لسنة العمران في العالم ناقض لاسباب
النظام والامن والسلام . وهو مالا يكون ولا يمكن أن يكون
أو يتأتى بحال من الاحوال . وهما هي الشواهد التاريخية تدلنا على
أن الامم التي هبت من قبلها تطالب بحريتها قد أصدرت يوم
استقلالها أوامر بابقاء أحكامها العسكرية نذرة توثيقا لاسباب
الامن وتوطيداً لدعائم السلام وتغنياً لتناسيق أركان الحكم الجديد
تحت لواء النظام .

جدير بكل فرد من أفراد الشعب أن يفتن تمام النظمه الى
حقيقه موقوفه ليدرك ان كونه أضعف ممازقهها ورموره
مساكم وه يعترضها في كل خطوة من المصاعب والمشاكل
فيعضف عنها بكرهه وتؤذي من عوارض البر والكرم والمروءة
ويستث من سبيل من برة وتهدل بنظره وسوف نصنع
عساها أن تثنى وتذرت وتعمد تعقد - سنى لارتق القهجاتى - كم
وابراز الرأى خفا غير ناضح

نحن اليوم ازاء مشكلة من أعرض المشاكل لايتأتى حلها
بسوى التعقل والروية والتبصر وذلك مالايتسنى الا فى جو صاف
من الهدوء والسكينة تسود فيه الاناة والتؤدة ويشرق فى افقه
سراج العقل المتبصر المتدبر - وأساس كل ذلك هو كما المعنا فى
موضع سالف هدوء الخواطر وسكون الجوانح وثبات الجأش
والجنوح الى الرفق واللين والهرادة والحسنى وتوخى أسباب
الحلم والمجاملة والروية فى لخطاب وأساليب الادب والملاطفة
والدمثة فى مجال المناعشة والمناظرة - شأن أفراد الامم المهذبة
الراقية التى يحق لها أن تفخر بسمو مكانها فى درج المدنية
والحضارة

ن مشاغبات والتساحنات واستنارة العداوات وذر
الشفق ما كانت قط لتؤدى الى خير ولا لتتقدم بأمة خطوة
نحو غايتها المنشردة ولا سيما اذ كانت أمة فى متلى مركزنا
السياسى تد وضعت قدمها على نتمحة سبيل الاعمال والجهودات
العظيمة لاوصول الى مديانغية من أقصى غايات الاستقلال تمام .
نحن الآن أخرج ما كركرذ الى العمل - الى العمل المنتج
المثمر - الى عمل البناء والتعمير و التسييد والتجديد . نحن لان
أخرج مانكون الى تنظيم حركتنا وتذيق نهضتها بضم

شواردها وجمع شتاتها ولم شعثها وتسييرها في منبج قاصد قويم
يسود في جوه العقل والنظام والحكمة والتدير .

لقد انتهت حركتنا من دورها العاصف العنيف وجرت
شأوها المحتدم المضطرم وأدت ماعليها من مهمة الهدم والنسف
والنقويض - هذه الحماية ونسف دعائم الحكم المطلق وتقويض
أركان التدخل الاجنبي . أجل . لقد انتهت حركتنا من دور
الهدم والتدمير . وأن لها أن تدخل في دور البناء والتعمير لقد
هدمت برج الحكم الاجنبي ووضعت على انقاضه أساس
الاستقلال - وقد آن لها أن تبذل أقصى الجهد في أن تسيد على
هذا الأساس صرح الاستقلال التام .

فكان حركتنا كانت في دورها الاول العنيف التائر أشبه
شيء باسيل الجارف المنهمر المصطدم بالصخور والجلاميد المتوثب
بين العقاب والاوزار - وهي في دورها الحالي الهادي المطمئن
يجب أن تكون مثل هذا السيل حيث ينهي من الصخور
والاوزار ويفضي الى أرض سهلة سنوية لكنها قفرة جرداء فعلى
هدم السيل أن ينكب في فضتها متسلسلا منسجا هينا لينا
واكثنه كوزن مع ذلك قويا شديدا جائسا زخارا يودي ماعليه
من واجب الري والسقي ورطوبة الاخصاب والانتاج فيحول

الجذب خصبا . والصخر عشبا . ويترك الفلاة الجرداء .
جنة غناء .

وهذا ما لا يكون ويتم الا بالالفة والاتحاد وهما لا يتوافران
الا بحصول الثقة المتبادلة بين عناصر الشعب وأحزابه ثم بين
فئات الشعب كافة وحكومته . والثقة المتبادلة لا تأتي ما دام
سوء الظن متسرباً الى النفوس . ومعلوم أن سوء الظن هو آفة
الشعوب ولا سيما في أدوار انقلاباتها السياسية وتطوراتها النظامية
اذ في مثل هذه الظروف العصبية تكون النفوس هائجة تائرة
والخواطر مضطربة قلقة ومتي كانت النفوس والخواطر كذلك
أصبحت بيئة صالحة لجرائم الريبة والتهمة تعشش فيها وتبيض
وتفرخ منتحة الضغائن والاحقاد المؤدية الى اعظم الشرور والمضار
لا جدال في أن ما ادركناه من الفوز السياسي الأخير
وما اكتسبته القضية من النجاح والتأييد بما صارت اليه من
المركز الحصين الجديد لجدير أن يعد من أعظم دواعي الابتهاج
والاستبشار ولا جدال أيضاً في أن هذ الابتهاج والاستبشار
الذي نراه متفشيًا في جانب عظيم من الامة ممن عسى انهم
تأثير ما يروجه المتشائمون من باطل الاشاعات والاراجيف اذ
ازداد تفشيًا في مجموع الامة وسرايينها في آفتاتها وجوانحها كأن

من اكبر أسباب النجاح وأعظم وسائل اليسر والنوفيق وأغزى
مصادر الخير والبركة والفلاح - فانه لا خلاف في أن روح
الابتهاج والاستبشار من أقوى بواعث الهمم ومرهفات العزائم
مما نحن بامس حاجة اليه في موقفنا الحالى لاقتحام ما لا يزال
يواجهنا من المصاعب والعقبات كما انه ليس أضر بنا في الحالة
الراهنة ولا افسد لتقضيتنا من بت روح التساؤم المثبطة للهمم
والعزائم الموهنة للمجهودات والمساعي

وأى نىء - هداك الله - أجلب للخسارة والبوار وأدعى
الى العشل واخيبية من هبوط العزيمة وثبوط الهممة وأى شىء
أشد اضاءة للحقوق وافساداً للامور واذهاناً للدولة والسلطان
وإبادة للمجد والحسب مما تحذنه روح التساؤم والسخط والضجر
فى الامم والشعوب من خور القوى ووهن الارادة الداعيان الى
داء التمحذ والتوكيل والتورر ترين

وعلى بكس من فدى نىء احلب الهمم والمائدة وادعى
الى النجح والفلاح وأجمع اشمل الامر وأسوط السلطان والدولة
ر ك - - - - - وح النفاؤل والاسميسار
من ت - - - - - لداعيان الى التوسر والاضافر
ر شىء لا تدمبه قوة امرية ومه الهممة ، ان قوة

العزيمة لتوجد لكل باب موصد مفتاحا . ولكل شبهة مظالمه
مصباحا وتبرز كل شيء في صورة جديدة وشكل مستحدث .
وقد رأينا الرجل القوي العزم المصمم للمضاء يستطيع بشكل
وقفته اراء الحادث الجلال وبهرة صوته وسط ملتطم الخطوب .
ومصطدم الكروب . أن يأمر الالهية الدهياء النهر سيلها
المتدفق تيارها . فتحمده وتقف . ويزجر الكارثة الفكراء المنتشر
شره الماسيطر سررها فحمد وتكف وقد جاء في المثل القديم
« ينال الظفر من يرى نفسه قادراً على نياله »

أولم نر منل هذا الرجل الماضي العزيمة في شخص بعالم
النهضة الحالية عبد الخالق ثروت باشا ، ألم يقف هذا الرجل العظيم
في وجه الحادث الجلال وقفة من يشعر أنه يحمل بين جنبيه من
روح الله ومدده ما هو أجل من الحادث الجلال ومن رده .
وكفه وقمه .

رحبنا رفع ثروت باشا سوته المهيبة يؤيد قضية وطنه
ويصعب برده حوقه المغنصبة أنه لسمع الملائكة في برات ذلك العورت
العميق تلك لربة العاصمة تقوية لتافدة الى اعماق قاب الاسبداد
القارعه حبه فؤاد السطوة والجريرت . أأ لسمع العامر برارة
ذا . بصوت المرهوب ذاك الدوي القاصف القهر العلاب الذي

ترتعد من هوله فرائص الظلم وينزوي من هيبتته شبح الباطل
المتسلط على الامم بسلاح الدغيان والعدوان ؛ - ألم يسمع العالم
في نبرات ذلك الصوت الجهير تلك الرنة المؤثرة العميقة التي اعتاد
أن يسمها في صوت الطبيعة القاهر المتغلب على كل قوة انسانية
في صوت الرياح العاصفة والرعود الفاصفة . والموج الطامح .
والسيل الجائح . ألم ياق هذا الصوت الهول في نفوس الانكيز
حتى تار له نائرة وفامت من أجله قيامتهم يوم تفرت أحزابهم
ووثبت طوائفهم تفرق من عظم ما نادى به ذلك الصوت
وتستكبر من طابه و . اشتراطه - يوم ضج برلمانهم من هول تلك
السروط والمطال - وصاحب جرائدهم وندجت تحذر القوم من
ارصوخ اثبات المصائب وتعان ان في قبولها ما يؤذن بتهديد عظمة
الامبراطورية وساطنها واضعاف شأنها وكيانها ؟

أما في ذلك الوقت من ايامهم - فرح وطير . ما استقر
هم . ويخرب عن نومهم ونعمتهم - ويرتجروا روح نفوسهم والبايدوا لتشجيع ؟
ألم ينالوا هدهدات من تأييد روح الرجال العظيم في ارواح
الرجال . وترتجروا في شعورهم ووجدانهم .
ألم يابوا في ذلك الوقت من رجالهم الذين استمتع منهم
الاشارة في يومئذ . ما رزقوا حجب

الغيب ويستطيع أن يتبين اقصد الطرق وأسد المسالك الى تلك
النتائج والعواقب خلال العقبات والقهم والمآزق - فهو في الحقيقة
خير من الف رجل بل هو المسيطر والمسير للامم والشعوب
ممن لا يستطيعون استبانة النتائج والعواقب ولا الاهتداء الى
ما يؤدي اليها من الاسباب والوسائل ؟

وماذا ترى يكون الاساس الذي يقوم عليه صدق النظر
وتفاد البصيرة في عطاء الرجال أمثال ثروت باشا؟ هو بلا شك
رباطة الجأش وهدوء النفس في الزعازع والزلازل . وذلك ما يؤثر
عن وزيرنا الجليل ثروت . لقد روى عن اكابر قواد العالم
أن أحدهم كان يزداد سكينه وهدوءاً كلما ازدادت زوبعة القتال
من حوله بورة وهياجاً وأن القائد العظيم « مايرا » كان ذهنه
يظل اصفى ما يكون وادق حساباً في اشد ادوار الموقعة اضطراباً
وارتباكاً . وان بعضهم كان اذا انهزم جيشه وولي الادبار ووقع
فيه من المهرج والمرج والتحبط والفوضى ما يعترى لجيوس
المديرة ساعة المهزيمة باغ من صفاء ذهنه في تلك الساعة العصفوف
الهوجاء ودقة تفكيره وهدوءه باله انه كان يستطيع رد تلك الفلول
لهزيمة وضم شواردها وجمع شتاتها ومنتظيم صفوفها والكر بها

في ساحة الوعى على جيش العدو في اتم نظام وادقه فربما تمكن
بعد ذلك من القبض على ناصية الحال ثم من هزيمة الاعداء .
ويروى عن نابليون الأول انه كان آية معجزة في رباطة الجأش
وقرط الجلد والرزانة وذلك انه خسر الدنيا بمخذا فيرها فلم يابه لذلك
ولم يبيل وكأنه لم يخسر الا دوراً في لعبة الترد أو الشطرنج .

كل هذه الامثال ضربناها للقراء لتظهر بها فضل تلك الخلة
العظيمة أعنى رباطة الجأش وهدوء الدماغ في الزوابع والزعازع
وانها أساس كل نجاح وسبب كل فلاح وأن عليها مدار نهضة
الأمم والسعوب وتشديد مجدها ورفعتهما وانقارن بها (اعنى بهذه
الامثال المضروبة) وافر نصيب روت باشا من هذه الخلة المحيية
وجسيم حظه منها . ولنبين بها أن شر ما تبلى به الأمم والافراد
في أودتها العصبية هو فقدان رباطة الجأش وهدوء الدماغ
الناسيء من حور القوى ووهن العزائم المتسبب عن بث روح
التشاؤم والسخط والقنوط في أفراد الشعب وما أصدق ما قاله
أحد قواد الفرنس في هذا الصدد : ذا فقد الرجل رباطة الجأش
وتملكه ليعرف فغرب عنه عقله - كما هو شأن المروع المذعور -
أصبح لا يدري مديني وما يدر فاذا ماسأت الله شيئاً فسله أن
يفر عليك عقلك كملاً . وهه : دام لك ذلك فما من خطر يهددك

أو كرب يحزبك إلا كنت بفضل ذهنك جديراً أن تصيب منه
مخرجاً بوجه ما . فاما اذا استحوذ عليك الروح وذهبت نفسك
من الجزع شعاعاً فقد كتب لك الفشل والخيبة وسد في وجهك
باب النجاة والسلامة والفيت البر بجرأً والبحر برأً وحسبت الجبل
ثعباناً والهطيرة طوفاناً

كأن فجاج الأرض وهي عريضة

على الخائف المدعور كفة حائل

يؤتي اليه أن كل ثنية

تيممها ترمى اليه بنايل

واذا نصر فرد من أعدائه خيل اليه انه يرى خميساً عرمرما
مله في ذلك كاسكران بنظر الى السمعة الواحدة فيجالها
ألف شمعة .

هذه آفات الخبل الناجمة من فقدان هدوء الدماغ ورباطة
الجأس المتسبب عما يبتثه جماعة المتطيرين في بعض طبقات الشعب
من روح الساقط والسخط والقنوط

فإن هذه الخلل مما يجب أن يسئشعره الشعب الناهض
المطاب بمحقوقه من روح التفاؤل والاسبشار والاتباع الموقظ
للهم والعزائم الباعث على الخمة والسخط وبارك الله في العزم

والنشاط . ألم يقل الحكماء ان الدنيا تنساق للنشاط المعترم . والمنجرد
المصمم ؛ الا ترى أن قوة الارادة ومضاء العزيمة تخلق له عيتين -
جديديتين يرى بهما من ضروب الحيل والتدابير وصنوف الذرائع
والوسائط ما لم يكن يراه من قبل ؛ هلا نظرت الى الرجل المنتسائم
الواهن العزم الفاتر الهمة كيف يجد نفسه مقروراً ويظن يرتعد
ويرتعش وعليه مثل جلد الفيل وفروة الدب من دافئ الثياب
والملابس . ثم نظرت الى « الاسكيمو » ساكن القطب - ذلك
المتفائل المبتهج المملوء مرحاً ونشاطاً كيف يصنع لنفسه ثياباً
دفة من البرد والبلل والبلج ذاته . افلا تعلم - علمت الخير - ان
من المصاعب والاطار ذاتها ومن الاهوال والمحن والمصائب
يعرف الرجل المتفائل المرح العزوم كيف يخلق الاسباب والحيل
لتذليل هذه المصاعب وازالة هذه الاخطار وابادة تلك المحن
والمصائب ؛ اليسست الطبيعة ذاتها تلقى علينا هذا الدرس حينما
تراها تحفظ على البحيرات دفأها وحرارتها بتغطيتها بملاءة من
الثلج وتصنع مثل ذلك بديم الأرض تنفسيته لحافاً من الجليد ؛
ان متشائم يسكن الجنة فيصيرها من جراء سطحه وضجره
وفتور عزمه وقلة حبله جهنماً . ويسكن المتفائل النار فيصيرها
بفضل انشراحه وارتياحه وبمحدة نشاطه وقوة عزمته وسعة تدبيره

وحيلته فردوساً .

ان الانسان بفطرته متفائل مجبول على الميل الى الاستبصار
والانشراح والنشاط والعزم . وان هذا التفاؤل هو الذى يجعله
صالحاً لسكنى هذا الكوكب الأرضى الذى لا يهب الانسان
شيئاً على لرومه خداة التسخط والضجر وفتور الهضم والعزائم ولكنه
يسخوله بكل شىء على التزام سنة التفاؤل والابتهاج وما يورثانه
من سعة التدبير والحيلة . فابناء البشر باعتبارهم متفائلين نشطين
ترى كل فرد منهم كأنه بمجموعه قوى وجمعية كفاءات - فتحاله
قضيب مغناطيس فوق كرة من حديد . فكل انسان فى هذا
الوجود كأنه مبدع ومخترع قد ابخر فى سياحة استكشافية .
يسترشد بخريطة ذهنه الخاصة التى لا يوجد لها نظير مع غيره
من سائر البشر . وهذا العام الأرضى يصل فى نظر المتفائل ركبة
ابواب ومنافذ ومسالك - وكله فرص ونهزوم غامم وكله حساس
وكأن فى كل موضع منه وترا مشدودا يجاوب بالنعمة المضربة كل
عزفة عارف . وهذه الأرض الصخرية الصلدة هي فى الحقيقة
جوهر حي حساس يفيض روحا وشعورا يتأثر بكل لمسة
ويجاوب على كل مسة وجسة وسواء سبرت غوره بحراب
آدم أو سيف قيصر أو قارب كولومبو أو مرصد غاليليو أو

منطاد زبلين فلا بد أن يجاوبك على كل واحدة من هذه التجارب
باعظم جواب واروعه .

كذلك جبل ابناء البشر على التفاؤل وعلى أن يستثمروا
بفضله وبفضل ماورثه من القوة والمقدرة صخرة الأرض الصلدة
ويسخروا الطبيعة الهائلة في قضاء اوطارهم وماآربهم وعلى أن
يغتيطوا ويفرحوا برويتهم انتصار الانسان على الطبيعة وسيطرته
على العناصر وبرويتهم أن كل رجل متفائل سليم الفطرة قوي
الارادة يظل مصاحبا منظما ويكون كأنه قانون افضى الى تشويش
وقوضي فاستخلص منه نظاما وصلاحا .

وجبل الناس أيضا باعتبارهم متفائلين نشطين على الاغتباط
والفرح باستعراض ثروة الطبيعة المعظمى وكنوزها العديدة وبرؤية
هذه الذخائر الجملة بمتناول من كل متفائل مستبشر من سكن هذا
العالم . ولا جرم فذلك يمحرفي قلوب الناس ينابيع الامل ويستحتمهم
الى برقة والساجده في سبيل الساسط والهلهه

وعلى ضد ذلك النساء فانه داعية الفتور والتباعد ومجلبة
العداء ، التعمد وقدماء قيل ان قباض النساء يفتق الاعين
ويشدهن فبهو خييق أن يعد انتجارا تدريجيا
وأى خير - اصالحك الله في بث روح التساؤم والاكتئاب

في افراد الشعب وأي بركة في تشويه جمال الحياة في اعينهم وفي
تغشية ابصارهم ذلك المنظار الأسود الذي يبرز لهم كل شيء في
وداء قائم وبكسو عروس الطبيعة الحسناء ثوب حداد . ويحيل
عرسها الدائم المتجدد مآتما ويرد بشيرها نعيها . ويحدث في السلسل
الزلال اقذاء وفي مذاق الشهد الجنى مرارة وفي انسجام
النعمة الرخيمة تنافرا ويطلع في وجنة الشمس الصقيلة نكتة
سوداء ويجري نجوم السمود بالشؤم ويريك المشتري ضمن كواكب
النحس !

ولكن الخير كله والنعيم والسعادة في مذهب التفاؤل
القائل بأن هذا العالم ملك للمؤمن المجتهد وان لكل بنية وسيلة
ولكل غاية سبيلا وان كل امرئ يحمل في يده مفتاحا لاغلاق
خزائن الطبيعة ونفخا لا احتبال صيدها .

فقل للمتشائمين من ابناء هذه الامة وغيرها من شعوب
العالم - لا تشاؤم ولا اكتئاب ولا تسخط ولا تبرم . فهذا العالم
تمى تعيسون عليه وتسعون في مناكبه انما هو متسع هائل
منفعم بقوة بفلاكه الدائرة وفصوله وازمانه ومدده وجزره
ومكينته العاء الضخمة له امة تملأ الفضاء عرضها السموات والارض
ي هي محكمة البناء دقيقة التركيب لا يعترها الفساد ولا يتطرق

اليها والوهن والخلل - وهي لا تزال تصلح نفسها بنفسها بقدر
كامنة في كل ذرة من ذراتها - وهي تصنع كل شيء وتقدر على
كل شيء - فهذا عنصر الماء اتراه يعجز عن حمل أى ثقل مهما
عظم؟ وهب ان هناك ثملا يعي الماء حمله فهذا البخار امامك
فجره أو دعك من هذا وجرب الكهرباء مثلاً . فهل ترى بعد
ذلك لدخائر الطبيعة نفاداً . وهل حاولت مرة ان تزن بالقمناطير
مقدار ما تسكب القناه الصغيرة الجارية في مزرعتك من كميات
المياه ؟ اجل انه لا نفاد اثره العالم وانه لا شيء في الحقيقة
عظيم هائل العظيم الا كتنوز الطبيعة . هذا على ان الطبيعة
لا تبدى لنا سوى قسورها وسفوحها وهي من تحت ذلك بعيدة
الاعوار يقدر عمقها بملايين الفراسخ

الا أن الحزم والحكمة في التفاؤل والانشراح وان التشاؤم
دليل الحق والجود . وقد بكرت من السهل على جماعة
المتشائمين أن يحقروا مذهب التناؤن واربابه ويلحظوهم بعين
الازدراء ادعاء للفطنة والكياسة وتظاهراً بالارباب والدهاء ولكنى
أرى أن آراء المتشائمين المشرفة ومانهم البرافة وما يزخره خيالهم
من قصور هو - الموقفة بحسن الف مرة واعود بالخير والنفعة
واجاب للرضاء والمدعة مما لا يزال المتشائم يحفره من حجور السخط

والضجر وسجون الهم والشقاء .

ماذا يستفيد العالم من أولئك المنشائمين الذين لا يبرحون
يبصرون في كبد السماء فوق رؤوسهم كوكباً أسود يتخلل لألاء
الضياء والسحب البهيجة الالوان . وربما احتجب آوارة وراء ما يعر
دونه من أمواج النور ولكنه لا يلبث أن يعـود ظاهراً أقبح
ما كان وأشد سوادا .

وعلى خلاف ذلك التفاؤل فانه منبع الحول والقوة والباعث
المحرض على السعي والعمل . وعندى ان الرجل الذى لا يجعل همـه
تحيب الحياة والطبيعة الى الناس باظهارها لانظارهم في أحسن
صورة وأجـمـل مظاهر كن موته خـبـراً من بقائه . وعدمه أنفع
من وجوده

التساؤم مرض يتناول صحة والهم يهـه شريطه "مقل
وأساس الحكمة . والابتهاج آية ذلك وما ته . والبر الكريم
والأرب اليب هو من حراك فيك نسب الأمل وأشعر قلبك
روح النقه وردالبقر وعنتت مرق الله من ذلك مرز
الجزع وجرتك فحة الكرب وأشعر ر ذلك في الخوف
ومضاضة اليأس .

وانما كان الابتهاج والاسراع وسية المنح وسبب العمود

في هذه الحياة لأنه سنة الطبيعة ومنهجها ويحيل الى أن الفرح
والسرور هو روح الطبيعة ومنبع حياة الكون واعلمك اذا
استطعت أن تنفذ ببصرك الى صميم قلب الوجود ألفت ذلك
القلب يدفع لدى كل نبضة من نبضاته تيار السرور الآخر في كل
وريد وشریان من اوعية جثمان الكون حتى يظل نظام الكائنات
بمخايفه مغموراً بفيوض الفرح وسيول الحبور يدفع بأمواجها
الطامية ويفرق . فان ترى في نواحي الكون موضعاً مهماخلته
جديبا الا ما كان في الحقيقة مفعبا بالخبر والبركة . فأفقر مكان
يحتوى من البراء مالا يكاد يحصى مقداره . وأجذب محل لا تستنفد
حاصلاته ولا يفرغ من جتاء ريعه وثمرته .

وكل صوت من أصوات الطبيعة ينتهى بلحن ويختم بنغمة .
وكل صفحة من صفحاتها تزخر ف حافتها وتدبج حواشيا الصبغ
الجميلة والالوان البهجة

لا تماق على جدارك الصور الكئيبة المحزنة ولا تلوث
أحاديثك بسواد الشكوى وظامة الدشاؤم . ولا تكن من
الصحيح والابن والتأفف والتههف والتحسر والنضجر . وكن
على أن تظل صناجة تضرب الملاء بموسيقى الولايم . أحرص منك
على أن تبث نواحة تبكي الجماهير بمراى الماء ولا يصدرن عنك

من المقال والفعال الا ما جدد من أمل . أو خفز الى عمل . أو
استنهض همة . أو استثار عزيمة .

من كل ما تقدم يستنج اننا في موقفنا الحالي ازاء ما يعترضنا
من العقبات وما يكتنفنا من المصاعب نظل أحوج مانكون
الى من يبعث فينا روح التفاؤل ويضئ قلوبنا بشعاع البشر
والانشراح ويذكي في صدورنا جذوة الامل ويطلع علينا في أفق
السياسة كواكب الرحاء هداية لنا في مسالكها الوعرة ومجاهلها
المضلة فيما نفوسنا بذلك ثقة وإيمانا ويشعرها قوة السبات وعزة
اليقين والاعتماد على النفس والاعتداد بالذات مما ينبه الهمم
ويوقظ العزائم ويحفز الى جسيم الاعمال وجليل المساعي .

أما خطة المساوم والنظير فلا أرى لها البتة مسوغاً ولا مبرراً
ولا سبباً في حالتنا الراهنة التي ليس فيها ما يدعو الى التشؤم أو
يبعث على الخوف والفرع كما بينا وأوضحنا فيما سلف فقد اتضح
انه ليس امر يبى المعارضة المتشائمة من علة أو حجة على ما لا يألون
جهداً في اسرود وترويح من لاشاعات والار حيف واريب والهمم
وسيات الضنون بالمخاصين الغيورين من جلة رحا هدا البلد
وخوله وصفوة ثقاه ودهاته الآفة العرض والهوى . وقد ما ادرك
الناس أن المرء اذا اسلم زمام ارادته اتقائد الغرض والتي عنان

مشيئته في قبضة الهوى فقد نبذ طاعة الحق وخرج عليه فليس
تغنى معه محاجة ولا مناظرة ولا يفلح في اقناعه وانقائه الحجة
الناصعة والبرهان القاطع

لذلك تراه اذا اراد نشر اباطيله وترويج اضاليه انصرف
عن مجالات أهل الرأي والحجى ودوائر ذوى اللب والنهى من
النافذى البصر الثاقبى الفطنة والدكاء الذين يصلون بأمضى سلاح
من المنطق والقياس . ويكشفون دياجير الاشكل والاباس .

باسطع سراج من الدليل المشرق وابهر نبراس فتحول عن
هؤلاء الى جماهير العامة والنساء والصبيان الذين يد بسهل عليه
اقناعهم لا باسباب المنطق والقياس وان كان بقوة التأثير على
العواطف والاحساسات (كما اوضحنا ذلك باسهاب فيما سبق
من فصول هذا السفر) بل بقوة التكرار والالاحاح وشدة
الاصرار والتمناد حتى يخبر اذهان من يتسلط عليهم من البسطاء
الذين يصبحون لفرس تأثير هذا السلطتهم وعقولهم بل
يتهمون حواسهم ويغالطون أنفسهم عن الحقائق الناصعة الساطعة
ويخضعونها عن الشاهد الباطق والواقع الملموس

وهذا يحذر ذ . أن ورد فكاهة قصصية اراها اصدق من

يضرب لتميم هذه الحجة الالمية

جاء في الاساطير القديمة ان برهميا تقياً نذر للالهة نذراً أن
يضحي بشاة في يوم محدود ثم خرج في ذلك اليوم ليشتري شاة
وفاء بنذره . وكان في جواره ثلاثة رجال قد عرفوا شأن هذا
الناسك وما كان قد نذر للالهة فرأوا في ذلك فرصة انتفاع لم يحبوا
أن تفلت من أيديهم فانبرى له أحدهم فخاطبه قائلاً « أيها البرهمي
اذهب أنت لا بتياع شاة تضحيها » ؟

قال البرهمي « أي وربي ما خرجت اليوم الا لهذا الغرض »
فحينذاك فتح الرجل جراباً كان يتأبطه واستخرج منه حيواناً
مشوهاً - كلباً ضريراً أعرج . فصاح به البرهمي « ويلك يا خبيث
يا من يدنس كفه بلمس المقاذر ولسانه باقتراء الا كاذيب ! أتسمي
هذا الكلب النجس شاة ؟ فأجابه الرجل بمتعنى الجرأة والنبات
« أي والله ومن اكرم صنوف الغنم - من انعمها صوفاً وأطيبها
لحماً . ايها البرهمي اغتم ما ساقه اليك الحظ من هذه الهدية
النفسية وأسرع بتضحيتها تكسب بها أحسن الاجر والثواب
من الالهة » فقال البرهمي « هداً لنا الله واياك يا رجل . لا بد أن
يكون أحدنا قد أصيب بالعمى » .

في هذه اللحظة قدم عليهما ثاني الثلاثة للتأمرين فصاح
كالفرح الجذلان « لله مزيد الحمد والشكر . هذه شاة من

اكرم الغنم . لقد كفت مؤونة الذهاب الى السوق ومسقة
مزاجه الناس هنالك . بكم تباع هذه الشاة يا رجل ؟ ، فلما سمع
البرهمي ذلك الكلام أخذ دوار في رأسه وهما ذهنه على ارجوحة
الشك يعلو ويهبط ولعبت به موجة قلقه من الخيرة تطفو به
وترسب . تخاطب القادم الجديد قائلا مهلا يا هذا وتدبر ما تقول
وما تزعم . هذه ابست بشاة وانك كلبا دنسا مشوها فاجاب
القادم الجديد بقوله «ويحك ايها البرهمي ما أحسبك الاسكران
أو مجنوناً ،

في هذه الآونة داف اليهم نالت المتأمرين فقال البرهمي
« اذن فلنحكم هذا القادم في الامر . وقد عاهدت الله أن أقبل
حكمه فوافق الرجلان على ذلك . ونادى البرهمي الرجل القادم
« خبرنا يا أخي ما ذا تسعى هذا الحيوان ؟ » أجابه الرجل بقوله
« أيها البرهمي هذه لا أدنى شك ساة وليجة » فقال
البرهمي « لا ريب ان الالهة قد سلبتني حواسي » . ثم استدر الى
صاحب الكلب واستسمحه واشترى منه الحيوان القذر بشمن
جيد وواحد لالة وستغيبها فرمته بداء خبيث في مفاصله
هذه فكهة ووجه الغرض بينة المغزى تسير الى مبلغ
تسلط ذوى العايات في كل زمان وكان على عقول البسطاء بحض

الكلام والاعراء والمغالطة . ولعلها أصدق مثل ينعت ما تكابده
الآن من تأثير المعارضة المنشئة على العامة والنساء والصبيان
وزجهم في متاهة التضليل والتغريب بما يروجون بينهم من
الاشاعات والاراجيف مع شدة ظهور بطلانها وفرط وضوح
زورها ومنافاتها للواقع الملموس . ولكن ذوى الغايات والاعراض
ان يعدموا في كل آن ومكان من جمهور الناس من يستطيعون
خدعه عن الحقائق المدهسة المحسوسة حتى يحملوه على الاعتقاد
بعكس ما تعرضه عليه عينه وأذنه وبضد ما يكيفه له ذوقه
ولسه تكذيبا لوشي شعوره وشاهد حسه . حتى تراه يسمى
التمر جمرآ . والفجر عصرآ . ويحلف لك أن العسل مر بالرغم من
حلاوته في فمه . وان الطيب تتنا مع عبق اريجه في شمه ون الغزال
قيلا على الرغم من غيده وحوره . وان الكلب شاة وان عرف نفسه
للالة نباحه وضموره

واكن الحق الباطل والجحج والاكاذب في هذه
الحياة محكوم عليها بالفشل في النهاية مهما نجحت مؤقتا وبالكساد
مهما راجت حيناً . وهي كما نوهنا . ساقا مكتوب عليها الحكم
بالاعدام في صحيفة الافدار وسجل الارل . مهما تراخت مدتها
وطال أجلها

وما دامت وزارة ثروت باشا لا تبرح - كما نراها الآن -
تقدم للامة في كل يوم وليلة دليلاً صادقاً على تنفيذ خططها
وبرامجها وعلى المسير بالبلاد نحو بغيتها وغايتها . وما دمنا نرى
رئيسها الجليل ثروت لا يزال يسوق من ناصع الادلة على شدة
اخلاصه لوطن وفرط غيرته على مجده وحسن عطفه على اهليه
وادمائه السعي الحثيث في تقريبه من امله وادنائته من امانيه يقطع
بذلك التبرار جهاداً . والليل سهاداً . - أقول مادامنا نرى بطل
النهضة الخالية ثروت باشا لا ينفك يضاف الى ابناء وطنه من
يبناب الآيات عن بعد همته ومضاء عزمته وعظم بطولته ما يجعله
خليفةاً بقول الخاني

كل يوم تبدي صروف الليالي

خافاً من بني سعيد عجيباً

طاب فيه امدح والتذ حتى

فاق وصف الديار والتشبيها

امور . دامت هذه حال الوزارة الحاضرة من صدق

الاخبار بس ، وحرارة الغيرة على مصالحه وشدة التفاني في

سبيل خدمته ، كما تشهد بذلك الادلة النبرالية والسواهد المتواترة

السنائية فان بهمة ذلك ليرم الذي تصبغ في آيات الحق الساطعة

قد محقت أشباح الترهات البسباس . وعقائد اليقين والايان
قد بددت هواجس الريب والوساوس . فيهتدي ضلول ويرشد
غوى ويؤمن مشكك ويذعن مكابر وتنقشع عن أعين غشاواتها
فتبصر وعن آذان سداداتها فتسمع .

لقد المعنا فيما سبق من فصول هذا السفر أن من أقطع
الادلة على مضي الوزارة في تنفيذ برنامجها تولىها الامر بنفسها في
حكم البلاد وادارتها بشكل ظاهر مأموس لا يقبل ارتياباً ولا
نشكاً كما على الرغم مما لا تنفك تدعيه المعارضة المتشائمة (في وجه
البراهين الساطعة) من أن الوزارة لم تصنع شيئاً من هذا القبيل
ولم تزل مسيرة يتصرف فيها الموظفون الانجليز آلة في أيديهم
يحركونها كما شاءوا وشاءت أهواؤهم .

تحتج المعارضة على زعمها هذا بحجة واهنة مفندة وهي بقاء
عدد مذکور من الموظفين الاجانب في الدوائر الاميرية . فهل
هذا يدل على تحكم العنصر الاجنبي في ارادة الوزراء بسحب السلطة
من أيديهم وانخاذهم امعيا وآلات لاحول لها ولا قوة ؟ ان الوزارة
لا ترى من الحكمة ولا من المعقول الاستغناء عن كل موظفيها
الاجاب في يوم أو بعض يوم . فن اهؤلاء الاجانب اطلعا على

أسرار حركة الإدارة ووقوفاً على خفاياها ومعرفة عميقة بدقائق تركيب مكنية الحكومة وتصاريح حركاتها . فمن الخرق والجمافة أن تتخلص الوزارة منهم دفعة واحدة بين عشية وضحاها لما هو محتم أن يسببه مثل هذا التسرع والتهور من اضطراب أسباب الإدارة وارتباك دولاب العمل .

وماذا علينا من بقاء أوائك الموظفين الأجانب مادام ذلك مؤقتاً الى حين ومادام زمام الإدارة العامة في قبضة الرؤساء الوطنيين تحت اشراف الوزير الواضع الخطط والبرامج المنفذ لها المسئول عنها . وماذا يهمنا بقاء هذا العنصر الاجنبي مادام لاحول له ولا قوة ولا يملك ضراً ولا نفعاً وليس له أن يتصرف في الإدارة العامة حلاً وعقداً وابطراماً وتقضاً .

وما أحسب أن هناك شيئاً أدل على حقيقة هذه الحال الذي نصفها ونسرحها من ذلك المشور الذي وزعه وزير المالية على رؤساء المصالح مقررأ فيه مسؤولية الوزارة وتوليها العمل بنفسها بطريقة وضحمة لأغبار عليها للسك ولا ظال للشبهة والريبة
وهذه هي

د ان وزير المالية هو الذي يولي ويراقب السياسة المالية العامة وهو المسئول نهائياً عن اعمال جميع اصحاب التامة له . لذلك يطلب

الى رؤساء المصالح .

أولاً - أن لا يتخطوا السلطة المخولة لهم الى ما هو من اختصاص الوزير ووكلائه فيما يتعلق بتعهدات تربط الحكومة أو باتخاذ قرارات أو ابداء آراء فاطمة في مسائل خطابة
ثانياً - أن لا يستعملوا السلطة المخولة لهم ضمن دائرة اختصاصهم فيما قد يكون فيه مساس بالسياسة العامة .

ولما كان يصعب تحديد هذه المسائل تفصيلها منذ الآن فانه يحسن برؤساء المصالح أن يكونوا على اتصال بوزير المالية اما شخصياً واما كتابة ليأخذوا رأيه في المسائل الهامة التي تعرض لهم ،

أتريد المعارضة بعد هذا دليلاً على أن الوزارة قد تولت الامر بنفسها وقبضت على أزمة الشؤون ودفع الاعمال ، أم تطلب المعارضة رهاناً بعد ما عرفه اللأ أجمع من قيام معالي وزير المالية اسماعيل صدقي باشا عقب تأليف الوزارة الحالية فحس ميزانية هذا العام قبل اصدارها ببضعة أسابيع وبمحتها وتمحيصها ودرس أصولها . وفروعها وفصولها . على ضيق وقته وفادح اعباء واجباته الاخرى . مما لم يمهده في ورير مصرى قبله

وعلى هذا النحو يسير سائر الوزراء في وراياتهم اذ يأخذون

في فحص أعمال تلك الوزارات ودرس شؤون ما يتبعها من المصالح
بجد وحدوهمه لا تعرف الكلل . ولا يعرفها السأم والملل . ليضعوا
من خطط العمل وبرامجه ما يمكنهم من الاستقلال التام بإعباء
العمل دون أدنى احتياج إلى معونة الموظف الاجنبي مهما علا
قدره وسمت رتبته .

أهل لقد سار الوزراء شوطاً بعيداً . وجروا شأواً واسعاً
مديداً . في تولى الأمور بأنفسهم وإدارة دولاب الاعمال وتدير
دفته كل في مجاهه وميدا - إدارة الناهض بالثقل . المستقل بفادح
العيب واخجل . الختم كل ما عسى أن تسوقه اليه عواقب أعماله
من التبعات والمسؤولية .

وهالتا لانعلن الحق ونعترف بالواقع وذلك أن الشعب عامة
وموطني الحكومة الوطنية خاصة قد أخذوا يشعرون في عهد
الوزارة الخفية بأن يداً حديدية بضاشة كانت تأخذ بمخنقهم قد
انسحبت من حول أعناقهم ووطأة ثقيلة باهظة كانت تضغط على
متنفسهم قد رفعت عن صدورهم وان كابوساً فادحاً كان يجثم على
قواهم . فرفق جناحيه لمصير ثم حلق . وجذوة حامية كانت
تأبج يوق كبا . ثم قد حمدت هطفت . كيف لا وقد كان الموظف
البريداني مهده صعر قدره وانمحطت رتبته في العهد السالف

المتدثر ربما غلب رأيه على رأى الوزير فنفذ برغم ارادة الوزير
مشيئته . لقد كنا فى ذلك العهد نجزع من امثال هذه البلايا
ونأسف ونطأطىء ذلة وانكسار افسىخ الشجى . ونغضى على
القذى . وتقلب على جمر الغضا . اترانا اليوم لا نزال على
هذه الحال أم ترانا نتيه ادلالا ونشمخ عزة وجلالا . ونربح
الاعطاف فرحا ونعشى فى الأرض مرحا وكيف تجوز المقارنة
بين حال كنا نختنق فيها اختنا مكيالين بغلال الرق فى أضيق
سجون الاستبداد الاجنبى وبين حال اصبحتنا تنسق نبيها نسيم
الحرية فى فضاء الاستقلال الرحيب ؛ وأين الضعف من القوة
والمهانة من العزة والوثبة من الركود والنهضة من الجود .

شتان ما يومى على كورها ويوم حيات اخى حابر
فى مجدئ نبيد نبيانه برىء ضفر الحمار
لا يجعل الجدالظنون الذى جنب سموب اللجب لماطر
مثل الفرائى اذا ما ضا يتدف يا صوى والساهر
فديا قواه لا يحدون لله على . . . نضل اعصم وامة
المض عفة وما لهم لا يعترفون ، انفصل ادويه من ساق الله بواسطته
وعلى أيديهم هد نفوز اعصم وانجاح البهر . أو قد خات
قوب من عواطف الشكر واقفرت نفوس من غريزة الاقراء

بالفضل والاعتراف بالجميل؟ أم هي برودة الحقد والكراهية
قد جمدت ينابيع الأريحية والشعور في قلوب الناس وعصفت
الضغينة والبغضاء القارة القارسة قد ثلجت أنهار الأحساس في
نفوسهم . فوقف تيارها وأنحبس فيضها .

إن أس الفضل والكرم والنبيل والشرف والبر والمروءة في
هذه الحياة هي شكر النعمة والاعتراف بالجميل وإن أصل الرذائل
ومصدر الخباياث وينبوع المنكرات والمفاسد وعنوان الضعة
والخسة وشعار اللؤم والنذالة وعلامة الغدر والفجور هو كفران
النعمة ونكران الجليل . ومن ثم ما نراه يملأ الكتب المقدسة من
كثرة الخس على شكر الإله ونعمائه والنهي عن جحودها
ونكرانها مع شدة غنائه عز وجل عن شكر العباد وعدم تأذيه
أو تأثره - سبحانه وتعالى - بنكرانهم وجحودهم ولكنه علم - عز
وبأنه - إن شكر مصدر الشكر فحث عليه . ون الكفران
منبع الشر أجمع فمنه

رقدة من الحكمة . لأجل في الدنيا إننا هميكل ومعبد يقوم
فيه ناس بتقدير شيء واحد وهو « حضرة الرجل الفاضل
مخاص بهماء وشكره . يسايي بينهم من غير آلامه . وجزيل
بهم . أجل إن هذه ندى تنطوي على شيء واحد - هو الجدير

بحق أن يسمى الالهي المقدس - اذ هو عنصر كل ظاهرة الهيبة مقدسة في هذا الوجود - وأعني بذلك الشيء هو ما يشعر به الناس في أعماق قلوبهم من عاطفة الاجلال والاعظام نحو الابطال الاماجد في كل زمان ومكان . فهذه الخلة القدسية الالهية هي الدليل الباهر على سريان روح الله ورضوانه بين ظهرائنا وعلى وجود ملكوته الاعلى فوق اديم هذه الارض المستضعفة المنكوبة .
فحيثما خلت الارض من هذه العاطفة الشريفة - اجلال الفضل والكرم والبروءة في أهلها من عظماء العالم وأبطاله - فقد احتجب نور الله عن هذه البقعة وقد حيل ما بينها وبين ملكوت السموات وقد حلت عليها تقمة الجبار واعنته . بما قد أقفرت من أسس المكارم وينبوع الفضائل . وإياها بقعة من أرض الله كان هذا شأنها وتلك حالها فأى خير فيها وفي أهلها وأى غبطة في معاشرتهم ومجاورتهم أو ثمرة في مخالطتهم ومعاملتهم . فقد وجب على البر الكريم أن يغادرها لتوه وساعته واهباً للشيطان الرجيم نصيبه منها ومن أهلها وعليها وعليهم العفاء ما بقوا وما بقيت كذلك !
جبل الانسان على الطرب الى رؤية الجبال والجلال حيث كانا . والفرح بمشاهدة الرائع المايح والتلذذ بنا كبار البارح الفائق - شريزة في نفوس البشر . بل ان الاعجب الصادق الحق لجدير أن

يحرر الروح البشرية - ولو برهة - من اغلال سخافات الحياة
ويصفى امن شوائب خيانتها ودناياها . ولذلك قيل ان الناس يولدن
من بطون أمهاتهم عبادا - فهم لا مندوحة لهم عن العبادة
حينما أصابوا لها موضعاً . ولقد يطيق الانسان أن يعبد الشيء
الصغير اذا كان حقاً فأما الباطل فذلك ما لا يطيق اجلاله وعبادته
مهما أحم الآذان بطنينه الاجوف واستطار الابصار بزرجه
المموه . وأى منظر - أصلحك الله - ادعي للرحمة والرثاء من
منظر الجماهير والجماعات يزدحمون لانفاء نظرات الاعجاب والاجلال
الى مواكب ملك واحة. لات لرسمه وامثل ذلك من مظاهر
الفحامة المزورة والابه الكاذبة - وایس في هذه الجماعير
المحتشدة والجموع المتكاثرة الا من تنوق نفسه الى بذل عواطف
الاحترام والاعظمة واداء فرائض الاجلال والتقديس وان كان
كم منهم يعود ادراجه مطرفاً كئيباً يسكو الى الله جيباً آمناً
فيما كان قد حسب وقدر وشدة هبوط ما يبصره من الخيبة
دون ما كان قد تخيل وتوهم . وكذالك نرى ابراهيم ملسدوف
السمون وارض وايبكون من وفين فلما جن عليه الير
وأى كوكباً قل هذاربي فما فقل لأحب الافان فلما رى
القمر بازغاً قل هذاربي فلما أفل قل ان لم يهدني ربي لأكونن

من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا كبر
فلما أفلت قال يا قوم انى يرى مما نشركون »

ان مذهب الناس فى اجلال العتماء لهو فى الواقع قطب رضى
حياتهم وعنصر كيانها وعليه تترتب سائر فروعها وأركانها وعلى
حسبه تتكيف جميع فصولها وادوارها - سواء فى مخالفه العامة
وسواهم خاصة - وفى مساعدتهم وكنائسهم واسواقهم .
فأية كبرية ذهبت فى ادلال العظماء أن يحرض حُرص كاه على
الاهتداء الى العظيم بحق الصادق البذولة ذى الفضل الخالص
لا امزيف فانك ان اهتديت الى ذلك كان اجلالك حراماً صادقاً
فادركت الخير كاه والبر بمخالفته وكمال النجاح مسعاك . وان
كان اجلالك كذماً حداك الى البطل الكذب فوسعته اكباراً
واعظاماً فذهبت مع الشيطان كل مذهب . وركبت من الضلال
كل مركب واستحقت الام كله والشر أجمع وبثت بالخبيثة
والخدلان وخسارة . الا فرير نادى ذى يث من قلوب
وبصائر حرت عليهم تخدع ادعيه بطولة ثم حنيت عيهم مواطن
العظمة الخفيفة فثبتوا على مظاهرها الكاذبة ، اذن لساد الباطل
وفسد الجلم الكثير من مصاح هذه خيبة ومر فقها وحل به الدمار
والنفاق وضلت تعبت به أيدي البلى برأى من الناس من حيث

لا يشعرون بذلك ولا يفتنون اليه . ذلك لان هذه الحياة الدنيا
انما هي دار جد و اخلاص وليست بالعبودية ولا أخذوة ولكن
حقيقة من أخطر الحقائق .

قال توماس كارليل : ان الابطال ما برحوا موضع اجلال
الناس حتي في هذه المصور الفاسدة الاخيرة . ولعل الانسان لم
تتحرك في روحه عاطفة هي أظهر وأبى . وأبر وأتقى . من اجلاله
لمن هو أعظم منه قدرا . وأجل خطرا . وما أرا في مغاليا اذ قلت
ان هذه العاطفة هي الأثر الفعال في حياة البشر أو انها الأساس
الذي تقوم عليه الاديان سواء الوثنيات وما هو أرفى وأفضل
من المديانات الأخرى . فهذه الديانة النصرانية هل ترونها في
عنصرها وجوهرها سوى اجلال و اعجاب و ضراعة و خشوع
لذات انسانية سامية الهية — ذات أعظم أبعاد العالم قاطبة — ذات
من لا أسميه ههنا باساني بل أترك ذلك ان فرض المقدس انأملات
الهمت المقدس :

وإذا انتقلنا من الدين الى غيره من مناحي الحياة وشؤونها
أنه في جميعها من يات احترام الصغير للعظيم والدقيق للاجليل
وهي مظهر ولاء الوضيع للسيريف ما يماثل عقيدة الايمان و مناسك
العبادة في أمر الدين وماذا نرى لاي من الدين سوى عاطفة الاحترام

والولاء لثبي أو قدس . وماذا عسي تكون عاطفة احترام الوضيع
للشريف وولاء الصغير للكبير . تلك العاطفة التي هي في الحقيقة روح
المجتمع الانساني وعماده وقوامه الا صنفاً من عبادة الابطال . وعلى
هذا فعبادة الابطال هي أساس المجتمع وسلك نظام الرتب والدرجات
في سلم الانسانية . ذلك الاساس الذي يقوم عليه صرح العمران
وذلك المحور الذي يدور عليه دولاب التعاشر والتعامل . حتى
ايصبح ان نسمى مذهب « عبادة الابطال » « هيرواركي » أي
« حكومة الابطال » . فالعظام والابطال وذوو الرتب والمقامات
في الامة يكونون لها بمثابة الاوراق المالية تمثل الذهب وتقوم
مقامه وان اتفق أحياناً لسوء الحظ أن يجيء الكبير من هذه
الاوراق المالية مزيفاً مزوراً فنحن قد نحتمل الاوراق المالية
ونعيش بها وان وجد بينها المزيف المزور . فاما أن يكون كلها
مزيفاً فذلك مالا يعاق ولا يحتمل ولا يستقيم به عيش ولا حياة
وإذ ذلك تهيج النتن وتقوم امورات ويهب الناس يصيحون
(للساواة السواة) إذ تزول ثقتهم في الاوراق المالية تصبح
أو الذهب أعني تزول ثقتهم في الابطال فيظنون أن البطل المرتفع
عن منزلة الاعتياديين من الناس مفقود لا وجود له وان عبادة
البطل ضرب من الخرافة والخيال والحقيقة ان صنف البطل

وعباد الابطال موجودة في كل زمان ومكان فهي من العناصر
المكونة منها الانسانية وان تزول حتى يزول الانسان من
الوجود .

لقد فشا في هذا العصر الفاسد رأى فاسد - ذلك هو
انكار وجود الابطال بل كراهية وجودهم . اذا ذكرت للمرء
بطالا من أبطال العالم الذين انقذ الله بهم الدول والعصور
من وهدة الخراب والدمار أخذوا يعيبونه ويتقصونه وأوسعوه
ذمًا وقد حاثم زعموا ان ما يعزى اليه باطلا من البطولة انما هو
في الحقيقة مسنمار مما أحاط به من الظروف الخاصة والاحوال
التادرة يقولون الوقت هو الذي خلق ذلك البطل فهو سليل
تلك الآونة وابن هاتيك الساعة ولولا ظرفه الخاص لكان كأي
امرء عادي - كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون
الا كذبا يزعمون ان الوقت هو الذي اعاره ثوب البطولة
الوهمي وافاض عليه نور العظمة السرابي - وانه في الحقيقة لا بطل
ولا عظيم . وان كل ما جرى عليه من عظيم المآثر وجليل الفعال
ليس من صفة - من صنع الوقت . فمتى كان الوقت هو الذي
يصنع الخرد ونأتى بمعجزات . لقد طأنا ربنا الوقت يصيح
أين البطل العظم ويتأدى هـ من فني هم وهرس ضرغام يقيم

اودى ويصلح مفاصدي ويتقذني مما أنا منحدر اليه من وهدة
التلف وهاوية البوار فلا يجد من يجيب دعاءه ويلبي نداءه - ويدور
بعينيه في فضاء الله فلا يري بطلا ولا عظيما

انى أغمض عيني ثم أفتحها

على كثير ولكن لا أري رجلا

وبعد أن يبح النداء صوت الوقت ويقطع النداء حنجرته
تخور قوته وتبيد منته ثم تهاراز كانه ويتقوض بنيانه ويعمه الفساد
ويشملة التلف والخراب وما ذاك الا لأن البطل لم يدركه في
ساعة محنته وبلائه ولان العظيم لم يكن اذ ذاك موجودا ولم تكن
القدرة الالهية قد خلقتة وأرسلته هدي ورحمة للعالم

والواقع أن غوائل التاف والفساد ما كانت قط لتصيب
عصراً من العصور لو أنه أتيج له رجل عظيم يجمع بين العقل
والعزيمة - بين عقل يعرفه حاجة العصر وعزيمة يستعين بها على
قضاء هذه الحاجة - فيبلغ بعصره غاية الامل والتمني ويصل به الى
مدى الفوز والسعادة فاما العصور الفاسدة اخربة المصابة بداء
الشك والخيرة والكفر والجحود فهي في مذهبي أشبه شيء
بأكداس الحطب اليابس الميت تنتظر من السماء شهياً يسقط
عليها فيدكيها ويشعلها حريقاً وما لرجل العظيم يتاح من جانب

الله لمثل هذه الاكداس الذابلة الميتة يحياها ويوقظها الا ذلكم
الشهاب الساطع - يؤدي إلى العصر رسالته وينطق كلمته . فاذا
فيها شفاء الغلة . وبرء العلة . واتحاد الآراء . واتفاق الاهواء .
وانتظام العقائد والمذاهب . واثتلاف المقاصد والمشارب . فما هو
الا أن يقع ذلكم الشهاب على تلكم الاكداس المكدسة من الخطب
اليابس الميت حتى يتأجج سعيراً . وبعد ذلك يجيئك الجاهل
السخيف النبي الجامد الطبع المظلم الروح الذي لا يفهم معنى العظمة
ولا يفقه سر البطولة فيهزأ ويسخر من ذلك الشهاب الذي أشعل
اكداس الخطب الذابلة بشعلة ذكائه الوقاد وجذوة عزمه المتسمر
فيزعم أن اكوام الخطب الميتة هي التي خلقت ذلك الشهاب
واوجدته من العدم . يا للسخف وبالجماعة !

الا انما يفهم الفضل ذروه ويفقه المروءة أهلها والبطولة
سر لا يدركه الا من تعرف معناه في صميم قلبه وتسمع نجواه في
ثنايا ضميره . وقدما قيل : ان البطل لا يمكن أن يكون بطلا في
عين خادمه . وليس اللوم في ذلك على البطل بل الخادم . ولو نظر
الخادم إلى بعض بعين تستمد منه عنها من روح بطل اعرف بطولته
وسكته يفخر نبيه بروح خادم سوقي عامي من طائفة
الطغام والغوغاء . وهو لاء مذعب آخر في البطولة يتفق مع

نذاتهم ولؤمهم ودقتهم ومعسفالهم وضعتهم وخستهم - ولهؤلاء
ايضاً ابطالهم وعظماؤهم الذين يأتون من الاعمال والوقائع مايجب
نفوسهم الخبيثة وارواحهم القذرة - فاولئك في نظرهم هم الابطال
والعظماء حتماً ولا بطولة الا بطولتهم . ولا جرم فمن ذا الذي قال
ان الحشرات تطربها نغمات موسيقى الطبيعة أو يروعهاسنا بهجة
النيرات في ابراجها والكواكب في افلاكها - بل الله وعلماء
الحشرات اعلم بالذي يطرب تلك المخلوقات من دقيق الأشياء
وحقيقتها مما لا تراه العين الا بالمجهر لفرط ضوئته وخسته
اما انه ما بلى جيل من الاجيال ولا نكب عصر من
المصور بأفة هي انكر وانكى . وامر وادهى . من آفة التكذيب
بمظمة الابطال وجلالهم . والكفر بحسناتهم وآلاتهم
اما انه ليس شيء أدل على سفالة الافراد والمجاميع ولا اشهد
على لؤم غرائزهم ودقة اخلاقهم وخسة طباعهم ولا انهم على غباوتهم
وجهالتهم وسخفهم وخرقهم من انكارهم قوة البطل ومقدرته
واقرارهم للجماهير والجماعات الاعتياديين بالفضل العظيم والعقبرية!
من كفرهم بالبطل الفذ النادرة وايمانهم بالامامة والدهاء : من
عماهم عن نور الله المقدس . عن الشهاب الساطع واعتقادهم في
! كداس الحطب اليابس الميت !

هذا و ايم الله الغفلة التامة والجهل المطبق والخسة والدناءة
ومنتهى الحق والبلادة واقصى غاية الكفر والجحود . فملاعلم
امثال هؤلاء ان الرجل العظيم مازال منذ بدء الخليقة كوكب
الهداية في الظلمات . وزورق النجاة في الغمرات . وسهم الرشد
مسددا الى كبد الغواية . وسيف الحق مجردا على هامة الضلال
والعماية . وانه الشهاب الذي لولاه ما شبت النار في المهشيم ولا
تأجج الحطب شراما؟ أليس البطل هو مصدر النور تنعكس
اشعته على الاجرام المعتمة . وينبوع الحياة تفيض انفاسه
في الاشباح الخاوية المعدمة . وهل تاريخ العالم الا ساسلة حاقماها
نوابغه وابطاله؟

ولا يسمنا الآن في مقام وصف الا بطال والبطولة الا التنويه
بذكر بطل من أعظم أبطالنا وزعيم من أكبر زعماء نهضتنا وأمهر
قواد حركتنا . ذلك هو دولة لرئيس الجيل حسن رشدي باشا
وكيف يتصدي امرؤ للكذبة عن ابطال النهضة الحالية ثم
لا يدفعه الشعور والواجب الى وضع صورة هذا البطل العظيم في
متحف النجدي ونصب تمثله في هيكل الوطنية المقدس أولم
يكن في كل شرف من شرفه "حرف الأغر في حلبة الجهاد .
والفارس اعلم في كتيبة الكفاح والحلاد أمه ذلك من ينكر انه

انه ما زال الجوهر الكريمة في قلادة ماثرنا والدرة القيمة
في تاج مفاخرنا ؟

ان أول ما يروع لشاهد المتأمل من مناقب رشدي باشا
ومحامده الجمّة العديدة هو ذلك الاخلاص الحار والغيرة اللاتهيبة -
ومالي لا أقول ان ذلك البطل العظيم انما هو جذوة حمية متفددة
وجرة ايمان متأججة . أولم نره في مواقفه العديدة في حرمة
النضال عن حتموق وطنه كيف كانت انفته وأبؤه . وشمه
وكبرياؤه . وكيف كانت عواطف الوطنية الحادة اذا ثارت في
جنانه وجاشت في وجدانه فتأان وهجها في حر وجهه الكريم
ولمع شماعها في عينه الصريحة قذف بها منطقة الشريف في وجه
الخصوم جهاراً كالت صدق وآيت حتى لا يسد سبيلها حجب
المداجاة والمراربة ولا تقوم من دونها حوائص المداواة والمصانعة
شأن الذي لا حد اصراحتة واخلاصه وقد ما كان الاخلاص
عنصر البطولة وأساسها . - ج - ان اخلاص السيد العميق
هو - كما قل كاييس - « سُ فَنائِ - لُرْجُلِ الْعَظِيمِ وَلَا نَعْنَى
اِخْلَاصٍ مِنْ لَابِزَالٍ بِعِزِّ أُمِّهِ لَنْسِ خِلَاصِهِ - فَنَ ذَلِكَ -
وَأَبِي اللَّهِ - عَيْبٍ وَمَنْقُصَةٍ - وَهِيَ خِلَاصٌ سَطْحِي حَقِيرٍ وَقُحٍ -

بل غرور وسفاهة . انما الاخلاص اخلاص من كان مثل رشدي
لا يباهى به ولا يفاخر ولا يكاد يحسه أو يتعرب به اذ كان في نفسه
قطريا غريزيا فهو معدن روحه وجوهر نفسه

ان ما يبدو لنا صريحا من فرط اخلاصه وعطفه وحبه لا بناء
وطنه وعطفه على امانيتهم وغيرته على مصالحهم هو ذلك الذي
يدنيه منا ويصل ما بين قلوبنا وقلبه الكبير بامتزج روابط الحب
ولسلاك كهرباء الشعور المتحاب والاحساس المتبادل . فمينه تم
عن نجوى ضمائرنا ومكنون سرائرنا وفؤاده يخفق على دقات
أشدتنا رنبضات قلوبنا وارجل لمخاض الغيور يراه الشعب
فيعرف لأول وهنة انه فتاه وبطله وبغيته وضالته وما زال الرجل
العظيم يحقق الضنون ويصيب مكانه ومركزه من زعامة الشعب
وقيادته . اذ يكون مجرد ظهوره كفيلا أن يفسح له المكان
اللائق به ويحذب اليه الابصار والاعوان ويخلق له الاسباب
والوسائل والمدد والدخائر فهو في ذلك كالجدول الفيض بخلق
بذاته لداته صفاته الخصبه المريرة المنتجة الممرة حينما جرى
وتأسس

اهد جاهه رسدي في بيان لوطن حق جهاده وأبلى في
الندفاع عن التقضية أحسن ابلاء وكان في طليعة من عملوا على تحقيق

ما قد تم لنا من الفوز والنجاح وحسبه فخاراً انه أهدف صحته
النفيسة الغالية في سبيل بلاده استلوة المرض وأبلى في محبة
وطنه سرباً عافته العزيزة على جميع مواطنيه وان ارتخصها هو
— سلمه الله وعالاه — وامتهنها في خدمة مصالحهم . وقد ثبت في
الميدان ثبات الصناديد على رغم ما كان يقاسى من برحاء العلة .
شأنه في ذلك شأن الفارس المغوار لا يشنيه عن الكفر في حومة
ابغى ما تدأصاه من طعنات الأعداء ذلك الى أن خرج
من المعركة أغراً أاج وضاد الجبين يحمل علم العزة والنصر وما هو
أشرف من ذلك وأبلى — أعنى جرحه الدامي الأليم !
حيا الله رشدي باشا !

الفصل الرابع

مناقبة ثروت باشا

تقف الآن وجهاً لوجه أمام شخصية من أعظم ما أنجبت
 هذه البلاد من الشخصيات الجليلة نحاول جهد طاقتنا بيان
 ما اودعت من آيات القوة والنفوذ ودلائل الفضل والحجى
 وتحليلها الى ما يكون مجموعها من عناصر الذكاء واللوعيسة .
 وأسرر السوء والعبقرية . هذا ما نرومه الان وما نحاوله وان
 كان فرق قارتنا الضئيلة وحولنا الضعيف لأننا نعلم ان البطل
 لا يزال نغزاً يعي الناس حله وان ما يظهر لنا من مآثره وحسناته
 ثمار تختفي جذورها في أعماق سر الطبيعة وخفايا مجاهل الابحاث
 البسيكولوجية . ونعلم أن تهجم الكتاب والنقاد على شخصية
 الرجال العظيم ابتغاء تعرف اسرارها وتحليلها الى عناصرها يكون
 في الغالب كتهافت سراب الفراش على الشهاب المتقد يبهر
 صوره وخير الباهر رقعدها بعد ذات أن توند عن لهيبه الساطع
 رؤوس متبرقة و جنيحة محرقة .

ولكن على الرغم من كل هذا - ويباعث غريزة الاستطلاع

النفى التي تدفع كل فتى الى الجرأة على اعوص مطالب فنه وابعدها
غورا نحاول الآن ان نجول جولة في عالم هذا النبوغ العجيب .
ونسبح سبحة في خضم تلك العقبرية المهيب . لعلنا أن نعود من
هذا وذلك بقليل من نفائسها الجملة و ثروتها الطائلة .

ثروت باشا رجل عظيم قد توافرت فيه شرائط العظمة التي
اساسها قوة الشخصية المتسلطة على النفوس والاذهان بسحر
الجادبية . ومن ثم ما يعهد فيه من تفوق ملكة البيان و خلاصة
المنطق في جميع مراتب الكلام من اسمائها اعني الخطابة في الجماهير
والمخاطبة الى ادائها اعني التهامس والسارة .

لقد عرفنا ثروت في جميع ادوار حياته منذ كان نائبا عموميا
وقبل ذلك الى وقتنا هذا الذي يتربع فيه دست لوزارة ويدير
دفتى الادارة والسياسة - خطيبا مصقعا ومنطقيا مفجعا ومتكلما
مؤثرا خلايا . لقد عهدناه في كل ادواره ساحر البيان يفتنه فيكار
سامعيه فيمكنه ذلك من اقنياد رذائهم حتى يحبب اليه . من
الاعمال ولاغراض ما كانوا يستنكرونه - جهلا منهم فهو -
منذ ساعة فيحماهم على لا رتياح الى مزاولته بعد احجام عنه نفوذ
وايس بعسير على من بلغ من سحر البيان و خلاصة منزلة لرئيس
الجليل ثروت باشا أن يلعب بالباب سامعيه فيترع بها وترأسرور

تارة وأوتار الحزن أخري وأرنة يبعثه من هارنات الندم والاسف وآونة
صدحات الحبور والطرب . ومثله قدير أن يسيل بقوة يياته سخائم
الصدور ويستأصل جذور الضغائن والاحقاد حتى يترك المد وصديقا
حليفا . والخذاء صاحباً أليفا . ويملاً القلوب اليائسة رجاء وأملاً .
والنفوس الموحنة أنسا وجدلاً أولم تحدث خطابه . الاخيرة الرنانة
أمثال هذه الأتار الحسان في نفوس الشعب المعري الكريم يوم
نزلت على القلوب برداً وسلاماً وبددت ما كان لا يزال عالقا بنفوس
الكثيرين من بقايا الريب والظنون والقلق والاشفاق فكأن في
آيتها البليغة جلاء اسمت وفي حجبها له مغنة زوال الظنون
وكانت منفحة المومم ولا تراخ ما عاق المسر ولا زح
ان مثل الوزير الجليل تروت إشا اذا قام يخطب أو انبرى
يتحدث خيال اليك كأنما يعب زار روحه لزانفرد أرواح سامع به
فيمتلك نفوسهم ويستحوذ على ألبابهم وينفذ أشدته بأختها .
ثم يرى نفسه أحق بالخطابة من سائر المتصانين لها اذ كان أغزرهم
مادة وأملاً . وعاد يهتدي لكلامه ونهلاً جدر به وأولى . واذا ذاك
يصغر بج . خطباء ويتضنون سم يذهلهم نرح السرور بسامع
مطربه عن لاشغف الحساسة رخذ وغيرها من
نزعت لانهبة فيرتح كل سامع . لي التضنون في حضرة ويلد

لهم أن يغمسوا أرواحهم في معين بلاغته الفياضة ويغمروا نفوسهم
برحيق بيانه المنعش . فمثل هذا الخطيب المصقع والمحدث البارع
يملأ الساعة التي يقضها بالخطابة أو بالحديث من بدائع آياته وروائع
معجزاته بما يجعلها غرة في جبين العصر ويترك غيرها من ساعات
حياتنا الاعتيادية وكأنها بالنسبة الى تلك الساعة الغنية الفياضة
ساعات نوم ورقاد . فمن ذا الذي يعجب بمد ذلك لفرط ما أوتى
أمثال ذلك الخطيب من التأثير والنقوذ والسلطان على
نفوس البشر ؟

ثروت باشا خطيب عظيم ومن اجل هذا كان بطالا . لأن
قوة الخطابة نوع من البطولة . ذلك لأن الخطيب العظيم يقف
من جماهير سامعيه موقف البارز المناجز المستعد لملاقاة كل قادم
فهو قد وطن النفس على أن يكون في كئامة الحارة المتأتمة . وفي
عباراته الثرة المتدفقة . ما يقنع جميع سامعيه مما تكرر عدمهم
ويفتحهم . ويشفي غليابهم ويكون فيه الجواب المسكت على كل
ما عساه ان يجيش بصدورهم ويجول في خراطيمهم من الشكوك
والظنون والأسئلة . لذلك ترى مثل هذا الخطيب اذا قام بخطاب
في المحافل وقف وقفة المنمر لمنجرد المتحفز بقدمه متقدمة الى
الامام كالذي قد هم ان يزحف على تلك الجموع المحتشدة ويغزومهم

وتلك هي الحقيقة لأنه يزحف عليهم فعلا بجيوش من افكاره
البدعية السامية ويعزوه بكتائب من آرائه الجديدة الابتكرة .
لذلك يجب أن تكون خطبته سابقة في منازل الرقي لافكار
سامعيه ابا كانوا - بل سابقة لافكار جيله ومصره والا كانت
فضولا وانفوا وهراء . ومن ثم كانت الخطبة الجليلة احدر أن
تعد عملا نافدا من ان تعتبر مجرد كلام والفاظ . اذ هي في الواقع
كهرباء العمل والحركة . فهي تنطوي على القوة الدافعة الى الاعمال
- شأنها في ذلك شأن ما يرسمه قائد الجيش من خرائط المواقع
واللحام وما يصدره من أوامر السكر والعر والدفاع والهجوم .
وكذلك الخطيب إما أن يكون قد جاء لأمر عظيم - ليستنمض
جماهير سامعيه وستنفرهم الى استتصال جيوش الابطال
والاضاليل والى افتتاح عوالم جديدة من الآراء والافكار -
فتكون خطبته مادة الى الغزو وصحة لى الجهاد - والا فاولى له أن
يسكت

- ان روت بشا باعتباره خطيبا مفجما ومتكلما خلافا يؤثر
في سامعيه ويقنعهم ويحماهم على اتباع رأيه والأخذ بمبادئه وذلك
يفضل ما يجوه من عوامهم لأمر ويحل لهم من مسكلاته
وباعارته اياهم بصيرته لندفة ورويه النابية ينظرون بها في نواحي

الموضوع وجوانبه ويتغلغلون بمنظارها الكشاف الى خفاياه
وخبائياه فيبدو لهم الأمر على خلاف ما كانوا يعمدون وعلى
العكس مما كانوا يحسبون هذا السواد بياض والفساد صلاح
والتنافر وثام والاعوجاج استقامة والسوأة حسنة واليأس رجاء.
فمثل ثروت باشا اذا شاء اقناع سامعيه وجماعهم على ما يريد رأيته
ينظر الى الامام ويتجه بنظره البعيد الى ما سيكون - في حين
ترى سامعيه قد حاوروه وهم يندرون في ما كان من الأمر وما
انقضي اعني الى الماضي وما قد انكروا من حرادته واحواله .
فنظرهم بذلك الماضي معقود وفيه محصر - ورومن هم كان قصر
نظرهم وضيقة واحتباسه في دائرة صغيرة محدودة يترددون
فيها ويتنزلون كخفافيش في ضامة السك والخيرة - وقد يأسوا
من استقامة الأمر وصلاحه - اما هو (اعني ثروت باشا) فغير
ذلك شأنه وما كان من زمرة الخفافيش حتى يحصر نفسه في
دائرة الضيقة ويحبس نفسه في ضمتها وان كان لا ظاهرا
مع شهاب رأيه لساع ونجته فأكره اللامع والاكتمه - وهو
ذلك الامر الضاح - يضرب صفحا عن الماضي المنقرض الدائر
ويستقبل بعينه النافذة شمس استقبال الدهرة فيصفق في شعاعها
البراق جناحيه الطموحين ويستدر عبه قطرات انداء البشارة

من مزنة الامل الصدوق والرجاء المحقق ويستهبط آيات الوحي
والالهام من آفاق المستقبل المشرقة . وكذلك اذا استدير القوم
المعارضون امرهم وتبينوا باذيال الماضي واعقابه فاصدت في
وجوههم أبواب الآراء واعلمت منافذ الافكار وانجس عنهم
فيض الخواطر الا ما يعسوب عاينهم من اليم الكريات مما تكف
به سحائب الماضي المنقشة - رأيت ثروت باءا ذلك الهام الطامح
العزيمه والاريب الثاقب البصر والروية يضرب صفعاً عن ذلك
الماضي ويمعد الى معين ذعنه الفياض وينبوع قريحته المتدفق
فيه ترف من عت - حول الرأي السديد . والفكر الأنف الجديد .
ثم يستطلع نجوم فراسته الصادقة فيتمس في صفها المشرقة طواع
السعود أو يتسقط من شوايك أفنان شجرتها الذهبية أوراق
اليمين والبشارة . حينئذ يقبل على سامعيه فيباغتهم من سوانح
الهام بصيرته وخضرات وحي بديهته بما يبدد سحائب شكهم
وريبتهم وينفر اسراب خوفهم ووحشتهم . وهناك يبصرهم من
غوامض أسرار الأمر وخفايا مثاله ما لم تكن نظراتهم السطحية
تستطيع من قبل أن تكشف قبايه . وتهتك حجابيه هنالك
يفيض بؤه النغم لئلا في اوعية صدورهم من مادة لعلم والعرفان
ما يبرز لهم الموضوع في مظهر خروضا حديد وشكل مستحدث .

حتى تراه يفتن الباطن ويعلمهم ويعلوهم دهشة وعجبا كما
لو كانوا زمرة أطفال فينسيهم أفكارهم القديمة في الموضوع
ويذهلهم عما كان يخالج نفوسهم فيه من فاسد الاعتبارات
والاوهام وكذلك ينتصر عليهم بقوة التكهن والتنبيؤ وقد كانوا
يحسبون انه لا يملك من سلاح الافتتاح الا تكرار البراهين
المعروفة المتبدلة والعبارات المرددة والكلام المعاد .

وانى كلما تأملت ماقد أوتي الرئيس الجليل من قوة الخطابة
وسحر البيان وخلاصة التأثير تدكرت ماوله توماس كارليل في
وصف ذلك العبقري النابذة نادرة زمانه . ومعجزة أو انه . الشاعر
الاعظم البريطاني ، روبرت بارنز « رأيت أن النقاد المتصدي
لوصف ما يمدار به الرئيس الجليل من الماكنات البماية والخطابة
الرائحة ان يستطيع أن يبلغ غرضه بأحسن من ترديده في الرئيس
ماقاله سالفاً توماس كارليل في بطلى أمنه روبرت بارنز

قال ذلك الكاتب الكبير ، كان رنة في خلاصة المنطق
وسحر البيان . كان حديده العادي أبداع من شعره و من من
حديث كل من رأيت . رسمت به من سائر الناس .

شرك العقول ونهزة مامتها المعامش وعقله المستوفز
ان طال لم يعل وفي ايجازه يهوي الحديث انه لم يوحز

كان حديثه كالسلم الموسيقى قد استوعب درجات النغم من
أخفت جرس التحية وأرق كلم الملاطفة الى أرفع صيحة الغضب
وأشد صرخة الوجد . فقيه صنحكة الطرب الجذلان . وزفرة
الصب الوهسان . وإيجاز المجتري بإشارته . وأطناب وإيم بيت
في خطابته .

وقد روت عنه السيدات والاميرات ربات الادب البارع .
والفضل الرائع . انه كان يزدهيهن بفتنة حديثه ويستحفن بخلاصة
بيانه حتى يكدن يثبن في الهواء ويطنن في الجو . فهذا وإيم الله
عجيب . وأعجب منه ما رواه النقة دة الجهبذ المستر لو كهارت من
أن خدام الفنادق كانوا اذا رقدوا في مضاجعهم للرقاد ورنقت
سنة النداس في أجفانهم ثم سمعوا صوت الشاعر بارنز يتكلم واثبوا
من مراقبهم فالنفوا به وكلهم اقبال عليه واصغاء لحديثه . ومالى
أعجب من ذلك ؛ اليسوا رجالا ينصتون الى رجل ؛ وأعظم
ما يؤثر عن بارنز ما رواه لى شيخ مسن كان من أخص أصدقائه
- من أن بارنز ما فتع فاه قط الا التى منه حكمة . قال ذلك الشيخ
« لقد كن بارنز كثير الصمت فاذا تكلم جلى من غوامض الامر
وأثار شبهاته . ولا أدرى لماذا يتصدى امرؤ للكلام اذا لم يكن
قادراً على هذا .

إذا قلنا ان ثروت باشا قد حذق فن الخطابة فانما نعني بذلك
انه قد استكمل أدوات هذا الفن وملكاتة : أعنى صفاء البصيرة
وقوة الذاكرة وحسن البيان . ومثانة الحجج والبرهان وحدة
الخيال - أي القدرة على إبراز افكاره في صور طبيعية ناصعة -
ويضاف الى ذلك الارادة النافذة القوية التي اذا تجملت بالثبات
والنزاهة كانت جدرة أن تسمى « اخلق العظيم أو العظمة
الاخلاقية » وتلك هي اسمى مراتب الرجولة

لاشك في أن السر في نجاح ثروت باشا كما نأظر وخطيب
- يرجع الى قوة أعظم من البراعات اللفظية والمحسن الظاهرية
كدمانة الطبع وحلاوة الشيم ورقة الشماثل وعذوبة اللفظ والصوت -
يرجع الى قوة خلقية كبرى وملكة وجدانية عظمى - اعنى
الاخلاص والايمان ورسوخ العقيدة بما يدافع عنه ويحاول اثباته
من النظريات والمسائل . فهو يقبض على ناصية نظريته ويمتنفها
أشد اعتناق وأحره . والحرارة - نتيجة الاخلاص والإيمان -
هي العامل الأكبر في قوة الخطابة ونجاحها . وذا أردت أن تنجح
في خطابك فكن كالرئيس اجنيل فخر ممرض الالم أنت به
عالم وموقن وخبير وكفيل أن تحمّل تبعته ومسئوليته وتقدم
عنه أوفى حساب وأدقه . فانما الخطابة البلاغة رتبة الى الحقبة

الخطيرة الجائلة في وجدانك فترجمها الى افهام سامعيك باقرب لغة
وأعلمها بأذهابهم وأوقعها في نفوسهم . ولا مرأى في أن هذه
القدرة العظيمة - هذه الكيمياء العجيبة التي تستطيع أن تحول
الحقق المنقوشة بلغة الخلق على صحف الضمائر المرقومة بالعلم
العالوى في سجلات السرائر الى حقائق مؤداة بلغة سامعيك من
الجماعات والافراد هي أبداع سلاح طبع في مسبك الصانع الاجل
والعظيم الاعظم

لا نعى بلغة الخطيب التي ينقل بها افكاره الى اذهاب
سامعيه مجرد ما يفوه به من الالط ولعبارات - وهذه أحقر
وسائل تأديته وأيسر وسائل ابلاغه - وانما نعى ذلك اليبان
الروحاني المنبع من ينبوع نفسه والسيال الكهربي المنبث من
جهاز عصابه وكما ان القائد العظيم يحرز النصر لا بكثرة الوقائع
والملاحم ولكن بمضل . يدبره من الخيل والمناورات فكذلك
الخطابة والمناظرة هي حرب افكار وارواح . فالافان المطوية
هي أضعف عناصر الحطة وأون أجرائها . وانما أساس اجوهري
دينا والمعول هو موقف الخطيب وما تتم عنه هيئاته
وصوته ونغمته وحركته وديانته . من قوة رجولته وسهره من
انه يعمل بين جنبيه روحاً اجار وحشماً من روح المحاسب .

هكذا شأن فحول الرجال الذين يصلون في ميادين الخطابة
والمناظرة بقوة شخصيتهم الهائلة ويسيطرون على النفوس بسُلطان
الروح النفاذة الباهرة . والطبيعة الغلابة القاهرة . وبهذه وتلك
يحرزون الظفر وينالون الغنيمة . وقد روى عن روبرتسبير - أحد
الثلاثة الزعماء المعروفين في عهد الثورة الفرنسية - ان سامعي
خطابه من الجماهير والجماعات كانوا لا يكادون يفهمون كلماته ولكنهم
كانوا على الرغم من ذلك يفهمون في خطبه الرنانة ما هو أعظم
وأخطر من الفاظها وعباراتها - كانوا يفهمون ما ودعت تلك الالفاظ
من حرارة الوجدان ونارية الشعور والعاطفة - وكانت عدوى
هذه الحرارة والنارية تندقل اليهم وتسرى في اعصابهم وتسيع في
جوانحهم وهل يريد الخطيب نتيجة أعظم من هذه أو اثر أسدوأبلغ .
مثل هذا النوع من الكلام والخطابة وان كان اثره
الفعال مضمونا محتوماً قد يكون من الرور والباطل وقدم أريد
به التمويه والتزييل واتخذ سبيلاً الى الفساد ومطية الى الشرور
والرذائل . نقول قد ينجح من هذا الكلام الخلاب المؤثر في
النفوس سلطان شخصية باهرة لكنها غير مخصصة - ولكن نحاحه
لا يكون الا مؤقتاً - لان الاكاذيب - ولا بطيل هي كقائمة غير مرة
دهية بزوال والفناء قد كتب لها الموت وصدر عاها حكم الاعداء

في محكمة الازل مهم اطال عمرها وتراخت مدتها . فانت اذا بنيت
خطاتك على أساس من الباطل وكانت مقدمة قياسك المنطقي
أكذوبة فهما استعملت بعد ذلك من خلافة اللسان . وسحر
البيان . وهما ثرت في سامعيك بحرارة العاطفة ونارية الوجدان
وبهرتهم نفوة الروح الماهرة وغلبة الشخصية الباهرة فالك لزم
تصنع شيئاً وان تحدث في عالم الخفيفة أنراً وتكون انما انتهيت
من حيث ابتدأت . وما كان امرؤ قط يستعجم بأكل عدد
الفصاحة وأمضى سلاح البلاغة أن يرفع الى ذروة الحرف من
قنون الباطل ما يراه يبط طبيعته الى لوهدة زهوى الى
الخصيض .

أما افوز الدم والنجاح النهائي فذلك نصيب البارعين
الخاصين والحدقبن الصادقين أمثال الرئيس الجليل ممن جموا
بين رجاحة النفس وزاهمة النفس - بين حدة الدكاء وشدة الفيرة
والتضحية - بين الذكوة الدهنية والفضائل النفسانية - بين سمو
الفكر وايوح معاً وصفاء ذهن واقبال جميعاً .

ثم ... ثرت في برءة اخيه والبيان مثله أصبح معها
هليتا أن يفتد من ريب سامعه فتدعن الـ وتوهو هو المر
هلي توهو . تتحرك في عراضهم ووجدانهم وتما ما قبل : ليس

الامير من ابس التاج وجلس على الاريكة . انما الامير من عرف
كيف يحكم النفوس ويسيطر على الافئدة . وكأني بالرئيس الجليل
يستطيع بحدة ذكائه أن يتفد الى اعماق القلوب عاينا بذات
الصدور مطالعاً على مكنوناتها طبا بادواء النفوس خبيراً بأمراتها
وعلاها قديراً أن يداوى هذه العلل والادواء بخلاصة القول - لديه
لكل جرح ناسم من فننة اللفظ واكمل كلم مرهم من روائع
الكلم - فنون شتى من البيان . تدالج بها فنون شتى من آلام
الفس والجنان . ولا عجب فاقده يؤثر عن « انتينون » اليوناني
أحد الخطباء العشرة الذين روى « بلوتارك » أنهم أقطاب الخطابة
في العالم - أنه نشر في أتيننا اعلاناً عن نفسه قال فيه « اني مستعد
لندبيب أمرض الدهن بالكلام و... اوراقه علل النفس بالالفاظ »
وليس ذلك بمستحيل . وقوة سلطان الكلام معروفة مجربة في
كل زمان ومكان منذ كان لسان وآثار الالفاظ في التسايط على
دهزجة واعواطف واحساسات وفي « عمق » والافئدة
وربما اهب وكيفية ارسكياها حسب « بلوتارك » وفي قلب
كبين لا تهازل برنيس في الافراد وجماعات - بل قلب كيان
أول والمهاتمة تعد من قبال حروف وجمادات . وعمل ترى

— اصلحك الله — ما يسمونه الرقى والتعاويذ والنفث في العقد الذي
ترأت فيه آية الكتاب الحكيم اذ يقول جل شأنه « ومن شر
النفثات في العقد » وغير ذلك من ضروب السحر وفتونه — شيئاً
سوى الاقفاط والكلمات — وهل رأيت رجلاً بلغ من النعيم
أقصاه . ومن الصفاء والرغد منتهاه فوثق بالحظ وأمن من
طوارق الحدثنان . وأخذ على القدر الميثاق ومن الدهر الأمان .
الا كان في استطاعتك — ان كنت ممن أوتى سحر البيان أن
تبدد ثقتك وتذهب طمأننته وتورثه القلق والاشفاق باللفظة
تنبذها في سمعه . والكلمة تلقيها في روعه . أفلم يرو لنا التاريخ
أمثال هذه الحال عما كان يحدث بين الملوك ووعاظهم من العباد
والنساء اذ كان يطلع الناسك على الملك العظيم وهو منغمس في
غمار اللذات والملاهي فيرميه بالكلمة من الوعظ فاذا هو قد أفاق
من غمرته . وهب من رعدته . ثم أطرق فاعتبر . وارعوى فازدجر .
ألم نقرأ أمثال هذه الاخبار عن كسرى والسائح وعن النعمان
وعدي بن زيد وعن المنصور وخالد بن صفوان ؟ وعلى العكس من
هذه حال — أي كارثة عظيمة أو فاجعة ألحمة تنوب الفنى فلا يكون
في مقدرة المنطق الخلاب أن يشرع في لسكين حديثها . ولطيف
سورتها . وقد عرف أغلاطون البلاغة بأنها « فن سياسة العقول

وتدبير حركات النفوس . أليس في استطاعة البلاغة أن تغير
في ظرف سويغات ماشيدته الحقب والاجيال من العادات
والاخلاق والعقائد ؟

وكذلك قد يبلغ من سيطرة الخطيب العظيم مثل ثروت
باشا أن يصبح جمهور السامعين بين يديه كآلة الموسيقى بين
يدى المطرب البارع . فهو يعزف على أوتار القلوب كما يعزف
المطرب على أوتار آله ويستثير من أفانين الاحساسات والعواطف
من جمهوره أمثال ما يستثيره المطرب من أفانين الاصوات
والالخان من معزفه . فتارة يسكن باثرة غضبهم ويطفىء نيران
وجدهم ويرد شارد حلمهم وعازب رشدهم تهدئة خواطرهم وطمأننة
قلوبهم وخرى يهيج حميتهم ويجرد عزيمتهم وهمتهم . يبكيهم أنا
وأنا يضحكهم . اذا شاء لوى بالطرب أعناقهم وشق بانفكاهة
أشداقهم . وان شاء استذاب بالعظات عبراتهم . واسماد الحكيم
والامام زراتهم وكذلك تراء يستولى على قلوبهم ويستجرد
على شعورهم وبتملك ارادتهم وهستهم فتكون طوعا نورا رهن
اسارته فمرما أمرهم يتروون ومهم كاههم يحمولون ويتجشمون ونو
كان اقتحام النار وخوض البحر والغير اذ لم يأتك نية ان تهربت حينما
ترك منده في جزيرة « البيا ، قافلا لي بريز حتى اذ نزل ارض فراسا

وساريثوم العاصمة في نفر قليل من محبيه و بطائنه لقيتهم جيوش عدوه
لويز الثامن عشر الذي كان قد تبوأ الأريكة الفرنسية بعد اعتزال
نابليون . فما هو الا أن رأيت تلك الجيوش الجرارة شخص
بونابرت وسمعوا صوته حتى خضعوا له واذعنوا وحيوه تحية
الأكبار والاجلال يدعونه امبراطورهم ومالك رقابهم وأرواحهم
ثم انضموا اليه وانضوا تحت لوائه وساروا في قيادته يؤمنون
باريز واذ ذلك بهت لويز الثامن عشر وزلزل به وسقط في يديه
وفر من وجه نابليون « يحتمل انجى مطالباه من الحرب »
مثل هذه السيطرة الخطايبية والتسلط بقوة البيان على ارواح
الأفراد والجماعات شبيهة بما يؤثر عن ساطان الموسيقى وتأثير
النغمات وتحكمها في شعور سامعيها وفي عواطفهم واراداتهم كالذي
يروى عن (اورفيوس) وداوود وغيرها من نوابغ الموسيقين
انهم كانوا يجذبون اليهم بقوة عجيبة من قبيل قوة الجاذبية الطبيعية
جميع الكائنات ما بين حي وجماد من انسان وحيوان داجن
ووحشي ومن سبع ذئب وضئفم فراس وحثمة وهامة ومن شجرة
وباب وصنخرة وجمود . وكذا يروى عن المطرب « يودون »
كيف مات حرات برحيم نذره وارمزه في بعض المسامح استطاع
ان يسحر عقول حمة الناس وينتج اليهم بقوة تأثيره حتى ذهلوا

عمام فيه وبعرضه من شعائر الجنائز وانبروا يرقصون حول
قعرى الميت .

ان الخطيب البارع والمحدث الرائع لا يحتاج الى جرس
يلفت اليه الناس وينبهم الى مكانه ويشعروهم بنفاسة اقواله - كما
انه لا يحتاج الى بوليس يقوم بمهمة توقيف الناس حوله وتثبيتهم
ثمت بالقوة الجبرية ومنعهم من الانصراف قبل تمام الحديث أو
الخطبة . ذلك لأن الحديث العذب والخطاب الشيق يجذب
بطبيعته الخلائق ويحجزهم بلا واسطة تشويق أو ترغيب . وكانى
بالوزير الجليل ثروت باشا من ملك اعنة البيان وفقه اسرار
الخلافة اذا انبرى يتحدث أو يخطب استدرج الشيوخ من
مجالسهم والفتبان من ملاهيهم والصدية من ملاعبهم والمرضى من
مضاجعهم وأثبتهم حوله مغلوين بأوثق قيود من الفتنة والطرب
فسابهم ارجلهم حتى لا ينصرفون وسلبهم ذاكرتهم حتى
لا يتذكروا هم اشغالهم واقدم واجباتهم فتشغلهم عن كتابته
وتلبيهم . - وسابهم عقائدهم حتى يكون ايمانهم باقواله
خالصا صريحا لا يشوبه رأى مخاف ولا تعارضه افكار منافية أو
نظريات مضادة .

وقد حدثنا المؤرخ اليونانى العظيم (بلوتارك) « قل لما

سأل ارخيداموس « ملك اسبرطة » ثيوسيديدس « عن صراعه مع « يريكيز » ايها كان أشد بأساً واصعب مراسا واقهر تخصصه وقرنه قال « ثيوسيديدس » اني كلما صرعت يريكيز ووسدت جنبه الثرى انكر ذلك وجادل فيه وتعماري واستطاع بخلافة اسانه ان يحمل الناظرين والشهود على تصديق مزاعمه مروجا لديهم الزور ومحقا الباطل » ولما سمع فيلب ملك مقدونيا وصف احدى خطابات « ديموسطين » وقوة تأثيرها قال « اما والالهة لو كنت شاهده لاستطاع ان يحملني على اعلان الحرب ضد نفسي وتجريد السلاح لفتلها » . ولما قام الخطيب البريطاني « بيرك » في البرلمان الانكليزي فالتقى خطبته الطنانة في اتهام « ودين هتستن » حاكم الهند اذ ذاك قال ذلك المتهم مع اعتقاده براءة نفسه من التهمة « لقد بلغ من فرط تأثيري بكلمات « بيرك » اني ابنت أثناء خطبته اعتقد انه ليس على وجه الأرض آثم اشنع مني جريمة وافظع جناية . »

لقد رأينا ثروت باشا في احاديثه وخطبه يجمع الى الخلابات النفسية المحضة والبراعات البيانية البهتة مزايا اجل من ذلك واشرف عن العناصر الروحية والقوى الوجدانية من اخلاص وغيرها وصدق ايمان وتضحية . وهذه هي التي تكسب الخطبة

أو الحديث صفة الجزالة والفحولة ومزية الجلال والمعظمة
وتطبعها بطابع المجد والخلود . فإذا خلت الخطبة من هذه
الصفات العظيمة والميزات الجليلة واقتصرت على الخلابات اللفظية
والبراعات البيانية كانت فائدتها وقتية واثرها سريع الزوال وكان
قصارى فعلها ان تسترق الأذان بحلو اللفظ وعذب الكلام وتلد
ملكة التصور والخيال فتكون بمثابة ماهية ومسلاة ليس
الا . فهي وان أثرت اشد الأثر في وقتها وساعتها فليست تعدو
كونها خدعة وشعوذة لا يثبت أثرها ان يضمحل فيزول
فهي اشبه شيء بصوت الآلة الموسيقية تمر في الطرقات والشوارع
فتحرك خيال المارة وتثير عواطفهم وتتركهم وكأنهم شعراء لحظة
من الوقت ربما ترن في اسماعهم نغماتها ولكنها لا تلبث أن يزول
أثرها من النفوس متى تحوات الى الحي المجاور . لذلك ارى ان
اللسان الطالق الدليق اذا لم يكن من الحدة بحيث لو يوضع على
الشعر لحاقه . وعلى الصخر لناقته . ولو لعق النجم لمحاه . أو القمر
لطواه . اكان أقصى جهده أن يحدث نشوة لا تلبث أن تزول
وغاية ما يستحقه أن يدرج في عداد المسكرات والمخدرات
كالافيون والحرة . واكان أحسن علاج يتقى به تأثيره سدادات
الفضن تجعل في المسامع أو قطع الشمع التي جاء في اساطير اليونان

ان « يولوسيس » سد بها آذان نوتية سفينته حينما كانت تمر
بهم على جزيرة الساحرات اتقاء ما خشيه عليهم من فتنة اصواتهن
وسحر الحانهن

هذا النوع من البيان السطحي هوشىء خلاف ما قد امتاز
به ثروت باشا من قوة البلاغة الحرة له ادقة . واني ارى فرق
ما بين الصنفين كالذى بن رشاش الفواردة الحنايية الذى لا يكاد
يتصاعد حتى يتهوى ولا تكاد تتلأأ على لبات الضحى قلائده .
حتى ترفض حباته وفرائده وبين البحر الخضم في دوافق موجه
ودرافع لجه . تجيش فيه زوخر عباره . وتصفا في حجرتيه
زماجر عجاجه وصحابه . ويكمن في اعاقه نفائس اعلاقه .
وليستكن في ضميره روائح ودثمه . ودمع بضائعه . وكذلك
شأن الخوايب السمي الدرجة في مراتب الائمة وهذه صناعات
من تسم ذيرة "بنازير" في "بنازير" في "بنازير" في "بنازير"
لعمري مربة نادرة وغاية بعياقة لمسا تمضع من دونها انفاص
البراذين ولا يدرك مدعا الا الكرا . العتاق
وابن الميوت اذ مال في مرن

لم يستمع صوت البزل القناعيس
وانما نال روت باشا هذه المية وانغ هاتيك الرتبة بفضل

ما اجتمع له من خلال قلما اجتمعت الا لواحد في جيل وفرد في أمة - وهذه هي العقل والدهاء، والمزم والحزم وقوة الارادة والذيرة والاخلاص والشغف بالحق والهيام بالحقيقة يعزز هذه خلاصة المنطق وحسن البيان ودماثة الطبع ورقة الشرائل . هذه انخلاق اذا استكملت في رجل تكون فيه من مجموعها تلك القوة المعجبية النادرة المسماة « فتنة الجاذبية الروحية وسحر السيطرة الشخصية » ومن كان هذا شأنه فذاك خالق أن يرجح بسائر أهل جيله وخايق أيضاً أن يتغلب على كل امر وحادث فاذا صادفته للمعضلات والمشاكل صادفت فيه فكك عقدها وحلال الغازها واذا لاقته المحن والكوارث لاقته فيه فتا كها وفراسها وينام منه لرحل بلمود صدام يسكنهم فيسحقهم . ومقذف رجام برمنهم فيمحقهم . مثل هذا البطل يكرن كفوياً لكل حادثة وكارثة ولكل أزمة وشدة . فأين الرجل الاعتيادي مثلي ومثلاك من ذاك البطل في ساعة الروح وخطر وقد حشرت لدهابة الدهياء من تقاها . وكشرت الحنة الكراء عن نبيهم . قل في ما ذ تصنع اذا وجدت نفسك وسط زوبعة على كواهل امواج كالجبال في بحر جموح الموج مجنون العباب وحولك انس قد طاس الذعر بالبابهم وطار الرعب بقلوبهم - اكنت مطيقاً أن

تسترد عازب ذهنك وتربط نافر جأشك ثم تستلم مقاليد بيانك
وعنان لسانك فتصرفهما بحزم وحكمة في طمأنة افتتحة اولئك
الجازعين الهالعين وتسكين خاطرهم توسلا الى النجاة من ذلك
الخطر؛ واذا رمى بك الحظ السيء في أيدي لصوص أو جمهور
ثائر أو اغوال من اكلة اللحم الآدمي فاذا تصنع وكيف تلتمس
المخرج والمنفذ؛ واذا اوقعك القدر في يد فاتك من قطاع الطريق
فهم أن يسلبك مالك وروحك فاذا أنت صانع؛ اترك تعرف
كيف تخرج من هذا المأزق الضنك بفضل قوة الذهن وشدة
المارضة وذلاقة اللسان وخلاصة المنطق؛ منما كان يفعل رجل
كعاوية أو ابن العاص أو طاهر بن الحسين أو صلاح الدين أو مثل
الاسكندر أو يولوس قيصر أو القائد « مالبرة » أو البرنس
دي كوندية أو محمد علي أو نابليون؛ (ايس من شأنى ان اتصدى
لالحاق نروت باش. بهؤلاء الابطال ون ذلك موكول الى حكم
التاريخ فى قادم الاجيال وان كان لا يسعنى الا الاعتراف والاقرار
بأنى أنس فى شخصية الوزير جليل عنصراً من تلك الفجولة
وجنوة من هيب هتيك البطولة). لا شك انه متى طامع اللص
قاطع الطريق على حد من سميناً من اوائك الابطال احس فى الحال
انه قد لقي من هو اشد منه بأساً وصورته وقل فى نفسه « ان

كنت ربحاً فقد لاقيت اعصاراً» ولا عجب فما اعظم الفرق
 والتفاوت بين الرجل والرجل في قوة الوجه ! الست ترى الرجل
 يتغلب على الآخر بتفوق الاول على الثاني في قوة العين وحادثة اللحظ
 فيبهره بذلك حتى يحيره ويربكه . او ما سمعت بالرجل كيف يستطيع
 برباطة الجأش وجرأة الجنان وبالثقة بالنفس واستشعار سيما العزة
 والعظمة - أن يخضع الرجال ذوى المنزلة والمكانة والصولة والنفوذ
 والجاه فيقودهم ويسودهم ويرأس ماشاء من الشيع والاحزاب
 فربما عزل الملوك والنبي الدساتير وقاب الدول والممالك . واني لا أشك
 في أن مثل نابليون بونابرت أينما وضعت وفي أيما زمان أو مكان
 القيته فلا بد أن بسود ويقود وينفذ كل ماشاء وأراد . وقد كان
 يولوس قيصر في أيام صباه وقع في أسر جماعة من القرصان . فاذا
 كان منه : انفذ التي بنفسه في سفينتهم ثم ما يث أن أكد بينه
 وبينهم أمتن روابط الصحبة والالفة . وكان يحدثهم القصص
 والنوادر تارة ويلو عليهم الخطب تارة أخرى . فاذا رأهم لا يهللون
 اعجاباً ولا يصفقون ضرباً هددهم بالاعدام شتقاً (وقد نفذ فيهم
 هذا الوعيد فيما بعد حينما صار قيصر) . ولم تك الا مدة قصيرة
 حتى أصبح زعيمهم وعميدهم . مثل هذا الرجل معصوم في جميع
 أوقاته وحالاته من آفة الاضطراب والارتباك والدهس والخيرة .

فهو لا تنفذ من يديه أوراق اللعب الفائزة فإذا التى الورقة فكسب
« الطابق » لم تستطع أن تقول هذه آخر ورقاته اذ لا يزال لديه
عتاداً من السلاح وذخيرة من القوة . مثل هذا الرجل يستطيع
كما قلنا أن يقاب كيان الدولة ثم تصبح أحاديثه ضرباً من المعجزات
والخوارق وأجل معجزاتها أنها تؤثر في سامعيها فتنة وسحراً حتى
يولونه على مجرد السماع به اعظم الثقة واكملها وبذلك يتأتى له أن يغير
وجه العالم وحينئذ ك يسعى في خدمته ويقوم بتريده صدى مساعيه
الشعر والنتر والنارخ وتنشأ المذاهب الفلسفية الجديدة لتعمل سبب
وجوده وحكمة حياته واعماله . ان منزلة هذا الرجل هي تمام مقدرته
على امتلاك عواطفه ووجداناته . ولكن سر غايه وسيطرته أدق
وأعمق من هذا . ذلك هو سر يان قوة الطائيه بلاعاقق وجريانها
وانطلاقة بلاعقبة او حائل من ذهنه وارادته الى يديه . فالرجال
والنساء اعياء ولا رحيمة وخذر فتهته . رحيل الى مراربه
وذرع الى اغراضه . وما أحسن قول لوتر حيث يقول « انما
الرجال من جاد الكلام » . ومسال هذه لرجل كانت ولايات اليونان
تسمى . تستورد من ولاية اسبرطة ، (أوفر الولايات
نصيبياً من النحول) حينما كانت تحتاج الى قائد .

واذا ضرت ، صندجاً عن حول الرجال من الملوك و"قوادوا أهل

الحرب والقتال ألفينا في ساحات السلام ومناذير الأمن والسكين ^{خبر}
فخولا أيضا لا يقلون عن اوائك جزالة وقوة وسلطانا على النفس
وسيطرة على العقول. فهو لاء وان لم يعتلوا مسرح الحرب والسياسة
أو يتصدوا لزعامه أو قياده وكانت صناعاتهم عادية ومناهج عيشهم
سالمية مدنية تراهم مع ذلك يؤثرون أينما حلوا تأثير الشماع المنعش.
أو الزمهير المرعش. واذا نطقوا أصبح لهم وان لم يكن نطقهم
الاهمسا ونبسا. واذا خطوا قصدوا وسددوا. واذا فعلوا
أحسنوا وأجادوا. ثم يكون عملهم قدوة تنحى ومثالا يحتذى.
وهؤلاء الفحول يلقون في أخفض منازل المجتمع مثلما يلقون في
أرفعها وأسمها.

فأساس الملك الخطابية في جميع الحالات وعلى اختلاف
شؤون أربابها وأعمالهم وحرفهم ومراكزهم - هو قوة الشخصية
وشرف النفس وسمو الهمة. ولذلك ترى الأمم والشعوب اذا
احتاجت الى من يمثلها أمام الخصوم - يمثل أمانيتها وأغراضها
ويطالب رد حقوقها عمدت الى من كان من بين أفرادها قوم
شخصية واءظمه روحا وأجزله حظا من صفات الرجولة وخلالل
الفحولة كالحزم والرزه والحبه - الارب والحصافة والجرأة
والشجاعة مع سمو المركز الاجتماعي - جاءت اهتمامها بهذه المزايا

الاخلاقية النبيلة . والسجايا الرجولية الجليلة . أشد من اهتمامها .
بالكفاءات الفنية كالخبرة القضائية مثلاً أو غزارة العلم بالقانون
الدولى والتجارى أو التفقه فى العلوم الاقتصادية والسياسية . والى
النوع الاول من الصفات والمزايا - أعنى صفات الرجولة والفحولة
كانت ترى الامة المصرية - أعنى ذوى الراى والمكائة واولى
الفضل والكفاءة والوزن والجاه منها - حينما عمدت الى اختيار
الرئيس الجليل ثروت باشا ليمثلها لدى الخصوم ويكون النائب
والوكيل عنها فى المطالبة بحقوقها وتحقيق أمانيتها . وانقد صدق
ظنها وصحت فراستها وأصبحت محمد مذهبها فى اختيار ذلك
البعطل حينما حقق شطر أمانيتها وبات ساهر الجفن قلق الضلوع
متوقدا الاحشاء فى تحقيق ما بنى من آمالها . فطوبى للامة المصرية
ومرعى ! لقد علمت وعلم العالم اجمع انها حينما اختارت ثروت باشا
للدفاع عن قضيتها والمطالبة بحقوقها قد اختارت الرجل الذى اذا نادى
بأخصوم اسمع . واذا ناظر أقنع . واذا خصم أغم . واذا ناوأ ارغم .

من يساجانى يساجل ، جداً

بتلاً للدلو الى عقد الكرب

كادوا وكدت فأزهقت مادبروا

احدى هنالك ايما ازهاق

ان السر في نجاح خطة ثروت بفضل قوة تأثيره واقناعه في خطبه وأحاديثه هو ارتكاز كلامه على أساس الحقائق الثابتة . ولا مرأه في انه ما كان للرئيس الجليل ولا لأى خطيب او مناظر كائناً من كان أن يبلغ ما يريد من التأثير في معارضيه واقناعهم بمجرد الملائكات الكلامية ما لم تستقر في جوف كلامه حقيقة صلبة مادية . وقياساً على هذا نقول ان ثروت باشا خطيب عظيم لأنه يرمي في اثناء خطبه بالحقيقة تلو الحقيقة أو كما يقول أهل المجاز لأنه يصبب المحز ويطبق المفصل ويقرطس الفرض ويصمى كبد الحقيقة وله بعد ذلك ما يسمونه ماكرة التعميم اى استخلاص الكلبيات من الجزئيات والقواعد من المفردات فهو يستنتج اثناء كلامه المنسجم الفياض القاعدة والقانون ينيره به جو المناقشة ويجلي به ظامة الشك وتشبهة في أوجز اختصار واسرع ايماء كأنه نحة البرق في غاشيات الضباب

كم حومة للجدال فرجها

والقوم عجم في مثاها خرس

شك حشاها بخطبة عن

كأنها منه طعنة خلس

ثروت باشا هو الرجل الذي يشتمل على الحقائق الخطيرة
ويعرف كيف يلقي بها في روع المخاطب ويقذفها في جنانه - يعرف
كيف ينقلها الى وجدان المخاطب سواء اشاء المخاطب أم لم ينأ
ويحمله على الاقتناع بصحتها والاعتقاد بها بالكره منه وعلى رغم
أنفه . وكم من رجل يشتمل من الحقائق الخطيرة على مثل
ما يشتمل عليه ثروت باشا ولكنه يعجز عن نقلها الى قلوب
معارضيه وعن حملها على الاعتقاد بها . وانما ميزة الرئيس الجليل
انه يعرف كيف يهتدى الى ذلك المسلك السرى والمنفذ الخفي
الذي يوصله الى كل قلب مغلق وجنان موصد من انثدة معارضيه
ومناوئيه . وكل معارض في حقيقة من الحقائق مكذب برامته
دونها باب قلبه مهما حول انفسحاء والبعاء لا سرا في ذهنه
واقرارها في ضميره بمختلف اساليب البيان وشتى وسائل الفصاحة
مدعم انه يوجد في أسرار البلاغة اسلوب دا وعنه في تلك
الحقيقة كان كعبلا أن يمد بها في فؤاد ذلك الكار الماكذب
مهما تحسن دونها ، وكيف يجاز الجرد دون في روع بممارسة
نعم قد يتاح لهد المنكر لمعارض ذ - البين - تدر بصبه تلك

الحقيقة المكذبة لرفوضة في قاب عجيب غريب مخالف لآلاف
الصبيغ والتوالي التي اعتاد ان يسمعها عليها - فيكون لهذا
القاب من القوة والنفوذ ما يخرق به حجاب سمعه وقلبه ويفضي
الى اعماق جنابه فيضع ثمت تلك الحقيقة ويضرب هنالك اوتادها
وأطنابها فترسو وتستقر على عرش فؤاده عقيدة راسحة مكينة
عظيمة النفوذ والسلطان . فاذا ارتاح ضميره الى الخضوع لسلطان
هذه الحقيقة سلم وعاش واذا كره بعد كل ذلك ان يخضع
لساطرتها لم يغنه ذلك ولم ينفعه بل ستراه يموت من دون ذلك
كمداً فان حكم هذه الحقيقة بعد تمكنها من عقيدته سيكون
نافذاً قاهراً محتوماً - فاما ان يخضع لها فتكون حاكته وماكته
واما ان يأتي الخضوع فيموت بها - داء القمل وعناية العاجلة .
- فهذا بلا شك اروع اساليب البلاغة وامضى أسلحتها والذي
يجالج بمثل هذا الاسلوب ويكافح بمثل هذا السلاح لا يملك ان
يؤمن بدولة البيان وساطران البلاغة ويردد قول سنا عيه السلام
رس من البيان اسجرا .

ولاتس ما امتاز به لويس من حسن الاخلاص وطيب
الحية الذي هو اصل الحياء ومنع روح والهوة في احاديثه خطبه

وهذا مستمد من مصدرين : (١) غيرته ووطنيته الغريزية (٢) الظروف الراهنة الاستثنائية . فان الظروف - كما لا يخفى - تكون أحياناً بمثابة منبع قوة جديد يضاعف ما بالإنسان من قدرة وهمة . ومتى اجتمعت قوة الظروف وكفاءة المرء فذلك اجتماع العقل البشري والقضاء الالهي . وقد أرى اخلاص ثروت باشا لفرط حميته اشبه شئاً بالنشوة قد تملكته شعوره واشتباته على لبه . فهو يكاد يترنح ووطنية وغيره واذا اراد الكلام ازدحمت سيول البلاغة في صدره ثم انطلقت تندفق دفعاً فدفعاً . وتراه قد تملكه موضوع الخطابة أو الحديث أعني موضوع القضية المقدسة تملكاً يترك الافكار والمعاني تنسجم في نظام هو نظام الطبيعة ذاتها - اقوى النظم البيانية وأروع الاساليب التعبيرية وأجل وأعظم من أن يجارى أو يبارى . فلا جرم اذا قلنا ان ثروت باشا اذا خطب فانما الطبيعة تخطب باسانه . واذا فاضت احاديثه فانما هي الحقيقة تفيض من معين قلبه ووجدانه . فلاعجب اذا كان تأثيرها في النفوس تاماً و - اطلاقاً على الازهان والارواح - انما تشبه في كل حركة لها وانوارها وعلى اختلاف صورها وهذرها . زنى لا يرى مد فى هذا الاخلاص الرثع الشديد وفى عطية ما ينتج منه - من خطب لرئيس الجليل وأحاديثه

الباهرة - مصداقاً على تلك الخرافة القديمة وهي « انما يصيب
الغرض من السهام ما يغمس أولاً في دم الرامي »
من حقق النظر في احاديث ثروت باشا وفي خطبه وفي
خطب واحاديث سائر ائمة الخطابة والمناظرة في العالم امثال
ديموسطين واسكينيز وديماديس وبيريكليس ولوثر وفوكس
وشالام وباتريك هنري وادمز وميرابو وايسوقراط وبيرك وچون
بابتست وهرميت بطرس وچون نوكس - وجد أن أصدق
تعريف للخطابة أو الحديث البايغ هو انه « افضل كلام صادر
عن افضل روح » وانه « عنوان كل ما يحتوى الذهن من آيات
الجلال والجمال » فاذا خرج الخطاب أو الحديث عن كونه مجرد
آلة وأداة لتأدية ما يجيش بالصدر من عقائل الافكار وكرائم
المعاني وأريد به أن يكون غاية في ذاته وأن يتباهى ، ويفتخر
كبعض الزخارف والحلي صاراً كذوبة وخدعة .. وليس هكذا
حديث ثروت باشا ولا خطابه - وما كانت قط هكذا الاحاديث
الفجوة ثم ذكره كأول خطابه ، جل ليس هناك شيء لفجوة ،
في كونه به وليس به ، من الاخلاص والصدق والخير والابان
والوطنية ، وما زلت رجاء ، جد ، ولا خلاص ، من زنت به ،
يؤاخذون امراض الشريف والسائل نفسه في شربها . . .

نفحات البلاغة والمفاخرة بطنين مطربات البيان والخطابة - اعنى
يؤثرون الجوهر على العرض والروح على الزى والملبس . وتلك
شيمة الاخلاص الزاهية .

شتان بين كلام المحلص الجاد الغيور صادراً عن أعماق اعماق
نفسه وبين كلام المزخرف المتأنق العاث صادراً عن أغلفة قلبه
وقشوره الطاهرة - فهذا الاخير ليس سوى سحابة صيف .
وعجالة صيف . وشيء يولد مع الصباح ويذول وقت الروال .
وشبح يذهب كاظلال . بدهاب الالهواء والاميال . وأما الاول
دبة تنقش على صحيفة الرمان . وتبقى على الدهر ما فى الانسان .
وتنتج أعظم النتائج من آثار المدنية ومظاهر العمران . وهل هذه
المدنية الحاضرة وأنى اللدنيات وماضيها وكل مايعمرها سالفاً
وحاضراً ومستقبلاً من آثار الانسان فى هذه الحياة ومصنوعاته
ومبدعاته ومخترعاته من دول وممالك وحجم ودساتير وقوانين
وترايع وآداب وأحلاق وعلوم وصناعات وفنون ومعاملات
تجارية واقتصادية وسياسية وقصور ومدائن وفلاع وكنائس
وكنائس كثيرة تحف وتماصف وكل مايقوم عليه صرح هذه الحياة
مدنية وزده . . . وأساطين العمران - وكل مايساعد
الإنسان على الشقى المسك . على تخفيف عبء الحياة وتلطيف آلامها

ومعالجة آفاتنا ومحننا واساغة جرعتها المضيضة ومضغتها المرة
وتلين عجالاتها العسرة المستعصية سهيلا سيرها بقافلة الانسانية
التعسة في اوعار هذه الحياة الشاقة الاليمة الى مشوى الانسان
الاخير في سكينه القبر وهدوئه - أقول هل ترى كل هذه
الاشياء المكون منها صرح المدنية ونظام الحياة الا نتيجة كلمة
حق تعبر عن فكرة صالحة ؟

أحل ليس روت باشا بالعباب في أحاديثه وخطبه تتوخي
التأثير السطحي في الجماهير بطنين الكلم الاجوف الرنان ويخضع
العقول بزرج الكلام وتزاويقه يبتغي بذلك المفاخرة باللسن
والذلاوة والمباهاة بالحدق واللباقة . ويرى الشهرة والذكر والجاه
والساحان - وايكده رجب الجد ولا خلاص والصدق قولاً وعملاً
كثير الاطراف والتفكير فاذا طاق فاشأت من لب وفضل
وحكمة . لا يتصدى بالكلام اغرض من الاغراض أو مسألة من
المسائل لا أبار شبيبتها وكسف عامتها واستثار دفينها وهكدا
يجب أن يكون الكلام والا ولا ان تروت باشا ذلك الرجل
المجهول فطرته على الجد والاخلاص والحمية يرى في فضيه البلاد
المقدسة أمراً جلالاً أعظم من أن يحتمل اعيب والتظاهر والمباهاة
والادلال برات طنان الكلام وسججاته . اتمد كان الامر عنده

كما قال توماس كارليل - « أمر حياة أمة أو مملكتها - أمر فلاح أو خسران ومسألة بقاء أو فناء . فلم يك منه ازاء ذلك الا الجد المر والاخلاص العميق . فأما التلاعب بالكلمات والعبث بالحقائق فليس من شأنه البتة . والعبث والتلاعب في المسائل الحيوية الجلي جريمة من أفظع الجرائم اذ ليس هو الا رقدة القلب وهجمة العين عن الحقائق وتقلب المرء في مظاهر كاذبة خداعة . فمثل هذا الانسان لا يقتصر أمره على كون أقواله وأعماله كلها أ كاذب بل انه هو نفسه أ كذوبة . فأنت اذا تأملته في صميم كيانه الفيت نور الله - أعني الشرف والمروءة - قد انصفاً فيه سراجة . وخبا وقاده ووهاجه . فهو على الرغم من ذرابة لسانه وخرابة ييانه . أفك كاذب . اذ لا يزال مثل هذا الرجل سم الحياة وآفة الانسانية . فان غرك برخامة صوته وجرسه . وحلاوة جهره ونبسه . ورة مسه ولسه . لم يك في ذلك الا كحامض الكربون تراه على لطف مسراه . ولين مجراه . سما تقيعاً . وموتاً ذريعاً . »

والآن بعد الذي أوردناه من ذلك الفصل المسهب والمطلب المستفيض في وصف الركن الاول من مناقب ثروت باشا أعني الملكة الخطابية البيانية باصولها وفروعها وعددها وآلاتها ودقائقها وأسرارها ننتقل الى الركن الثاني من صرح أخلاقه الوطيد الرفيع

أعنى دماء الطابع وعضوية الشرائع .

لقد جاء في حكمة الاقدمين انه ان يستطيع مسرة الجلساء
واطرابهم بفنون الاحاديث من كانت روحه خالية من عنصر
السرور والطرب . فان الحديث للشتم على تحف المعاني، وبدائع
الافكار اذا صدر عن روح ساخطة أو غضيبي أو متضجرة أو
مشمزة أعنى عن روح متنافرة مع أرواح الجلساء والعشراء كان
جديراً أن يدهش الاذهان ويبهرها ولكنه ليس جديراً أن ينعش
الارواح ويدخل على النفوس عوامل الانس والصفو والحبور .
نحلة اجتذاب القلوب واستمالة الاهواء محال أن تتوافر لمن كان
موحش الناحية مقفر الجناب خشن الجانب . فان الاذهان خلاف
الارواح وليس من اللازم المحتوم أن الرجل القادر على النفاذ الى
اذهان الناس بروائع كلمه أن يستطيع بهذه الواسطة وحدها أن
ينفذ أيضاً الى قلوبهم وأرواحهم - إذ كيف يتأتى له ذلك اذا
كان جامد الروح مظلم الهواء راكد النسيم . والرجل الخالية
نفسه من عوامل الفرح كيف يستطيع ادخال الفرح على
نفوس غيره .

ولذلك قيل ان فن استمالة الغير بأسباب المسرة انما أساسه
أن تكون قبل كل شيء مسروراً في أعماق نفسك . ومن ثم

رأينا ان أعظم كتاب الفكاهة في العالم الذين قدموا للعالمين أوفر ذخائر السرور والانس وأشهى الوان الطرب والخبور على مائدة الفنون والآداب - امثال موابير وشاكسبير وسرفانتيس واديسون وجولدسمث وفيدلان وستيرن وديكنز وثركري ورايليه وماريقوه وصاحب الف ليلة - كانوا جميعاً من ذوى الطبائع الفرحة الجذلي والامزجة الرطبة الخضلة والصدور المثلوجة القريرة والنفوس الطيبة الراضية المطمئنة الملووة بروح الصفاء والاستبشار والتفاؤل - على عكس المتشائمين المتبرمين الغاضبين الثائرين من كتاب الفكاهة امثال سويغت وبوب وفولتير ويرون الذين قد مزجوا مزاحهم بانكر الهجاء والتهكم وخلطوا مجونهم بأرض الفذع والسخط والنقمة فجاءت مؤلفاتهم ادعى الى الايلام منها الى الاطراب . وادنى الى الايجام منها الى الاعجاب . واجدرو بالايحاش منها بالاناس . وانكى شيا من ابرة المقرب في الشعور والاحساس . - ذلك الى الجمل الكثير من آفات تلك الكتب التشاؤمية في المجتمع ومساوى آثارها في هيكل الانسانية مما يصغر ويضئل بجانبه ما قد حوت من الفوائد والمنافع حتى ذهب فريق كبير من ذباه العلم وتقاده الى اعتبار مؤلفيها الفحول الفطاحل من ضمن عوامل الفساد ومصادر الشر والبلاء على

العالم فقال لما الفيلسوف الالماني الطائر الصيدت « فريدريك
نيتشه » اغلقوا « يرون » وافتحوا « جيتا » . واصل هذه
السوآت والآفات في الخالدات العبقريات من تأليف اولئك
التوابع هو كما اسلفت مرارة السجية وحموضة الطبع وحرافة
المزاج وما يتبع ذلك من جفوة الروح وقسوة القلب وغلظة الكبد
وليس ثروت باشا بالجافي النفس ولا القاسي القاب ولا الغليظ
الكبد ولا هو بالحامض الطباع الحريف المزاج ولا بالموحش
الجناب المظلم الناحية الراكد النسبات . ولكنه مع متانة اخلاقه
وصرامة عزمه وانه لا يجمد في الحق ولا يتدفق في الباطل - تراه
ذلك الرجل اللين الجانب المأنوس الجناب المشرق الناحية هيناً
ليناً طلق الجبين براق الاسارير
بشر ابو مروان ان عاسرته عسر وعند يساره ميسور

وكاسيل ان قاومته انقدت طوعه
وتقتاده من جانبيه فيتبع

فاذا جالسته صدرته وتنحيت له في الخاشية
واذا سايرته قدمته وتأخرت مع المستأنيه

واذا ياسرته صادفته سلس الخلق سليم الناحية
واذا عاسرته صادفته شرس الرأي ايبا داهيه
فاحمد الله على صحبته واسأل الرحمن منه العاقبه

وطبيعة ثروت باشا بعهى الدماثة واللاطف والرفقة والظرف
وان كان فيه عند مقتضيات الاحوال شدة وصلابة وبأس وصرامة
له سورة مكتنة في سكينه كما اکتن في الغمد الحسام المهند
وتلك شيمة الرجل الفاضل في كل زمان ومكان . وتلك
كانت شيمة أبطال العرب في ذروة عزم وعلواء مجدهم - قلوب
تذوب رحمة وعطفاً . في جوانح تلتهب حمية وانفا . وأرواحاً تندفق
براً وكرماً . تحت عزمات تتور عزا وشما . كاليزبوع الثر الغزير .
العذب النмир . يكتنفه أمنع سور من الصفوان . وأمتن حاجز
من الجامد الصوان .

ولا خير في حين اذا لم تكن له

بوادر تحمى صفوه أن يكدرها

وتلك كانت شيمة فرسان المسيحية في عهد الفروسية الامجد
الاشرف اندى هو نخر المدينة الغرية في القرون الوسطى - يوم
كان نمة الدين هم أيضاً ائمة الحرب والجهاد . وكان أعلام التقى .
أعلام الوغى . يوم كان أبطالهم يحملون الانجيل على اسلات

الرماح . ويقرنون السيف الى الصليب في نطاق ووشاح . هنالك
كنت ترى أقصى غاية البر والرأفة والحنان . مع أقصى غاية الثبات
والشجاعة وقوة الجنان . هنالك كنت ترى التواضع والحياء
والخشوع والانكسار . مع البأس والشدة وصوله العزيز
القهار

خاشع تارة وجبار أخرى فتراه أرضاً وطوراً سماء
وهكذا اذا طلبت منتهى الرقة والدمائة والحنان والرحمة
وجدتها في الرجل الصارم الشجاع القوي المتين . وكذلك أعذب
الماء وأصفاه هو ما صادفته في النقر والاصاب في الصخرة الصماء
والصفاء الصلدة .

ومن ثم كان ثروت باشا ذلك البطل القوي الأيد الصاب
العود والمعجم رجلاً سماجاً سجعاً غزير الأنس والحفاوة جم الظرف
والفكاهة تكاد ابتسامته تضفي ماحوله بنور البشر والطلاقة
ويكاد الهواء يتأرجح بطيب أنفاسه اذ كانت صادرة عن روضة
الحسب الأغر . والكريم الاوفر الأبر .

ولا شك عندي في أن تلك المادة الغزيرة من الفرح
والابتهاج الغريزي في ثروت باشا هي من أعظم أسباب نجاحه في
كل ما يحاول من الخطط والتدابير وكل ما يباشر من المعاملات

والمفاوضات . لأن ذلك الفرح والاتجاه بظل له كنسوة طبيعية
تمحرك همته وتبعث عزمته وتترك سيف جده مسلولا لا يسرداع
ومقتضى وتغنيه عن كل منشط خارجي وحافز صناعي . وأكبر
ظني ان هذا الاتجاه والصفاء الغريزي النفساني في ثروت باشا
هو بعض مصادرتك الجادية والخلابة التي استطاع بها أن يؤثر
في كبار رجالات البريطانيين ممن فاوضوه في قضيه البلاد المقدسة
ويستميلهم الى مذهبهم وبينهم صحة رأيه ونصوح حجته .
وأراني خليقا أن أشبهه في ذلك بالقائد الانكليزي العظيم الدوق
اوف مايره ذلك البطل التاريخي المشهور الذي بفضل حذقه
واباقته انصرت انكلترا وحلفاؤها على فرنسا في عهد لويز الرابع
عشر يوم كانت فرنسا أقوى دول اوروبا جيوشا وأمرها قوادا
وأشدها بأسا وصدولة وأقهرها سطوة وسلطانا لمد كانت
جيوس حلفاء بريصيا حروم المحويه البرالية مع
فرنسا في ذلك العهد عرضة اموامل النزاع والشقاق لا يزال
يقع بينها النفور والمساحنة فلو كانت ستمرت على تلك
الحال ما كانت سمرت من فرنسا بطائل بل كان من المؤكد
هزيمتها ودمارها بسبب تلك الدولة . ولكن القدر الذي
اراد غير ذلك جعل من خلابة القائد مايرة ، ومن جاذبيته

ومن رقة شيمته وحلاوة انسه وعدوبة شمائله ابلغ وسيلة وأحسن
واسطة لضم شوارد القلوب بين الحلفاء وتأليف نواقر النفوس
وجمع بدائد الاهواء والاميال ونظم تلك العناصر المتساحنة في
سلك واحد من الوثام والالفة وقياد الجميع بحبل التوفيق والهداية
الى غرضهم الاوحد الفرد من تلك الحرب السعواء - على الرغم
من متباين مذاهبيهم وآرائهم ومما كان متفشيًا بينهم من عوامل
التحاقد والتحاسد ونزوات التمسف والتهور ونزغات الطيش
والضلال . فإما بلاط من بلاطات تلك الدول المتحالفة كان يذهب
اليه القائد المبررة ويغتياه كان لا يلبث بفضل سجاينة خلقه وحلاوة
سجاياه وعدوبة طبعه أن يستميل اهله ويستدرجهم مهما بلغ من
عنادهم وشكستهم حتى يحملهم على قبول شروطه واتباع رأيه .

لقد امتار ثروت باشا انواع من صفاء النفس وهدوء الروح
وسكينة الجأش لها في نفوس مخاطبيه ومجالسيه من الاثر العميق
ما يشبه تأثير النغم الرخيم والالحان الشحنة ولاعجب فان الصفاء
والهدوء من النشام وكل نظام فناء يكون بقاءً بفضل ما ينطوى
في جوفه من الموسيقى الصامتة أي من روح الموسيقى او بعبارة
أخرى كل نظام موسيقي في عصره وجوهره فهذا الهدوء
والسكينة والصفاء في ثروت باشا تور في مخاطبيه ومحاسنه

تأثيراً يسببهم من نفوسهم ويجتذبهم اليه بنوع من الكهرباء الخفي . فلا جرم اذا قلنا ان مثل هذا الخلاب تكون روحه منهلاً للانس ومستراداً للنعميم والمسرة وسنا بشره يفيض على جوانب الجو كمثل رونق الضحى . وحديثه ينفث في الهواء كأنفاس النعامي . تنفح باربع الخزامى .
أو كأنسيم الغضب الحيا يختال في أردية الفجر

واذ ما اشار هبت صبا المسك وختت الايوان من كافور
هده السكينة والهدوء والصفاء الغريزية الفطرية (مع حدة
الذهن الهائلة) هي التي بفضلها بلغ نابليون - أعظم رجل في
التاريخ الحديث - من ذروة المجد والدلاء وقمة الحسب والفخار
ما راع الملائم وبهر العالم - وهي التي بفضلها أيضاً استطاع ذلك
الرجل المدهش أن يحتسب رزاء الدهر ومحن الزمان في عظمة
وجلال يسومها سيء من اللهو والعبث وأن يسلم لخسارة
ملك العالم استسلامه من خسر دوراً في اممة الترد أو الشطرنج
هكذا - ترى رز - تدع صرامته وأسسه في مواضع
جدو حربه سر - . . . وعسح الجبين حه البشر والحفارة
عذب كائيس حو وجهه الكرم

ابتسامة صادقة من فؤاد صادق - لأن من الابتسامات ما تكون
كاذبة منبعثة عن فؤاد كاذب كسائر الكاذب صاحبها من أعمال
وأقوال . وما زال الابتسام الصادق والضحك الخالص الصريح
ينبعث من القلب الطاهر النقي الرقيق الحاشية . الأمين الناحية .
الغزير مادة الحنان والرحمة . فمثل ذلك الضحك يكون عنوان
الكرم والخير . وشاهد المروءة والبر . اذا كان كاذب الضحك
آية الشر والنكر وأمانة الخبت والغدر . وما زال الحر الشريف
يمزح في الاحايين ويهزل . والبر الكرم يطرب ويجذل .
وما زانا ترى الارب الحصيف يفصل نظام حكمته ، الأمين بشذور
الامازيج والفكاهات . ويرصع ديباجة كلامه ، الجدى الرزين بفصوص
المعابث والمداعبات . ومن ثم ما قاله نوماس كارايل في وصف
افراط الفكاهة والضحك في سيد شعراء العالم قاطبة : « وايم
شا كسبير » « لا ارى دليلا أصدق على ما يمتاز به ذلك الشاعر
أخذ من كرم النفس ورقة الطبع وثناء الضمير وثناء السريرة
من غفوة الضحك وافراط المزح في رويته لا ترى ان
مضحكته تنحط عليك كشأيب الغيث الزر . ودو افع السيل
الهمر . ألا ترى انه ذ نصب ح . أشجاص رويته غرمن ، نرأى
المزح والدعابة انبرى يهبل على رأسه م لا ينص من ان ين

والسخاء . وأشعة الفطنة والذكاء وجمرات العزم والمضاء
ومن أركان مناقب ثروت أيضاً الثقة بالنفس والاعتزاز
بالرأي والنفاذ والصرامة . فهو يمضى فى تنفيذ ارادته مضاه النجم
الثاقب متحملاً مسؤولاً اعماله وتبعها مفتوحاً ما يعترضه مما
يراه هو اعتراضاً باطلاً واعتباراً كاذباً . غير مبال بما يصبوب اليه
من سهام الملامم والتفنيد وقوارص العذل والتقريع اعتباراً بما
يعتقد انه سيكون من صاح ستائج ومحمود العواقب . ثم يراه
هو يبصره النافذ ورويته البصيرة وان خفي على غيره من
الاشخاص المعتادين ممن لم تمنحهم الطبيعة ما ميزته هو به من
الذكاء والفطنة والدهاء فلا عجب اذا كان ثروت اشاك غيره
من الابطال الفحول يترس فيما يأتى ويذر وفيه الخبر . يعقده من
سر الحكمة ووجه الصواب ما ليس يظهر لسواه من الناس
اذ كان كل فائد يظل أعرف بخطته من سائر الجنود وأصر بما
ينتج لهم من منفع السمي والار وسبل الخزر .
العمل المرقوم . فى ذهنه وخزينة ارحف المرسوه .
قلبه اتنا يرويه . وحده من دون . وهو يحلده
المسؤول عن العاقبة را . يتقدوا والمعارض ما .

اعتراضهم وتقدم إلا سحابة صيف لن تلبث أن تزول متى طلعت
من ورائها شمس نتائج أعماله مشرقة بلجاء واذ ذاك يعلم اقوام
أن مذهب الوزير كان الحق الصراح وخطته الصدق المبين وكان
عمله منزها عن الاغراض والاهواء بريئاً من شوائب الانانية .
بل هادماً لعوامل الانانية ماحقاً لعناصرها مشبعاً بمواطن
الوطنية والاخلاص والتضحية .

ونحن اذا آسنا في أخلاق ثروت باشا خلة الثقة بالنفس
والاعتزاز بالرأي فقد ما آنس الناس ذلك في كل بطل وقائد .
وهل كان الاعتزاز بالنفس الاشيمة النفس الثائرة على الاكاذيب
والاباطيل المترفعة عن مراعاة الكاذب التقاليد والاصطلاحات .
واباطيل السنن والاعتبارات . الاخذة بالجد والاقدام والاصرار
والتابرة بعزيمة لا تهز ولا تكمل . وصرية لا تثلم ولا تقفل .
المستهرثة باكاذيب الآراء والعقائد . فصاحب مثل هذه النفس
الكبيرة السماء ينطلق الى غاية انطلاق الكوكب المشبوب
استرسالاً في مننه طرباً على نغمات موسيقى روحه العظيمة الجياشة
الصداحة وتوترت من حواء نزواج . وضجت المعامع . وصخبنت
نزعازع . وهبت لعواصف . وزججرت القواصف . وكاد الكون
أن يتحطم فيتهم . هذه وبيت البطولة في انصع مجالها . وابتعد

مرايمها . وهي وان راعت بعض القوم واخافهم - لعجزهم عن
سبر أغوارها . وادراك أسرارها . - فالواجب على الجميع أن
يوقوها حقها من الاجلال والا كبار . اذا كانت قد حفت
من شواهد الجلال وآيات السمو والمظمة بما ينبغى أن يشرعوا طاف
الاعجاب والا كبار في نفس كل شريف بل في نفس كل من علق
بنفسه أدنى أثر من عناصر الشرف والكرم والروءة - فيملؤه
عجباً وطرباً من جلائل أعمال ذلك البطل (وان قصر ذهنه عن
تمام إدراكها) ثم يلهمه شيئاً من الصبر والتأني انتظاراً وترقباً لما
سيكون من نتائج فعاله وعواقب أعماله . - وحسبه أثناء ذلك
أن يحمل نفسه على الاعتقاد بأن أعمال مثل هذا الرجل القوي
انما هي أفعال المولى جل شأنه يأتيها على يد عبد من عباده . فتبجح
بأي مخلوق أنت يتسرع اليها باللوم والظعن والهجاء وذميمة أن
يعجل الى منفذها بالشر والشغب والمناوأة أو يعترضه في سبيله
الخشن الصعب بالعرقلة والتعذيل والمقاومة - فحسبه بخشونة مركبه
ووعورة مسلكه . وینه يبيت ساهر العين من أجل عيون ملء
أجفانها الرعد . وينصب متمب الجسد من أجل أجساد . تتقاب
على الين مهاد . ويتجرع غصص الاء . في سبيل أقوام يرشفون
أقداح المسرات والنعم . ويختلط أشواك المنض من شجر الكبد

والعناء . لمصاحبة من يقطنون ثمار الراحة من أفنان الدعة والصفاء .
ان الرجل العظيم يعلم عمله مدفوعاً اليه بدافع وجداني
مستسر في خفايا نفسه العميقة العظيمة - فحكمة هذا الدافع
الوجداني لا يمكن أن تكون بادية لعيون العامة والجاهير منلما
تبدو وتظهر لصاحبه - بدايل ان كل امرئ يكون أعرف بسريرة
وجدانه من غيره ويكون أبعد نظراً وأقصى مرعى فيما يتعلق
بعذبه الخاص به دون غيره وبخطته التي هو انتهجها دون سواء -
واكنا نرى الذين لا يريدون أن يعترفوا للرجل العظيم
بشرف مسعاه . وسمو غايته ومرماه - إما تقصر عن إدراك
مراميه أو لآفة في نفوسهم - ينكرون عليه بعد همته وحمس
نيتته . فيتهمونه بالسعي وراء حاجة في نفسه وبغية شخصية أنانية .
ومن ثم يحكمون عليه بما لا يليق أن ينسب الى الفحول والابطال .
أمثال هؤلاء الظالمين الجائرين لا يرون في أبطال العالم الذين هم بناة
مافى العالم من مجد وعظمة ومشيدوما فيه من صروح الحضارة
والمدينة العالية - والدين هم في الحقيقة اعلام التاريخ وفرائد مقدمه
النظيم الملائمة منهم سلسله المدينيات الذهبية - الا اشراً آئمين
لا فضل لهم ولا خير فيهم . وانهم لم يأتوا من أعمالهم العظام ما أتوا
الا ارضاء شهوات أنانية واشباعاً ناطمع شخصية . والواقع ان

اولئك الافا كين المعتدين بالكذب والزور على مقامات العظاء
في كل زمان ومكان هم الجناة الآثمون الذين لم يسلم من السنهم
بطل ما أيا كان في حاضر الزمن وغابره فهم زعموا أن الاسكندر
الا كبر كان مجنوناً مصاباً بمجنون الغزو والفتح بعله انه دوح بلاد
اليونان . واصتاع آسيا - وزعموا أن حب الشهرة والولوع
بالصيت كان باعنه الوحيد على فتوحاته العظيمة بدليل ان هذه
الفتوحات قد ادت في النهاية الى الصيت والشهرة . ومثل هذا
قاله اوائك الافا كون عن يولوس قيصر وهانيل والسفاح وتيمور
لنك ومحمد الفاتح وشارلان وشارل الثاني عشر ملك السويد (الذين
سموه « مجنون الشمال - اشارة الى موقع مملكته من انحاء المعمور)
ونابليون بونابرت وكذلك نخيل اليهم أنهم قد استطاعوا أن يثبتوا
الجنون على ائمة العالم وقادته وأقطابه . وكأني بهم قد استنتجوا من
ذلك (وان لم يصرحوا بهذا الاستنتاج) أنهم هم الا كبر والفحول
والعظاء - لانابليون ولا محمد الفاتح ولا عمرو ولا أمثالهم - وأنهم هم
أجل وأعظم من هؤلاء الاعلام والافطاب بدليل أنهم لم يغزوا آسيا
كالاسكندر ولم يفتحوا روما كهانيبال ولم يدوخوا اوربا كما فعل
نابليون وانما حصروا كل مجهودهم وهمتهم في أن يأكلوا ويشربوا
ويتركوا غيرهم يأكل ويشرب وبذلك عاشوا وماتوا سالمين مسلماً

منهم آمنين مأمونا من شرهم
فهؤلاء النقاد الاصاغر أشبه شيء بالبعوض الذى يحاول أن
يلدغ بأبرته الضائيلة الواهية المناكب العراض والاعناق الضخمة
من أسود المجتمع وضياعه فكل ابرتهم وتبرى دون أن تنال
تلك الليوث بأذى ضائر. أو هم كما قال الاعشى
كناطح صخرة يوماً ليفلقها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل
هذا البعوض النقاد مازال يظهر فى العالم منذ كان العالم لم
يخل منه عصر من العصور ولا مصر من الامصار. فنحن نتلو
نبأه فى اليازة هو ميروس تحت اسم « ثرسيديس » ذلك المخلوق
الحقير الذى لم يكن له هم ولا دأب الا سب الامراء والملوك -
فكان جزاؤه على الدوام الضرب بالعصى والجلد بالسياط. وأشد
عذاباً عليه من ذلك شوكة الحسد المضيض وابرة الحقد الأليم
التي قضى عليه أن لا يزال يحملها فى جلده وجمرة الغيظ والحنق
التي قيض له أن لا تنفك مدفونة فى صميم كبده. وحسبه فشلاً
وخبية مع كل ذلك أن تصبح آراؤه الوجيزة الرشيدة. وانتماذاته
السليمة السديدة - يوماً ما ان عاجلاً أو آجلاً - قد ذهبت بعسد
كل مجهوداته الجسيمة ومحاولاته العظيمة هباء منثورا. « وهل جاء
الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً : »

والآن بعد ما اجلت قلمي الضعيف جولة في هذا الميدان
الفسيح - مجال البطولة والفحولة - وسمته خوصنة في ذلك الخضم
العميق - عباب العظمة والهمة والرجولة - التي به في اكناف
الراحة نضواً متعباً حسيراً من طول ما اصطاك أثناء جولاته
يهضاب تلك العبقرية الباذخة . وجبال تلك البطولة الشامخة .
وأطرح صحيفتي في يمين التأليف ذلك الهاجج المائج الناثر المضطرب
لتلقي نصيبها من الطفو أو الرسوب . وجزاءها من العطب أو
السلامة .

اقد أمضيت برهة على هضاب جبل « أولمب » مجال
الابطال وملعب الالهة (في أساطير اليونان) أتأمل روائع آياتها
وبدائع معجزاتها . حتى أفعم قلبي جلالاً وجمالاً . وبهرني ذلك
المشهد المهيّب فأنحدرت نازلاً وأنا أسبح بحمد الله عجباً وطرباً واحمد
الصانع البديع الذي يأبى كرمه وفضله أن يترك مقابح هذه الحياة
وشوهادتها في أي عصر وبقعة خالية من محاسن الرجولة . مقفرة
من مفاخر العظمة والبطولة .

مشروع ملنر

مذكرة

١ - لكي يبنى استقلال مصر على أساس متين دائم يلزم تحديد العلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر تحديداً دقيقاً ويجب تعديل ما تتمتع به الدول نواب الامتيازات في مصر من المرايا وأحوال الاعفاء وجعلها أقل ضرراً بمصالح الملاد

٢ - ولا يمكن تحقيق هذين الغرضين بغير معاوضات جديدة تحصل للغرض الاول من ممثلين معتمدين من الحكومة البريطانية وآخرين معتمدين من الحكومة المصرية ومفاوضات تحصل للغرض الثاني بين الحكومة البريطانية وحكومات الدول ذوات الامتيازات وجميع هذه المفاوضات ترمي الى الوصول الى اتفاقات معينة على القواعد الآتية :-

٣ - اولاً - تعقد معاهدة بين مصر وبريطانيا العظمى تعترف بريطانيا العظمى بموجبها باستقلال مصر كدولة مملوكة دستورية ذات هيئات نيابية وتمنح مصر بريطانيا العظمى الحقوق التي تلم لصيانة مصالحها الخاصة ولتمكينها من تقديم الضمانات التي يجب أن تعطى للدول الاجنبية لتحقيق تحي تلك الدول عن تلك الحقوق المخولة لها بمقتضى الامتيازات

ثانياً - ترم بموجب هذه المعاهدة نفسها بحالمة بين بريطانيا العظمى

ومصر تنعهد بمقتضاها بريطانيا العظمى أن تمضد مصر في الدفاع عن سلامة أرضها وتنعهد مصر أنها في حالة الحرب حتى ولو لم يكن هناك مساس بسلامة أرضها تقدم داخل حدود بلادها كل المساعدة التي في وسعها إلى بريطانيا العظمى ومن ضمنها استعمال ما لها من الموانئ وميادين الطيران ووسائل المواصلات للأغراض الحربية .

٤ - نشتمل هذه المعاهدة احكاما للأغراض الآتية :-

اولاً - تتمتع مصر بحق التمثيل في البلاد الاجنبية وعند عدم وجود ممثل مصري معتمد من حكومته تعهد الحكومة المصرية بمصالحها إلى الممثل البريطاني وتنعهد مصر بأن لا تتخذ في البلاد الاجنبية خطة لا تتفق مع المحالفة أو توجد صعوبات لبريطانيا العظمى وتنعهد كذلك بأن لا تعقد مع دولة اجنبية أي اتفاق ضار بالمصالح البريطانية .

ثانياً - تمنح مصر بريطانيا العظمى حق ابقاء قوة عسكرية في الاراضي المصرية لحماية مواصلاتها الامبراطورية وتعين المعاهدة المكان الذي تمسك فيه هذه القوة وتسوي ما تستتبعه من المسائل التي تحتاج إلى التسوية ولا يعتبر وجود هذه القوة بأي وجه من الوجوه احتلالاً عسكرياً للبلاد كما انه لا يمس حقوق حكومة مصر .

ثالثاً - تعين مصر بالاتفاق مع الحكومة البريطانية مستشاراً يعهد اليه في الوقت عينه بالاختصاصات التي لصندوق «الدين الآن ويكون تحت تصرف الحكومة المصرية لاستشارته في جميع المسائل الاخرى التي قد ترغب في استشارته فيها .

رابعاً - تعين مصر بالاتفاق مع الحكومة البريطانية موظفاً في وزارة الحقاية يتمتع بحق الدخول على الوزير ويجب احاطته علماً على

الدوام بجميع المسائل المتعلقة بإدارة القضاء فيما له مساس بالاجانب ويكون ايضاً تحت تصرف الحكومة المصرية لاستشارته في أي أمر مرتبط بحفظ الامن العام

خامساً - نظراً لما في النية من نقل الحقوق التي تستعملها الى الآن الحكومات الاجنبية المختلفة بموجب نظام الامتيازات الى الحكومة البريطانية تعترف مصر بحق بريطانيا العظمى في التداخل بواسطة ممثليها في مصر لمنع أن يطبق على الاجانب أي قانون مصري يستدعي الآن موافقة الدول الاجنبية وتتعهد بريطانيا العظمى من جانبها أن لا تستعمل هذا الحق الا حيث يكون مفعول القانون جائراً على الاجانب .

صيغة أخرى لهذه المادة

نظراً لما في النية من نقل الحقوق التي تستعملها للآن الحكومات الاجنبية المختلفة بموجب نظام الامتيازات الى الحكومة البريطانية تعترف مصر بحق بريطانيا العظمى في التداخل بواسطة ممثليها لمنع أن ينفذ على الاجانب أي قانون مصري يستدعي الآن موافقة الدول الاجنبية وتتعهد بريطانيا العظمى من جانبها أن لا تستعمل هذا الحق الا في حالة القوانين التي تتضمن تمييزاً جائراً على الاجانب في مادة فرض الضرائب اولا توافق م ادىء التسريع المشتركة بين جميع الدول ذوات الامتيازات .

سادساً - نظراً للعلاقات الخاصة التي نبدأ عن المحالفة بين بريطانيا العظمى ومصر يمنح الممثل البريطاني مركزاً استثنائياً في مصر ويخول حق التقدم على جميع الممثلين الآخرين .

سابعاً - الضباط والموظفون الاداريون من بريطانيين وغيرهم

من الاجانب الذين دخلوا خدمة الحكومة المصرية قبل العمل بالمعاهدة
يجوز انتهاء خدمتهم بناء على رغبتهم أو رغبة الحكومة المصرية في
أي وقت خلال سنتين بعد العمل بالمعاهدة وتحدد المعاهدة المعاش
أو التعويض الذي يمنح للموظفين الذين يتركون الخدمة بموجب هذا
النص زيادة عما هو مخول لهم بمقتضى القانون الحالي .

وفي حالة عدم استعمال الحق المخول بهذا الاتفاق نبقى احكام التوظيف
الحالية بغير مساس .

٥ - تعرض هذه المعاهدة على جمعية تنظيم ولكن لا يعمل بها لا
بعد انقضاء الاتفاقات بين الدول الأجنبية على ابطال محاكمها القنصلية
وانقضاء الأوامر العالية المعملة لنظام المحاكم المختلطة .

٦ - بعد الى جمعية التنظيم وضع قانون نظامى جديد تسير حكومة
مصر في المستقبل بمقتضى أحكامه ويتضمن هذا النظام أحكاماً تقضى
بجعل الوزراء مسئولين امام الهيئة التشريعية وتقضى أيضاً باطلاق
الحرية الدينية لجميع الأشخاص والحماية الواجبة لحقوق الأجانب .

٧ - تحصل التعديلات اللازم ادخالها على نظام الامتيازات باتفاقات
تمقد بين بريطانيا العظمى والديار المختلفة ذوات الامتيازات وتقضى
هذه الاتفاقات بابطال المحاكم القنصلية الأجنبية لكي يتيسر تعديل
نظام المحاكم المختلطة وتوسيع اختصاصها وسريان التشريع الذى تسنه
الهيئة التشريعية المصرية (ومنه التشريع الذى يفرض الضرائب) على
جميع الاجانب فى مصر .

٨ - تعرض هذه الاتفاقات على أن تنتقل الى الحكومة البريطانية
الحقوق التى كانت تستعملها الحكومات الأجنبية المختلفة بمقتضى نظام

الامتيازات وتشتمل أيضاً أحكاماً تقضي بما يأتي . -

أولاً - لا يسوغ العمل على التمييز الجائر على رعايا أى دولة وافقت على ابطال محاكمها القنصلية ويتمتع هؤلاء الرعايا في مصر بنفس المعاملة التي يتمتع بها الرعايا البريطانيون .

ثانياً - يؤسس قانون الجنسية المصرية على قاعدة النسب فيتمتع الاولاد الذين يولدون في مصر لأجبي بجنسية أبيهم ولا يحق اعتبارهم رعايا مصريين .

ثالثاً - تخول مصر موظفي قنصليات الدول الأجنبية نفس النظام الذي يتمتع به القناصل الأجانب في إنجلترا .

رابعاً - الماهدات والاتفاقات المالية التي اشتركت مصر في التعاقد عليها في مسائل التجارة والملاحة ومنها اتفاقات البريد والتلغراف تبقى نافذة المفعول أما في المسائل التي يناهاها مساس ما جرى ابطال المحاكم القنصلية فتعهد مصر الماهدات النافذة المفعول بين بريطانيا العظمى والدول الأجنبية صاحبة الشأن مثل معاهدات تسليم المجرمين وتسليم البحارة الفارين وكذلك المعاهدات التي طاصفة سياسية سواء كانت معقودة بين أطراف عدة أو بين طرفين مثال ذلك اتفاقات تحكيم والاتفاقات المختلفة المتعلقة بسير الحروب وذلك كله ريثما تعقد اتفاقات خاصة تكون مصر طرفاً فيها .

خامساً - تضمن حرية ابناء المدارس وتعليم لغة الدولة الاجنبية صاحبة الشأن على شرط أن تخضع هذه المدارس من جميع الوجوه للقوانين السارية بوجه عام على المدارس الواردة بية بمصر .

سادساً - تضمن أيضاً حرية ابقاء أو انشاء مدارس دينية وخيرية

كالمستشفيات الخ وتنص المعاهدات أيضا على التغييرات اللازمة في صندوق الدين وعلى ابعاد العنصر الدولي عن مجلس الصحة في الاسكندرية .

٩ - التشريع الذي استلزمه الاتفاقات السالفة الذكر بين بريطانيا والدول الأجنبية يعمل به بمقتضى مراسيم تصدرها الحكومة المصرية وفي الوقت عينه يصدر مرسوم يقضى باعتبار جميع الاجراءات التشريعية والادارية والقضائية التي اتخذت بمقتضى الاحكام العرفية صحيحة .

١٠ - تقضى المراسيم العالية المعدلة لنظام المحاكم المختلطة بتحويل هذه المحاكم كل الاختصاص الذي كان يخولا الى الآن للمحاكم القنصلية والأجنبية ويترك اختصاص المحاكم الأهلية غير ممسوس

١١ - بعد العمل بالمعاهدة المشار اليها في البند الثالث تبلغ بريطانيا العظمى نصها الى الدول الأوروبية الأجنبية وتعهد الطاب الذي تقدمه مصر للدخول عضواً في جمعية الأمم .

مشروع كرزون

بنصوص مشروع اتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر

أولاً - انتهاء الحماية

١ - في مقابل إبرام المعاهدة الحالية والتصديق عليها تقبل حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى رفع الحماية المعلنه على مصر في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ والاعتراف بمصر من ذلك الحين دولة متممة بحقوق السيادة (Sovereign State) تحت امرة ملوكية دستورية . فيمقتضى هذا قد أبرمت وتستمر باقية بين حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وشعبه من جهة وبين حكومة مصر والشعب المصرى من الجهة الأخرى معاهدة دائمة ورابطة سلام ووداد وتحالف .

ثانياً - العلاقات الأجنبية

٢ - تتولى الشؤون الخارجية لمصر وزارة الخارجية المصرية تحت إدارة وزير معين لذلك .

٣ - يمثل حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى في مصر قوميسير عال يكون له في جميع الأوقات وبسبب مسؤولياته الخاصة مركز استثنائى ويكون له حق التقدم على ممثلى الدول الأخرى .

٤ - يمثل الحكومة المصرية في لوندرة وفي أية عاصمة أخرى ترى الحكومة المصرية أن المصالح المصرية يمكن أن تستدعى هذا التمثيل فيها معتمدون سياسيون يكون لهم لقب ومرتبة وزير .

٥ - بالنظر للتمهيدات التى أخذتها بريطانيا العظمى على نفسها في

مصر وعلى الخصوص فيما يتعلق بالدول لأجنبية يجب أن توجد أوثق الصلات بين وزارة الخارجية المصرية والقوميسير العالى البريطانى الذى يقدم كل المساعدة الممكنة للحكومة المصرية فيما يتعلق بالمعاملات والمفاوضات السياسية

٦ - لا تدخل الحكومة المصرية في أي اتفاق سياسى مع دولة أجنبية بدون أن تستطلع رأي حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى بواسطة القوميسير العالى البريطانى .

٧ - تتمتع الحكومة المصرية بحق تعيين ممثلين قنصلين في الخارج حسب مقتضيات مصالحها .

٨ - لأجل تولى الشؤون السياسية بوجه عام والقيام بالحماية القنصلية للمصالح المصرية في الأماكن التى لا يوجد فيها ممثلون سياسيون أو قناصل مصريون يضع ممثلو جلالة ملك بريطانيا العظمى أنفسهم تحت تصرف الحكومة المصرية ويقدمون لها كل مساعدة في قدرتهم .

٩ - تستمر حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى على تولى المفاوضة لالغاء الامتيازات الحالية مع الدول ذوات الامتيازات وتقبل مسؤولية حماية المصالح المسرعة الاطاب في مصر وتتداول حكومتها جلالة الملك مع الحكومة المصرية قبل البت في هذه المفاوضات رسمياً .

ثالثاً - المنصوص العسكرية

١٠ - تتعهد بريطانيا العظمى بمساعدة مصر في الدفاع عن مصالحها الحيوية وعن سلامة أراضيها .

لأجل القيام بهذه التعهدات والحماية المواصلات الارطورية البريطانية الحماية اللازمة تكون للقوات البريطانية حربية المرور في مصر

ولها أن تستقر في أي مكان في مصر ولا أية مدة يحددان من وقت لآخر . ويكون لها أيضاً كل وقت مالها الآن من التسهيلات لأحراز واستعمال الذكوات وميا بن التمرين والمطارات والترسانات الحربية والمين الحربية .

رابعاً - استخدام الموظفين الأجانب

١١ - بالنظر للمسؤوليات الخاصة التي تتحملها بريطانيا العظمى وبالنظر للخدمة القائمة في الجيش المصري والمصالح العمومية تعود الحكومة المصرية بالألتعين ضباطاً أو موطقين أجانب في أية مصلحة منها قبل موافقة القوميسر العالى البريطانى .

خامساً - الادارة المالية

١٢ - تعين الحكومة لمصرية بعد استشارة In consultation with حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قوميسيراً مالياً توكل اليه في الوقت المناسب الحقوق التي يقوم بها الآن أعضاء صندوق الدين ويكون هذا القوميسير المالى مسؤولاً بوجهه أخص عن دفع المطلوبات الآتية في مواعيدها :

- (١) المبالغ المخصصة لميزانية الحاكم المحلطة .
- (٢) جميع المعاشات والسنويات الأخرى المستحقة لموظفين الاجاب المحلن على المعاش وورنتهم .
- (٣) ميزانيتى القوميسرين المالى والفصائى والموظفين التابعين لها .

١٣ - لأجل أن يؤدي القوميسير المالي واجباته كما ينبغي يجب أن يحاط احاطة تامة بجميع الأمور الداخلة في دائرة وزارة المالية ويكون له في كل وقت التمتع بحق الدخول على رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية .

١٤ - ليس للحكومة المصرية عقد قرض خارجي أو تخصيص إيرادات مصلحة عمومية بدون موافقة القوميسير العالي .

سادساً - الإدارة القضائية

١٥ - تعين الحكومة المصرية بالاتفاق مع حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قوميسيراً قضائياً يكاف بسبب التعهدات التي تحملتها بريطانيا العظمى القيام بمراقبة تنفيذ القانون في جميع المسائل التي تمس الاجانب .

١٦ - لأجل أن يؤدي القوميسير القضائي واجباته كما ينبغي يجب أن يحاط احاطة تامة بجميع الامور التي تمس الاجانب وتكون من اختصاص وزارة الحقانية والداخلية ويكون له في كل وقت التمتع بحق الدخول على وزيرى الحقانية والداخلية .

سابعاً - السودان

١٧ - حيث ان رقي السودان السلمي هو من الضروريات لأمن مصر ولدوام مورد المياه لها تتعهد مصر بأن تستمر في أن تقدم لحكومة السودان نفس المساعدات الحربية التي كانت تقوم بها في الماضى أو أن تقدم بدلا من ذلك لحكومة السودان اعانة مالية تحدد قيمتها بالاتفاق بين الحكومتين

تكون كل القوات المصرية في السودان تحت امر الحاكم العام وغير ذلك تعهد بريطانيا العظمى بأن تضمن مصر نصيبها العادل من مياه النيل ولهذا الغرض قد تقرر أن لا تقام أعمال ري جديدة على السيل أو روافده جنوبي وادي حلفا بدون موافقة لجنة مؤلفة من ثلاثة أسماء يمثل أحدهم مصر والثاني السودان والثالث أوغندا.

ثامناً - قروض الجزية

١٨ - المبالغ التي تعهد خديويو مصر في أوقات مختلفة بدفعها للبيوت المالية التي أصدرت القروض التركية المضمونة بالجزية المصرية تستمر الحكومة المصرية على تخصيصها كما كان في الماضي لدفع الفوائد والاستهلاك لقرضي سنة ١٨٩٤ وسنة ١٨٩١ الى أن يتم استهلاك هذين القرضين.

تستمر الحكومة المصرية أيضاً في دفع المبالغ التي كان جارياً دفعها لسداد فوائد قرض سنة ١٨٥٥ المضمون.

عند ما يتم استهلاك قروض سنة ١٨٩٤ وسنة ١٨٩١ وسنة ١٨٥٥ تنتهي مسئولية الحكومة المصرية فيما يتعلق بأي تعهد ناشئ عن الجزية التي كانت تدفعها مصر لتركيا سابقاً.

تاسعاً - اعتزال الموظفين والتعويض المستحق لهم

١٩ - للحكومة المصرية الحق في أن تستغني عن خدمة الموظفين البريطانيين في أي وقت كان بعد تقاذه هذه المعاهدة بشرط أن يمنح هؤلاء تعويضاً مالياً كما سيأتي بيانه وذلك زيادة على المعاش أو المكافأة التي يستحقونها بمقتضى احكام استخدامهم

ويكون للموظفين البريطانيين الحق بنفس هذه الشروط في الاستعفاء من الخدمة في أي وقت بعد نفاذ هذه المعاهدة .

تسرى جميع هذه الاحكام على الموظفين الذين لهم الحق في المعاش والذين ليس لهم الحق في المعاش وأيضاً على موظفي البلديات ومجالس المديرات والهيئات المحلية الاخرى .

٢٠ - الموظفون المرفوتون أو المحالون على المعاش طبقاً لنص المادة السابقة تعطي لهم زيادة على التعويض اعانة اياب لبلادهم تكون كافية لسد نفقات ترحيل الموظف نفسه وعائلته ومناهه المنزلي الى لندره .

٢١ - تدفع التعويضات والمعاشات بالجنيهات المصرية باعتبار سعر ثابت قدره ٩٧ قرشاً صاعاً ونصف قرش صاع للجنيه الانجليزي
٢٢ - يوضع جدول عن التعويضات :

(١) للموظفين الدائمين

(٢) للموظفين المؤقتين

بمعرفة رئيس جمعية خبراء حسابات التأمين (Society of Actuaries)

عاشراً - حماية الاقليات

٢٣ - تتعهد مصر بان النصوص الوارد ذكرها فيما بعد تعتبر قوانين أساسية وألا يتضارب معها أو يؤثر عليها أي قانون أو لائحة أو عمل رسمي وألا ينقض مفعولها قانون أو لائحة أو عمل رسمي

٢٤ - نتعهد مصر بأن تضمن لجميع سكان مصر الحماية التامة الكاملة لأرواحهم وحريرهم من غير تمييز لسبب مولدهم أو تبعيتهم الاولية أو لغتهم او جنسهم أو دينهم .

يكون لجميع سكان مصر الحق في أن يقوهوا بجزرية تامة علانية أو غير علانية بشعائر أية ملة أو دين أو عقيدة ما دامت هذه الشعائر لا تتنافى النظام العام أو الآداب العمومية.

٢٥ - جميع الحائزين للرعوية المصرية يكونون متساوين أمام القانون ويكون لكل منهم التمتع بما يتمتع به الآخرون من الحقوق المدنية والسياسية من غير تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين .

اختلاف الأديان والعقائد والمذهب لا يؤثر على أي شخص حائز للرعوية المصرية في المسائل الخاصة بالتمتع بالحقوق المدنية والسياسية مثل الدخول في الخدمات العمومية والتوظيف والحصول على ألقاب الشرف أو مزاولة المهنة أو الصناعات .

لا يسوغ فرض أي قيد على أي شخص يتمتع بالرعوية المصرية في حرية استعماله لأية لغة في معاملاته الخصوصية أو التجارية أو في الدين أو في الصحف أو في المطبوعات من أي نوع كانت أو في الاجتماعات العمومية .

٢٦ - الأشخاص الحائزون للوعوية المصرية التابعون للأقليات القومية أو الدينية أو اللغوية يكون لهم الحق في القانون وفي الواقع في نفس المعاملة والضمانات التي يتمتع بها غيرهم من الحائزين للرعوية المصرية وعلى الخصوص يكون لهم حق مساوٍ لحق الآخرين في أن يشعروا أو يديروا أو يراقبوا على نفقتهم معاهد خيرية أو دينية أو اجتماعية ومدارس أو غيرها من دور التربية ويكون لهم الحق في أن يتعلموا فيها لغتهم الخاصة وأن يقوموا بشعائر دينهم بجزرية فيها ما

المذكرة التفسيرية

تبلغ من نائب جلالة الملك

الى حضرة صاحب العظمة سلطان مصر.

في ٣ ديسمبر سنة ١٩٢١

يا صاحب العظمة

انه بموجب التعليمات التي وصلتني من حكومة جلالة الملك لي الشرف
أن أرفع الى مقام عظمتكم البيان الآتي المتضمن آراء حكومة جلاليته
فيما يتعلق بالمفاوضات التي حرت حديثاً مع الوفد المرسل من قبل
عظمتكم تحت رئاسة صاحب الدولة عدلي يكن باشا أن حكومة جلاليته
قدمت الى عدلي باشا مشروع اتفاق لعقد معاهدة بين الامبراطورية
البريطانية ومصر كانت حكومة جلاليته على استعداد لأن توصي جلالة
الملك ومجلس النواب بقبوله ولكنها علمت بمزيد الاسف أن ذلك
المشروع لم يحز قبولا لديه . ومما راد أسئتها أنها تعتبر اقتراحاتها هذه
سخية في جوهرها واسعة الطاق في نتائجها فإنها لا يمكنها أن تبقى محلا
لأى أمل في إعادة النظر في المبدأ الذي يرب عليه تلك الاقتراحات
لذلك كان من المستحسن أن نحيط حكومة جلاليته علم عظمتكم احاطة
واوية بالاعتبارات الرئيسية التي استرشدت بها والروح التي صدرت
عنها تلك الاقتراحات .

ان هناك حقيقة جلية سادت العلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر

مدة أربعين سنة ويجب أن تبقى هذه الحقيقة سائدة على الدوام وهي التوافق التام بين مصالح بريطانيا العظمى في مصر وبين مصالح مصر نفسها . ان استقلال الامة المصرية وسيادتها كلاهما عظيم الاهمية للامبراطورية البريطانية . ان مصر واقعة على خط المواصلات الرئيسي بين بريطانيا العظمى وممتلكات جلالة الملك في الشرق وجميع الاراضي المصرية هي في الواقع ضرورية لهذه المواصلات لان مصر لا يمكن فصلها عن سلامة منطقة قناة السويس . لذلك فان حفظ مصر سالمة من تسلط أية دولة عظيمة أخرى عليها هو في الدرجة الاولى من الأهمية للهند وأستراليا ونيوزيلانده وجميع مستعمرات وولايات جلالته في الشرق ويؤثر في سعادة وسلامة نحو ثلاثمائة وخمسين مليوناً من رعايا جلالته ثم ان نجاح مصر يهيم هذه البلاد ليس لان كلا من بريطانيا العظمى ومصر هي أفضل عملية للاخري فقط بل لان كل خطر جسيم على مصلحة مصر التجارية أو المالية يدعو الى مداخلة الدول الأخرى فيها ويهدد استقلالها . هذه كات السواعب الرئيسييه للعلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر وهي لا تزال الآن على ما كانت عايه من القوة في العام الماضي .

لقد اعترف الجميع بما أصاب هذا الائتلاف من النجاح بوجه عام أثناء الحرب العظمى . ولما بدأت بريطانيا العظمى تهتم بمصر اهتماماً فعلياً كان المصريون فريسة للاحتلال المالي والموصى الإداريه وكانوا نحت رحمة أي قادم ولم يكن في طاقتهم مقاومة ضروب الوسائل القتالة للاستغلال الاجنبي تلك الوسائل التي تسلب من نفوس الامة كرامتها وتمحو قواها الحيويه فاذا كانت الامة المصرية الآن أمة نشيطة ذات

كرامة" فانها مدينة لهذه النهضة" علي الخصوص لمعونة بريطانيا العظمى ومشورتها ان المصريين سلموا من المداحلة الأجنبية واعينوا على انشاء نظام اداري وانه وقد تدرب عدد كبير منهم على ادارة الأمور والحكم واطرد نمو مقدرتهم ونجحت ماليتهم نجاحاً فوق المنتظر وقد قامت سعادة جميع الطبقات على أسس ثابتة . وفي هذا التقدم السريع لم يكن هناك ظل للاستغلال أن بريطانيا العظمى لم تطلب لنفسها ربحاً مالياً أو امتيازاً تجارياً والأمة المصرية قد جت كل ثمار مشورة بريطانيا العظمى ومساعدتها لها . أن نشوب نار الحرب بين الدول الأوربية العظمى سنة ١٩١٤ راد بالضرورة عري الائتلاف ثوثيقاً بين الأمبراطورية البريطانية ومصر . ولما انضمت الدولة العثمانية الى جانب المانيا في الحرب لم يكن أثر ذلك قاصراً على تهديد المواصلات البريطانية وحدها بل كان مهدداً لها ولاستقلال مصر على السواء تهديداً عاجلاً فكان اعلان الحماية على مصر اعترافاً بهذه الحقيقة وهي أنه لا يمكن دفع الخطر عن الامبراطورية البريطانية ومصر معاً الا بعمل مشترك تحت قيادة واحدة . كان تساع نطاق الحرب بدخول تركيا فيها السبب في قتل وتشويه آلاف من رماة حلاله الملك من الهمدواسترااليا ونيوزيلاندومن رجال بريطانيا العظمى أيضاً وقبورهم في غاليبولى وفلسطين والعراق شاهدة على الجهد العظيم الذي كابدته شعوب الأمبراطورية البريطانية بسبب دخول تركيا . قد اجتاربت مصر هذه المحنة دون أن يمسه ضرر بفصل جهود من بعثت بهم تلك الشعوب من الجنود . فكانت خسائر مصر طعيفة ولم يزد دينها وثروتها لأن أعظم مما كانت قبل الحرب في حين أدالكسادالاقتصادي قد اشتدت وطأته على أكثر البلدان الاخرى . فليس من الحكمة أن

الشعب المصري يتغاضى عن هذه الحقائق أو ينسى لمن هو مدين بذلك كله. ولولا القوة التي أبدتها الأمبراطورية البريطانية في الحرب لاصبحت مصر ميدان حرب بين القوات المنحاربه ولوطدت هذه القوات حقوق مصر بأقدامها وأفنت ثروتها. ولولا نصر الحلفاء لم تكن في مصر أمة الآن تطالب بحقوق السيادة الوطنيه بدلا عن حمايه أجنبيه فالخريه التي تتمتع بها مصر الآن وما تتطلع اليه من حرية أوسع انما هي مدينه بهما للسياسة البريطانيه والقوة البريطانيه .

ان حكومة جلالة الملك مقتنعة بأن الاتفاق التام في المصالح بين بريطانيا العظمي ومصر الذي جعل ائتلافاً تاماً لكليهما في الماضي هو دعامه العلاقة التي يجب على كليهما استمرار المحافظة عليها وعلى الأمبراطورية البريطانيه الآن كما كان في الماضي أن تحمل على عاتقها في آخر الأمر مسئولية الدفاع من أراضى عظمتكم ضد أي تهديد خارجي . وكذلك عاينها تقديم الممونه التي قد تطلبها في أي وقت حكومة عظمتكم لحفظ سلطتكم في البلاد . ثم أن حكومة جلالة الملك تطلب فوق ذلك أن يكون لها دون غيرها الحق في تقديم ما قد تحتاج حكومة عظمتكم من المشورة في ادارة البلاد وتدير ماليتها وترقية نظامها القضاى ومواصله علاقتها مع الحكومات الأجنبيه . على أن حكومة جلالاته لا ترمي من وراء هذه المطالب الى منع مصر من تمتعها بكامل حقوقها في حكومة ذاتية وطنية بل هي ترمي بذلك الى التمسك بها قبل الدول الأجنبيه الأخرى . وهذه المطالب قوامها تلك الحقيقة وهي أن استقلال مصر واستتباب النظام فيها وسعادتها ركن أساسى لسلامة الأمبراطورية البريطانيه فحكومة جلالة الملك بأسف على أن

مزدوبي عظمتكم لم يتقدموا أثناء المفاوضات تقدماً يذكر في سبيل الاعتراف بما للأمبراطورية البريطانية دون سواها من الأسباب الصحيحة للتمسك بهذه الحقوق والمسئوليات .

اذ شروط المعاهدة التي تعتبرها حكومة جلالة الملك ضرورية لحفظ هذه الحقوق وكفالة هذه المسئوليات قد أدرجت في مواد المشروع الذي سيرفعه الى عظمتكم صاحب الدولة عدلى باشا : وأهم هذه الشروط هو ما يتعلق بالجنود البريطانيين فان حكومة جلالة الملك قد عنيت اتم عناية ببحث الادلة التي قدمها الوفد المصرى في هذا الشأن ولكنها لم تستطع أن تقبلها . لأن حالة العالم الحاضرة ومجري الأحوال في مصر منذ عقد الهدنة لا يسمحان بأي تعديل كان في توزيع القوات البريطانية في الوقت الحاضر ومن الواجب اعادة القول بأن مصر هي جزء من مواصلات الأمبراطورية البريطانية . ولم يكذب عيسى جيل على مصر منذ انقذت من الغوضى وهناك علامات على أنه لا يبعد على المتطرفين في الحركة الوطنية أن يزجوا بمصر ثانية في الهوة التي لم يطل العهد على انقاذها منها . وقد زاد اهتمام جلالة الملك بهذا الشأن لما رآه من عدم رغبة وفد عظمتكم في الاعتراف بأن الامبراطورية البريطانية يجب أن يكون عندها ضمان قوى ضد أي تهديد مثل هذا لمصالحها والى أن يحين الوقت الذي يكون فيه سلوك مصر مدعاة الى الثقة بالضمانات التي تعطىها يكون من الواجب على الأمبراطورية البريطانية ان تفي بما أن تستبقى ماتراه كافياً من الضمانات . وأول هذه الضمانات ورأسها هو وجود جنود بريطانية في مصر وحكومة جلالة الملك لا يمكنها أن تتخلى عن هذا الضمان ولا أن تنقص منه .

على انها تعيد القول وتأكده بأن مطالبها في هذا الصدد لا يقصد بها استمرار حماية لا فعلا ولا حكما بل بالعكس أن أمنيتها القلبية الخالصة هي أن تتمتع مصر بحقوق وطنية ويكون لها بين الامم مقام دولة متمتعة بحق السيادة على أن تكون مرتبطة ارتباطا وثيقا بالامبراطورية البريطانية بمعاودة تكفل للفريقين مصالحهما وأغراضهما المشتركة . ولهذا الغاية التي جعلتها حكومة جلالة نصب عينيها اقترحت رفع الحماية فوراً والاعتراف بمصر « دولة متمتعة بحقوق السيادة تحت أمرة ملكية دستورية » والاستعاضة عن العلاقات القائمة الآن بين الامبراطورية البريطانية ومصر « بمعاودة دائمة رابطة سلام ووداد وتحالف » وكانت حكومة جلالة تأمل أن مصر باعادة وفارة الخارجية ترسل ممثلها في الحال الى الممالك الاجنبية كما انها كانت على استعداد لتعزيد مصر في انضمامها الى جمعية الامم اذا طلبت ذلك وبذلك كان يتحقق لمصر في المال والدول المتمتعة بحقوق السيادة من السلطة والميزات ولكن رفض حكومة عظمتكم الحاضرة هذه لاقتراحات اوجدت حالة جديدة . وهذه الحالة لا تؤثر في مبدأ السياسة البريطانية ولكنها بالضرورة تقلل من التدابير التي يمكن تنفيذها الآن ولذلك فان حكومة جلالة الملك ترغب أن تبدي بوضوح حالة موقفها الآن .

ففيما يتطابق بالحاضر لا يمكن لحكومة جلالة تنفيذ اقتراحاتها بدون رضاء الامة المصرية واشترائها ولكنها حكومة جلالة تحافظ على الرغبة التي كانت لديها على الدوام وهي العمل على انماء مواهب المصريين وزيادة عدد الموظفين منهم في كل فرع ولا سيما في الفروع الادارية العاليه التي كثر فيها عدد الموظفين الاوربيين وحكومة جلالة مستعدة

لأن تواصل بمشاوره حكومة عظمتكم المفاوضات مع الدول الاجنبية
لاجل الغاء الامتيازات لكي يكون الموقف الدولي جلياً عند ما يحين
وقت اصدار التشريع المصري الذي سيحل محل تلك الامتيازات. وكذلك
ترجو حكومة جلالتك ان الساطة التي يباشرها الآن القائد العام تحت
القانون العسكري تباشرها الحكومة المصرية وحدها بمقتضى القوانين
المدنية المصرية وهي تسر برفع الاحكام العسكرية حالما يصدر « قانون
التضحيات » ويعمل به في كل المحاكم المدنية والجنائية في مصر
وهو قانون لا بد منه لحماية الحكومة المصرية وحماية السلطة
البريطانية في مصر

وأما من جهة المستقبل فان حكومة جلالتك الملك ترغب أن توضح
بعبارة جلية السياسة التي تدوى اتباعها. فقد علمت أن المشروع الذي
قدمته الى وفد عظمتكم قد رخص بحجة أن الضمانات التي تضمنها
المشروع لصيانة المصالح البريطانية والاجنبية تقضي على التمتع
بالحكومة الذاتية تمتاً صحيحاً وهي تأسف غاية الاسف على أن
احتباء الجنود البريطانية في مصر واشتراك الموظفين البريطانيين مع
وزارتى الخفية والمالية يساء فهم المراد منهما الى هذا الحد. اذا
كان الشعب المصري يستسلم الى امانه الوطنية مهما كانت هذه الاماني
صحيحة ومشروعة في ذاتها دون أن يكثر اكراناً كامياً بالحقائق
التي تستحكه في الحياة الدوايه فان تقدمه في سبيل تحقيق مطمح
الاممي لا يصديه التأخير فقط بل يتعرض للخطر تعرضاً تاماً. اذ ليس
من فائدة ترجي من وراء التصغير من شأن ما على الامه من الواجبات
وتمظيم مالها من الحقوق وان الزعماء المتطرفين الذين يدعون الى هذا

لا يعملون على نهوض مصر بل يهددون رقيها . وهم بما كان لهم من الأثر في مجرى الحوادث قد تحذوا مرة بعد مرة الدول الأجنبية في مصالحها وأثاروا مخاوفها . وكذلك عملوا في الأسابيع الأخيرة على التأثير على مصير المفاوضات ببداءآت مهيبة استثاروا بها جهل العامة وشهواتهم . وان حكومة جلالة الملك لا تعتبر انها تخدم مصلحة مصر بتساؤلها ازاء تهيج من هذا القبيل ولن يمكنوا مصر أن تسير في سبيل الرقي الا متى اظهر قادتها المسئولون من الحزم والعزيمة ما يكفل قمع مثل هذا التهيج فان العالم الآن تألم من جهات عديدة من الاندفاع في نوع من الوطنية المتعصبه المضطربة وحكومة جلالة الملك تقاوم هذا النوع من الوطنية بكل شدة سواء في مصر او في غيرها . وان اولئك الذين يستسلمون لتلك النزعات انما يعملون على جعل القيود الأجنبية التي يطلبون الخلاص منها اشد لزوماً وبذلك يطيلون أجلها . واذ كان الامر كذلك فان حكومة جلالة الملك صراطة لمصلحة مصر ومصالحها الخاصة أيضاً تستمر بلا تردد على مواصلة غرضها كمرشدة لمصر وأمينه على مصالحها ولا يكفيها أن تعلم أن في استطاعتها العودة الى مصر اذا تبين أن مصر بعد أن تركت لنفسها بغير معونة قد عادت الى عهد السبذير والاضطراب الذي لازمها في المرن الماضي . فرغبة حكومة جلالة الملك أن تستكمل العمل الذي بدى به في عهد اللورد كرومر لا أن تبدأه من جديد . وهي لاتسوى أن تبقى مصر تحت وصايتها بل بالعكس ترغب ن تقوية عناصر التعمير في الوطنية المصريه وتوسيع مجال العمل أمامها وتهرب ارفت الذي يمكن فيه تحقيق المطمح الوطني تحقيقاً تاماً . ولكنها ترى من الواجب أن نصر على

الاحتفاظ بالحقوق والسلطة الفعالة لأجل صيانة مصالح مصر ومصالحها الخاصة على السواء وذلك الى أن يظلم الشعب المصرى انه قادر على صيانة بلاده من الاضطراب الداخلى وما يترتب عليه حتما من تداخل الدول الاجنبية .

وسبيل التقدم الوحيد للشعب المصرى يقوم على تأزره مع الامبراطورية البريطانية لاعلى تنافرها . وحكومة جلالتها لوغبتها في هذا التأزر مستعدة فيما يتعلق بها الى البحث فى أية طريقة قد تعرض عليها لاجل تنفيذ اقتراحاتها فى جوهرها وذلك فى أى وقت تريده حكومة عظمتكم . على انها مع هذا لا يسعها تعديل المبدأ الذى بنيت عليه تلك الاقتراحات ولا اضعاف الضمانات الجوهرية التى تشتمل عليها . وهذه الاقتراحات من مقتضاها أن يكون مستقبل مصر فى أيدي الشعب المصرى بنفسه . فكلما زاد اعتراف شعبكم بوحدة المصالح البريطانية ومصالحه قلت الحاجة الى هذه الضمانات . وقادة مصر المسئولون هم الذين عليهم فى هذا العهد الثانى من اشتراكهم مع بريطانيا العظمى أن ينبتوا بقبولهم النظام الوطنى المعروف عليهم الآن وبالالتزام جانب الحكمة فى العمل به ان المصالح الحيوية للامبراطورية البريطانية فى بلادهم يمكن أن توكل لعصايتهم بالتدريج .

رد الوفد الى سهي

على مشروع الاتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر

اطلع الوفد الرسمي المصري على المشروع الذي سلمه اللورد كرزون الى رئيس الوفد بتاريخ ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢١ .
ولقد رأي أن هذا المشروع تضمن فيما يتعلق بأكثر المسائل التي تناولتها مناقشاتنا والمذكرات التي تبادلناها منذ أربعة شهور نفس النصوص والصيغ التي عرضت علينا عند بدء المفاوضات ولم تقبلها حينئذ .

فمن المسألة العسكرية وهي ذات أهمية كبرى استبقى المشروع الحل الذي قاومناه أشد مقاومة . ولم يقتصر على ذلك بل توسع في مرماه بما جعله أشد وطأة . على ان حماية المواصلات الامبراطورية ، وهي التي قبل في مفاوضات العام الماضي أنها العلة الوحيدة لوجود قوة عسكرية في القطر المصري ، لا تبرر هذا الحل .

في حين أنه كان يكفي تعيين نقطة في منطقة القنال تنحصر فيها طرق ووسائل المواصلات الامبراطورية وكذلك القوة التي تتولى حمايتها نص المشروع على تحويل بريطانيا العظمى الحق في ابقاء قوات عسكرية في كل زمان وفي أي مكان بالاراضي المصرية ووضع أيضاً تحت تصرفها كل مالدي القطر من وسائل المواصلات وطرقها . وهذا انما هو الاحتلال بذاته ، الاحتلال الذي يهدم كل معنى للاستقلال بل ويذهب

الى حد القضاء على السيادة الداخلية . على ان الاحتلال العسكري في الماضي ، ولو لم تكن له الا صفة مؤقتة ، قد كفى لأن يثبت لبريطانيا العظمى المراقبة المطلقة على الادارة كلها وان لم يكن هناك أي نص في معاهدة أو تقرير لأية سلطه .

أما مسألة العلاقات الخارجية ، وهي المسألة الوحيدة التي عدت فيها الصيغة الاولى التي كانت وضعها وزارة الخارجية البريطانية وذلك بقبول مبدأ التمثيل ، فان المشروع قد أحاط الحق الذي اعترف لنا به بقيود كثيرة أصبح معها بمثابة حق وهمي ، اذ لا يتصور أذ تتوفر لدى وزير الخارجية الحرية التي يقتضيها القيام بأعباء منصبه وتحمل مسؤوليته اذا كان ملزماً بنص صريح بأن يبقى على اتصال ويشق بالمندوب السامي . فان ذلك معناه أن يكون خاضعاً في الواقع لمراقبته مباشرة في ادارة الامور الخارجية . وعدا ذلك فان الالتزام بالحصول على موافقة بريطانيا العظمى على جميع لاتفاقات السياسيه ، حتى مالا يتناقض منها مع روح التحالف ، فيه اخلال خطير بمبدأ السيادة الخارجية . وأخيراً فان استبقاء لقب المندوب السامي ، وهو لقب لم تجر العادة بمنحه الى الممثلين السياسيين لدى البلاد المستقلة ، هو أوضح في الدلالة على طبيعة النظام السياسي المقترح لمصر .

ومن جهة أخرى فان تأجيل مسألة الامتيازات دعانا الى الاعتقاد بأنه لم تبق حاجة الى النص عليها في المعاهدة وان المفاوضه بشأنها في المستقبل تكون موكولة الى مصر صاحبه الشأن الاول مع معارضتها في ذلك سياسياً من جانب حليفتها . ولكن المسألة منظور اليها اليوم كأنها تعني على الاخص بريطانيا العظمى التي تتولى من الآن حماية

المصالح الاجنبية . وتريد أن تباشر وحدها عند الاقتضاء المفاوضات بشأن الغاء الامتيازات .

أما فيما يتعلق بالمندوبين (القوميسيرين) المالى والقضائى وبتدخلها فى ادارة الشؤون الداخلية كلها باسم حماية المصالح الاجنبية تداخلها قد يصل فى بعض الاحوال فيما يختص بالمندوب (القوميسير) المالى الى شل سلطة الحكومة والبرلمان فاننا لانريد هنا أن نكرر ما سبق لنا ابدائه من الاعتراضات فى مذكراتنا .

على أنه يتحتم علينا القول بأن المناقشات التى تلت تأجيل مسألة الامتيازات بعثت فى نفوسنا الشعور بأن الاتفاق فيما يتعلق بحماية المصالح الاجنبية سيقوم على قواعد أكثر ملاءمة للسيادة المصرية . أما مسألة السودان التى لم يكن قد تناولها البحث فلا بد لنا فيها من توجيه النظر الى ان النصوص الخاصة بها لا يمكن التسليم بها من جانبنا . فان هذه النصوص لا تكفل لمصر التمتع بما لها على تلك البلاد من حق السيادة الذى لا نزاع فيه وحق السيطرة على مياه النيل .

ان الملاحظات المقدمة لا تجعل ثمة حاجة الى مناقشة المشروع تفصيلا اذ فيها ما يكفى للدلالة على روحه ومرماه . وغير هذا فقد التزم المشروع تكرار ذكر تعهدات بريطانيا العظمى و « المسئوليات الخصوصيه » الواقعة على المندوب السامى وكذلك الغرض الجديد - وهو قصد صيانة المصالح الحيويه لمصر - الذى اتخذ سبباً لوجود القوة العسكرية وبهذا تم للمشروع صبغة الوصاية الفعلية .

انالما قبلنا المهمة التي عهد بها الينا عظمة السلطان كنا نؤمل
الوصول الى ابرام معاهدة تحالف مؤيدة لاستقلال مصر تأييداً حقيقياً
وكفيلة في الوقت نفسه بصيانة المصالح البريطانية وعندئذ فان مصر
حليفة بريطانيا العظمي كانت تعد من واجبات كرامتها الوفاء باخلاص
بما تقطعه على نفسها من العهود . ولكن التحالف بين أمتين لا يمكن
أن يتحقق الا على شريطة أن لا يقضى علي احدهما بالخضوع الدائم .
وان روح المسألة التي سادت مفاوضاتنا كانت تسمح لنا بالتفاوض
بنجاح المفاوضات . ولكن المشروع الذي أمامنا لم يحقق هذا الامل .
فهو بحالته لا يجعل محلاً للأمل في الوصول الى اتفاق يحقق آماني
مصر الوطنية ما

لوندره في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٢١

الى ثيقتان الجديدتان

كتاب الاورد النبي الى عظمة الساطان

ياصاحب العظمة

(١) أتسرف بأن أعرض لمقام عظمتكم أن الناس قد ذهبوا في تأويل بعض عبارات المذكرة التفسيرية التي قدمتها الى عظمتكم في الثالث من شهر ديسمبر مذاهب تخالف أفكار الحكومة البريطانية وسياستها وهو ما آسف له أسد الاسف

(٢) ولقد يخال المرء مما نشر عن هذه المذكرة من التعليقات العديدة أن كثيراً من المصريين التي في روعهم أن بريطانيا العظمى توشك أن ترجع في نواياها القائمة على التسامح والعطف على الأمانى المصرية وانها تنوى الانتفاع بمركزها الخاص بمصر لاستبقاء نظام سياسي ادارى لا يتفق والحريات التي وعدت بها

(٣) غير انه ليس شيء أبعد عن خاطر الحكومة البريطانية من هذه الفكرة . بل ان الاساس الذي بذيت عاياه المذكرة التفسيرية هو ان الغاية من الضمانات التي تطبها بريطانيا العظمى ليست ابقاء الحماية حقيقة أو حكماً . وقد نصت المذكرة على أن بريطانيا العظمى صادقة الرغبة في أن ترى مصر متممة بما تتمتع به البلاد المستقلة من ميراث أهلية ومن مركز دولي

(٤) واذا كان المصريون قد رأوا في هذه الضمانات انها تجاوزت الحد الذي يلتزم مع حالة البلاد الحرة فقد غاب عنهم ان انجلترا انما

الجأها الى ذلك حرصها على سلامه" نفسها تلقاء حالة تتطلب منها أشد الحذر خصوصاً فيما يتعلق بتوزيع القوات العسكرية . على أن الاحوال التي يمر بها العالم الآن لن تدوم . ولا يلبث كذلك أن يزول الاضطراب السائد في مصر منذ الهدنة . والامل وطيد في أن الاحوال العالمية صائرة الى التحسن . هذا من جانب . ومن جانب آخر فكما قيل في المذكرة سيجيء وقت تكون فيه حالة مصر مدعاة الى الثقة بما تقدمه هي من الضمانات المصرية لصيانة المصالح الاجنبية

(٥) اما أن تكون إنجلترا راغبة في التداخل في ادارة مصر الداخلية فذلك ما قالت فيه الحكومة البريطانية ولا تزال تقول ان اصدق رغباتها وأخلصها هو أن تترك للمصريين ادارة شؤونهم . ولم يكن يخرج مشروع الاتفاق الذي عرضته بريطانيا العظمى عن هذا المعنى . واذا كان قد ورد فيه ذكر موظفين بريطانيين لوزارتى المالية والحقانية فان الحكومة البريطانية لم ترم بذلك الى استخدامهما للتداخل في شؤون مصر . وكل ما قصده هو أن تستبق اداة اتصال تستدعيها حماية المصالح الاجنبية .

(٦) هذا هو كل مرهى الضمانات . ولم تصدر هذه الضمانات قط عن رغبة في الحيولة بين مصر وبين التمتع بحقوقها الكاملة في حكومة أهلية .

(٧) فاذا كانت هذه هي نوايا انكلترا فلا يمكن لأحد أن ينكر أن إنجلترا يعز عليها أن ترى المصريين يؤخرون بعملهم حلول الاجل الذي يبلغون فيه مطمحاً ترغب فيه انكلترا كما تتوق اليه مصر . أو أن ينكر انها تكره أن ترى نفسها مضطرة الى التداخل لرد الامن الى

نصابه كلما أدركه اختلال يثير مخاوف الاجانب ويجعل مصالح الدول في خطر . وانه ليكون مما يؤسف له أن يرى المصريون في التدابير الاستثنائية التي اتخذت أخيراً أي مساس بمطمحهم الاعمى أو أية دلالة على تغيير القاعدة السياسية التي سبق بيانها . فان الحكومة البريطانية لم يعد غرضها أن تضع حداً تهيبج ضار قد يكون لتوجيهه الى اهواء العامة نتائج تذهب بشمرة الجهود القومية المصرية . ولذلك كان الذي دوعي بوجه خاص فيما اتخذ من التدابير مصلحة القضية المصرية التي تستفيد من أن البحث فيها يجري في جو قائم على الهدوء والمناقشة باخلاص .

(٨) والآذ وقد بدت تعود السكينة الى ما كانت عليه بفضل الحكمة التي هي قوام الخلق المصري والتي تتغلب في الساعات الحاسمة فاني لسعيد أن أنهى الى عظمتكم أن حكومة جلالة الملك تنوى أن تشير على البرلمان باقرار التصريح الملحق بهذا . واني على يقين بأن هذا التصريح يوجد حالة تعود فيها الثقة المتبادلة ويضع الاساس لحل المسألة المصرية حلانها مرضيا .

(٩) وليس ثمت ما يمنع منذ الآن من اعادة منصب وزير الخارجية والعمل لتحقيق التمثيل السياسي والقنصلي لمصر .

(١٠) أما انشاء برلمان يتمتع بحق الاشراف والرقابة على السياسة والادارة في حكومة مسؤولة على الطريقة الدستورية فالأمر فيه يرجع الى عظمتكم والى الشعب المصري .

واذا ابطأ لأي سبب من الاسباب انفاذ قانون التضمينات (اقرار الاجراءات التي اتخذت باسم السلطة العسكرية) السارى على جميع

ساكنى مصر والذي أشير اليه في التصريح الملحق بهذا فإني أود أن
أحيط عظمةكم بأننى الى أن يتم الغاء الاعلان الصادر فى ٢ نوفمبر سنة
١٩١٤ سأكون على استعداد لايقاف تطبيق الاحكام العرفية فى جميع
الامور المتعلقة بجزيرة المصريين فى التمتع بحقوقهم السياسية .

فالكلمة الآن لمصر . وانه ليرجى انها وقد عرفت مبلغ حسن
استعداد الحكومة البريطانية ونواياها تسترشد فى أمرها بالعقل
والروية لا بعامل الاهواء .

ولى مزيد الشرف الخ

القاهرة فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢

(اللنى فيلد ماريشال)

تصريح لمصر

بما ان حكومة جلالة الملك عملا بنواياها التي جاهرت بها ترغب في
الحال في الاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة
وبما أن للعلاقات بين حكومة جلالة الملك وبين أهمية جوهرية
للامبراطورية البريطانية
— وبموجب هذا تعان المبادئ الآتية : —

(١) انتهت الحماية البريطانية على مصر . وتكون مصر دولة
مستقلة ذات سيادة .

(٢) حالما تصدر حكومة عظمة الساطان قانون تضمينات (اقرار
الاجراءات التي اتخذت باسم السلطة العسكرية) نافذ المصل على جميع
ساكني مصر تلغي الاحكام العرفية التي أعلنت في ٢ نوفمبر ١٩١٤

(٣) الى أن يحدن الوقت الذي يتسني فيه ابرام اتفاقات بين
حكومة جلالة الملك وبين الحكومة المصرية فيما يتعلق بالامور
الآتية بيانها وذلك بمفاوضات ودية غير مقيدة بين الفريقين تحتفظ
حكومة جلالة الملك بصورة مطلقة بتولى هذه الامور وهي :

« ا » تأمين مواصلات الامبراطورية البريطانية في مصر

« ب » الدفاع عن مصر من كل اعتداء أو تداخل أجنبي بالذات

أو بالواسطة

«ج» حماية المصالح الاجنبية في مصر وحماية الاقليات

«د» السودان

وحتى تبرم هذه الاتفاقات تبقى الحالة فيما يتعلق بهذه الامور

على ما هي عليه الآن .

تأليف الوزارة الجديدة

امر كريم نمرة ١٣ لسنة ١٩٢٢

صادر لحضرة صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا

عزيزي عبد الخالق ثروت باشا

ان القرار الذي ابلاغنا اياه صاحب المقام الجليل المنسوب السامي لدولة بريطانيا العظمي فيما يختص بانتهاء الحماية البريطانية على مصر بالاعتراف بها دولة مستقلة ذات سيادة يحقق أعز امنية لنا ولشعبنا العزيز وهو ثمره الجهاد القومي الذي تمهدناه على الدوام بالتشجيع والتأييد ولا ريب عندنا في أن استمساك الامه بروابط الوثام والاتحاد والتزامها جانب الحكمة في هذا الدور الجديد من حياتها السياسية كفييل بتحقيق كامل امانها

ونظراً لما نعرفه لكم من الجهد المشكور في خدمة القضية المصرية ولما لنا من الثقة التامة بكم وما نمهده فيكم من الجدارة الكاملة للقيام بمهام الامور - قد اقتضت ارادتنا السلطانية توجيه سندرئاسة مجلس وزرائنا مع رتبة الرئاسة الجليلة لمهذتكم . وقد أصدرنا أمرنا هذا لدولتكم للاخذ في تأليف وزارة جديدة يكون من بينها وزير للخارجية وعرض مشروعه لجنايبنا لصدور مرسومنا العالي به . ولما كان من أجل رغباتنا أن يكون للبلاد نظام دستوري يحقق التعاون بين الامه

والحكومة لذلك يكون من أول ما تعني به الوزارة اعتداد مشروع ذلك النظام .

وانا نسأل الله العلي القدير أن يجعل التوفيق رائدنا فيما يعود على بلادنا ورحاينا بالخير والسعادة وهو المستعان .

صدر بسرأي طابدين في ٢ رجب سنة ١٣٤٠ - أول مارس ١٩٢٢
الامضاء - (فؤاذ)

برنامج الوزارة

يا صاحب العظمة :

أتقدم الى سدة عظمتكم بفائق الشكر على ما نفضلت فأوليتني من الثقة السامية اذ عهدت الي بتأليف الوزارة الجديدة ووجهت الي رتبة الرئاسة الجايلة .

واني لأشرف بأن أعرض على عظمتكم اسماء الوزراء الذين تتألف منهم هيئة الوزارة وقد قبلو مشاركتي في العمل وهم :

اشماعيل صدقي باشا	وزارة المالية
وابراهيم فتحي باشا	» الحربية والبحرية
وجعفر ولي باشا	» الاوقاف
ومصطفى ماهر باشا	» المعارف العمومية
ومحمد شكري باشا	» الزراعة
ومصطفى فتحي باشا	» الحقانية
وحسين واصف باشا	» الاشغال العمومية
وواصف سميكه بك	» المواصلان

وقد احتفظت وزارتي الداخليه والخارجيه
فاذا وقع هذا الاختيار موقع الاستحسان لدى عظمتكم يصدر
المرسوم العالى بالتصديق عليه
يا صاحب العظمه :

لم يكن لزملائى ولى ونحن نشاطر الأمة أمادها في الاستقلال الا
أن تقر الوفد الرسمى الذى تولى المفاوضات لعقد اتفاق مع بريطانيا
العظمى على ما فعل . فلم يكن يسعنا أن نتولى اعباء الحكم مادامت
المبادئ التى تسترشد بها الحكومة البريطانىة في سياستها نحو مصر
هى تلك التى كانت تظهر من مشروع ١٠ نوفمبر من العام الماصى ومن
المذكوره التفسيريه التى تلته . فان تولى الحكم في ظل مثل هذه المبادئ
قد يكون فيه معنى القبول بها .

غير أن الكتاب الذى رفعه فحامة المندوب السامى البريطانى الى
عظمتكم وتصريح الحكومة البريطانىة في البرلمان قد أحدثا في الحالة
تغيراً كبيراً فأصبح من الممكن أن تتألف هذه الوراره اذا أنها ترى
أن الشعور القومى أصاب ترضية من هاتين الوثيقتين لا من ناحية
الاعتراف باستقلال مصر حالا وقبل أي اتفاق محسب ال ولان
المفاوضات المقبلة ستكون حرة غير مقيدة بأي تعهد سابق

أما وقد حزنا هذا الدور بنخير فلم يبق على مصر الا أن تدبت
لبريطانيا العظمى أن ليس بها في سبيل حماية مصالحها من حاجة للتشدد
في طلب ضمانات قد يكون فيها مساس باستقلالنا وان خير الضمانات
في هذا الصدد وأجلها أن رأ هي حسن نية مصر ومصحتها في حفظ
العهود .

على أن الوزارة ترى أنه لكي تكون جهود البلاد في سبيل تحقيق
كامل أمانها بحيث تؤتي جميع ثمرها يجب أن يولف بين عمل الحكومة
وبين عمل هيئة تنوب عن الأمة وأن تسعى الهيئتين متساندتين لأغراض
متحدة ولذلك فإن الوزارة عملاً بأوامر عظمتكم ستأخذ في الحال في
اعداد مشروع دستور طبقاً لمبادئ القانون العام الحديث وسيقرر
هذا الدستور مبدأ المسؤولية الوزارية ويكون بذلك للهيئة النيابية
حق الاشراف على العمل السياسي المقبل .

وفى عن البيان ان انفاذ هذا الدستور يقتضي الغاء الاحكام
العرفيه هذا وان اعاده منصب وزير الخارجية سيعين على العمل
لتحقيق التمثيل السياسي والقضلى لمصر في الخارج

ونظراً لأن النظام الادارى الحالى لا تتفق مع النظام السياسي
الجديد ومع الانظمة الديموقراطية التي ستمنحها البلاد فان الوزارة قد
اعتزمت أن تتولى الأمر بنفسها وبلا شريك في الحكم الذى ستتحمل
كل مسؤوليته أمام الهيئة النيابية المصرية وسيكون رائدها في ادارة
شؤون الأمة توجيهها الى المصلحة القومية دون غيرها والوزارة موقنه
بأن أكبر عامل لنجاح مصر في تسوية المسائل التى بقى حلها وأقوى
حجة تستعين بها في تأييد وجهة نظرها هو أن تقبل على هذا الدور
الجديد متحدة الكلمة مؤتلفة القلوب وأن تأخذ بدواعي النظام
وتلتزم جانب الحكم

والوزارة تحمى العصر الجديد الذى كان لعظمتكم أجل أثر في
طلوعه على الأمة بفضل ما بذلته عظمتكم من المساعي الوطنية العالمة
وهي واثقة أن ستلقى من لدن عظمتكم كل تأييد في عمل الغد وانها

نرجو ان يحىء مكلا لجهود البلاد .
وانى لا أزال لمظمتكم العبد الخاضع المطيع والخادم المخلص
الامين ما

(ثروت)

القاهرة فى ٢ رجب سنة ١٣٤٠ (أول مارس سنة ١٩٢٢)

خطب ثروت باشا

في وفود المهنيين

ملخصة في مقطم ٢١ مارس سنة ١٩٢٢

خلاصة خطب ثروت باشا

في وفود الاعيان

يوم ٢١ مارس سنة ١٩٢٢

ان مصر خطت الخطوة العظمي في سبيل الاستقلال وذلك بفضل أهلها - كل على قدر اشتراكه في الاتحاد والتضامن في سبيل الاستقلال . فهم أى الوفود يهنئون دولته به ويشكرونه عليه ولكن دولته يرد ثناءهم اليهم ويشكر الأمة وأبناءها الذين جدوا وجاهدوا لنيل هذا الاستقلال بتضامنهم واتحاد كلمتهم حتي حصلوا على هذه النعمة العظمي من نعم الله التي يجب عليهم التحدث بها على الدوام . قال فلقد حضر هذا الصباح معتمدوا الدول الاجنبيه الى سراى طابدين العاصمة لجلالة الملك فقدمهم دولته الى جلالته واحدا واحدا ثم خطب أقدمهم عهداً فهناً جلالته باستقلال مصر مجاهرا على رؤوس الاشهاد ثانياً انه اذا فلما أن مصر خطت الخطوة العظمي في سبيل الاستقلال فليس المراد من ذلك ان مصر لم تحصل على استقلالها لأنها حصلت عليه من الوجهة الوطنية المصرية وانما المراد أنه لا يزال أمام

مصر مفاوضات يلزمها أن تتفاوضها من الوجهة البريطانية لأن انكثرا
تطلب من مصر ضمانات . فقد كانت انكثرا قابضة على استقلال مصر
وهي تقول لنا انه وديعة بيدي اسلمكم اياه متى أعطيتهموني الضمانات
التي أطلبها منكم . وكان دولته ينتقل من هذا الكلام الى الكلام
عن الوفد المصري الرسمي ويطرى مآثر صاحب الدولة عدلى باشا فيه
وامتناعه عن أن يقيد الامة باعطاء الضمانات المطلوبة حتي عاد دولته
ورفاقه من دون أن يتم الاتفاق على الاستقلال المطلوب . وانجاز
ثروت باشا وغيره من الوزراء الباقين في هذا القطر الى دولة عدلى باشا
وقالوا قوله ورفضوا ما رفضه وهكذا فضل أعضاء الوزارة الحالية
معتمدين في ذلك كله على اتحاد الامة وحسن نضامها وصدق غيرها
وعزيمتها حتي قدر الله ان رضيت انكثرا بتسليم وديعة الاستقلال الى
مصر . وأن لا تطالب الوزارة المصرية أية كانت بالضمانات التي تريدها
بل تطالب الامة المصرية ذاتها . فنالت مصر استقلالها وقازت بحريتها
وهي لم تقيد بشيء ولا أخذ عليها عهد ما . والآن تسعي الوزارة في
النشاء برلمان مصرى يكون له القول الفصل في مسألة الضمانات
الانكليزية . قال دولته فاذا بحث نواب أمتكم في تلك الضمانات
ووجدوها مطابقة لاستقلالهم ومصصلحة بلادهم قبلوها واذا لم يجدوها
كذلك رفضوها وهم أسياذ في بلادهم . ثم كان دولته يتخلص من ذلك .
ثالثاً ان الفوز التام في سبيل هذا الاستقلال انما ينال اذا سلكت
الامة سبيل العقل والروية وحافظت على السكون وتتمام النظام وظهرت
للاوربيين جميعاً انها أمة نحسن السير وتستطيع التقدم في مراتب
الكمال بعد تمتعها بنعمة الاستقلال . قال دولته وهذا يتوقف أمره

عليكم ويطلب منكم . والحكومة ترجو انكم تضافرونها عليه
وكمونون لها عوناً فيه فهي مستعدة لأن تضع بيديكم ما يلزم لحفظ
السكون والنظام من وسيلة وعدة من الوسائل المشروعة وعاقدة النية
على أن لا تدخر وسعاً في تأييد النظام وشده أزر المحافظين عليه والضرب
على كل يد تمعت به وتعتت فساداً في البلاد . وهي مصممة أيضاً على
أن تفرغ جهدها في حمل كل ما تقتضيه مصلحة البلاد من الأعمال
وما يقتضيه السكون والنظام وتقدم البلاد والعباد في الراحة والرفاهة
وترجو أن الأمة تتأني في حكمها على عملها ولا تتسرع بالاصغاء الى
الاقوال التي لا تطابق الواقع حتى يتضح لها الغث من الثمين والصدق
من المين فتحكم حكمها بعد ذلك . وكانت الوفود تقابل أقوال دولته
بالهتاف والدعاء . وخصوصاً عند ذكر دولة عدلى باشا وكانت تهتف
طويلاً وتصفق كثيراً .

خطبة

صاحب الدولة ثروت باشا

في مأدبة الكوكتنتال

حضرات السادة الاجلاء

انى اغتبط الاغتباط بموقفي بينكم في هذا اليوم السعيد الميمون
الذي هو اول عيد لميلاد مولانا المعظم بعد اعلان استقلال البلاد
أرى أيها السادة من واجبي قبل كل شيء أن انحنى بكل احترام
واجلال تحية لصاحب عرش مصر على ما أبداه من التفانى في شد أزر
أمته والاخذ بناصرها في هذا الدور العظيم من أدوار تاريخها
الطويل المجيد

لقد كان من بواعث سعادتي أن رأيت بنمسي عن كتب ما قام به
ملكنا النبيل من الجهاد في القضية المصرية فأثبت بهذا أن الدم لا يكذب
وكتب لنفسه في تاريخ المجد صحيفة خالدة جديرة بابن اسماعيل وحفيد
ابراهيم ومحمد علي فليحي سيد مصر المستقلة ولتهتف جميعاً من قلب
مفعم بالاخلاص والولاء ليحي جلاله الملك فؤاد الاول

ثم نحى بعد ذلك هذه الامة الكريمة التي عرفت قدر نفسها
واستمسكت بحقها وأبت أن تنازل عما يوجبها عليها تاريخها الخلق
بالعظام وبجثمه عليها ماضيها العظيم وأظهرت من الحكم وسداد الرأي

ما اكسبها احترام الامم وجعلها جديرة بما تطمح اليه من المستقبل
الزاهر فانه اذا كان لأحد فضل فيا وصلنا اليه وفي ما سنصل اليه
بعون الله وتأييد مليك البلاد فان الفضل في الواقع للإمة بأجمعها ولما
أبداه كل فرد منها كبيراً أو صغيراً في صدق الوطنية وروح التضحية
أيها السادة : أنتم من صفوة أبناء الامة ومن خيرة أهل الفضل
والحجى فيها ولكم أكبر مصلحة في نجاحها ويسرها فانا انتهز هذا
الظرف السعيد لكي اكشفكم بما يجول في نفسى وأخاطبكم اليوم لكي
أستمد العون والتعاضيد منكم على ما أنا ماض فيه مع زملائي فانما نحن
لكم نعمل وبكم نمز وليس لنا من الحول الا بمقدار ما ترى منكم من
الاخذ بناصرنا وما تولونا من ثقة

لنرجع اذن أيها السادة قليلا الى الورااء لنتعرف الحالة على حقيقتها
ولنتبين منها أهمية الخطوة التي خطوناها أخيراً

يسطت بريطانيا العظمى حمايتها على مصر في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤
على أثر دخول تركيا الحرب العامة وانضمامها الى دولتي الوسط وأعلنت
في تبليغها للمغفور له السلطان حسين كامل ان جميع الحقوق التي كانت
لتركيا قد سقطت عنها وآت الى الحكومة البريطانية ولكنها أعلنته
في الوقت نفسه انها تعتبر هذه الحقوق وديعة تحت يدها لسكان
القطر المصري

كانت نيران الحرب مشتعلة والنفوس نائرة وقد أوشكت أركان
الحضارة أن تنهار وأصبح مصير الشعوب معلقاً في ميزان القدر فلم يكن
في وسع مصر الا أن تصبر حتى تنجلي هذه الكارثة ويتبين وجه الحق
وأقبلت على بريطانيا تنجدها نجدة الكريم للكريم ولم تدخر جهداً

٢٤١
في سهيل مدها بالمعونة حتى بسم نعر النصر فلما امضيت الهدنة بادرت
المصري تقاضي إنجلترا ما وعدت به في اعلانها من أن حقوق تركيا وديعة
تحت يدها تسكان مصر وتطالبها برد الوديعة لاصحابها

ولا أرى داعياً الى الاسباب في بيان ما وضع في هذه السنوات
من الجهاد الطويل وما حدث فيه من التطور في الافكار فكلمكم اشترك
فيه وكلمكم كان من المجاهدين ولكني اذ كررتم اني كنت في ذلك العهد
عضواً في الوزارة متشرفاً فيها برئاسة ذلك الوطني الجليل حضرة صاحب
الدولة حسين رشدي باشا ورميله الصديق الوفي الامين دولة عدلي باشا
فأبت الوزارة أن تسكت على حق مصر أو تقبل في هذا الحق هوادة
أو تسوية فلما حالت الحكومة البريطانية بيننا وبين ابداء ما نريد
كانت الاستقالة المعروفة ولا ينكر أحداً ما كان لهذه الاستقالة من
الأثر في تاريخ الحركة المصرية كان المذهب الذي تذهب اليه الحكومة
البريطانية في بادئ الأمر ان مصر قد دخلت في دائرة الحماية فلن
تخرج منها وقد أوفدت اللورد ماثر الى مصر لكي ينظر في خير
الانظمة لهذه البلاد في دائرة الحماية فلما تبين لها انه ما من مصري
يرضى بتلك الحماية التي فرضت على مصر فرضاً لضرورات خاصة تحولت
عن موقعها الاولي وانتهى بها الامر الى الاعتراف بأن الحماية لم تعد
علاقة مرضية وطلبت الى مصر المفاوضة في ابدال هذه العلاقة بغيرها
يتبين لكم من هذا ان السياسة البريطانية تجاه مصر كانت قائمة
على أن الغاء الحماية لا يمكن أن يتم الا في مقابل علاقة جديدة تحل محلها
وعلى أن لبريطانيا العظمى في هذا القطر مصالح جوهرية لا بد لها من
تأمينها وصمايتها فلن تعترف باستقلالها الا مني اعطيناها هذه الضمانات

والا لئلا السادة نمتهد ان "خبر" هامة لمصالح إنجلترا ومصالح جميع
الدول الاجانب على السواء هو حرص مصر نفسها على حسن سمعتها
كدولة متمدنة راقية ومصالحها في حلفها عهدها فلقد اخذنا
باسباب الرقي من عهد بعيد وادخلنا الى بلادنا الانظمة الحديثة والارضية
فيها راية العرفان ووفدنا البعثات العلمية الى البلاد الغربية وبالاجال
نهضنا من عهد محمد علي نهضة عظيمة حتى صبح أن يقال ان مصر قطعة
من اوربا ومع هذا فان الامه المصرية لاجل اثبات حسن قصدها
وشديد رغبتها في الاتفاق مع بريطانيا العظمى وتبديد سخاؤها سلعت
مبدئياً بفكرة الضمانات وانما بشرط اساسي لا يحيس عنه وهو ان
لا تتعارض هذه الضمانات مع الاستقلال وعلى أمل ان لا تلبث الحال
قليلا حتى ترى انجلترا ذاتها ان لا حاجة بها الى هذه الضمانات
تشكلت الوزارة المدلية لتتولى المفاوضات في القضية المصرية
بعد أن أعلنت الحكومة الانجليزية رأيا ولا يمكنني أن أترك ذكر
هذا الحادث يمر دون أن أقوم بواجب أشعر به نحو ذلك الذي كان
مثلا في الوطنية ونكران الذات واعني به دولة رهدى باشا لقد تولى
دولته رياسه الوزارة قبل ذلك مرات عدة وبلغ اسمي مقام يمكن أن
يطمح اليه انسان ومع ذلك فانه قبل أن يدخل عضواً في الوزارة الجديدة
لان البلاد كانت في تلك الساعة في حاجة الى مواهبه وعلمه فما تردد في
اجابة نداء الواجب ولم يقعه عن ذلك اعتبار من الاعبارات
سافر الوفد الرسمي الى انجلترا وعلى رأسه ذلك الرجل الكبير القلب
الكبير النفس عدلي يكن باشا للمفاوضة في عقد اتفاق وقد اخذ على نفسه
ان يعمل على تحقيق الاستقلال وعاهد امته بل طاهد قبل ذلك ضميره

وربه على أن لا يقبل اتفاقاً يخل بهذا الاستقلال بأي وجه من الوجوه . طالت المفاوضات شهوراً بين الرجا والياس الى ان تكشفت عن المشروع الذي قدمته بريطانيا العظمى الى الوفد في ١٠ نوفمبر من العام الماضي وهو المشروع الذي عرف بين الناس باسم مشروع كرزون نظر عدلي باشا الى المشروع فرأى أن بريطانيا العظمى غالت فيما طلبته من الضمانات وان هذه الضمانات لا تتفق وما طاهد به امته من استقلال لا تحوطه ريبة فما تردد لحظة في رفض برdaqترنت فيه الحكمة بالشعب والبراعة السياسية بعزة النفس كان في وسعه أن يعرض المشروع على امته وان يلقي على طاتها مسئولية قبوله أو رفضه ولكن عدلي عرض المشروع على ضميره أولاً فكان نصيبه الرفض

أيها المادة : سينشر يومان الايام ما طوي من الصحائف وما خفي من أسرار المفاوضات حينئذ يعلم بنو مصر جميعاً أنه ما من رجل دافع عن بلده كما دافع عدلي باشا عن مصر أثناء المفاوضات الرسمية وان الموقف الشريف الذي وقفه ذلك الوزير الكبير والوطني الصميم كان في ذاته أعظم تأكيد لشخصية مصر التي صممت على نيل استقلالها والتي تأتي أن توقع على صك يضعف هذه الشخصية . انما الوطنية الصحيحة . الوطنية الصادقة تعمل ولا تتكلم وكل منهما موجه الى جلب النفع للوطن . فلزم عدلي باشا الصمت . كان خصومه يرمونه بأشنع ما يرمي به انسان من نقص في الوطنية وضعف في العقيدة القومية فكان جوابه الوحيد على هذه الاتهام العمل على انبات حق مصر وأما ما عدا ذلك فلم يكن له عنده من شأن فكان وطنياً عظيماً في صمته كما كان وطنياً عظيماً في حسن دفاعه ولقد أعلننا تضامننا مع الوفد في رفضه للمشروع وفي رده عليه .

نعم أيها السادة كسنا ومازالتهم ونحن نزال نقرأ الوفد على ما فعل في هذا الرقص
لأننا نأبى كل الآباء أن نقرأ أي اتفاق أو معاهدة ينتقض استقلالهم
بلادنا

ولكن بريطانيا العظمى أمسكت بالمشروع في يدها ولا تتركنا
بالاستقلال التام أمام عيوننا وقالت ها أنا ذا على استعداد للاعتراف
لكم بالاستقلال ولالغاء الحماية المفروضة عليكم ولكن بشرط أن
أتقاضى مسكتم عنه . قلنا وما هو الثمن ؟ قالت أن تعطوني ما أطلبه من
الضمانات المبيته في المشروع فإن فعلتم كان لكم ما تريدون وإن أبيتم
فالحماية باقية في أعناقكم

قال الوفد الرسمي كلا وقلنا نحن كلا وقالت البلاد كلها بصوت واحد
كلا لأننا نريد استقلالاً صحيحاً ولأن ما مترف به إنجلترا في المشروع
تهدمه هاتيك الضمانات

أما اليوم فقد تغيرت الحال فأن بريطانيا العظمى قد ألغت الحماية
على مصر . ألغتها ولم تتقاض ذلك الثمن الذي جعلت تقاضيه من شرطاً
لألغائها ونادى جلاله ملكنا المعظم بأن بلادنا دولة مستقلة تامة السيادة
وأبلغنا هذا اللطق الملكي من وزارة خارجيتنا إلى وكلاء الدول الأجنبية
في مصر كما أبلغهم إياه جناب المارشال الذي جاءنا رد هؤلاء الوكلاء
بوصول البلاغ إلى دولهم وبأدرت الوزارات الأجنبية بتقديمها إليها إلى
حكومتنا على هذا العهد الجديد وأرسل الملوك ورؤساء الجمهوريات
إلى حلاله الملك فؤاد الأول تهانيمهم بالاستقلال

أيها السادة لقد كما لغاية سنة ١٩١٤ مستقائين استقلالاً داخلياً
نحت سيادة الدولة العثمانية فلما نشبت الحرب العامة وسقطت سيادة

تركيا هنا أصبحنا مستقلين حكما ولكن تمسك بريطانيا العظمى بانتقال حقوق تركيا اليها بحكم اعلان الحماية حال بيننا وبين استقلالنا أما اليوم فقد سقطت الحماية أيضا دوليا بصورة نهائية فأصبحت مصر دولة مستقلة في نظر الدول جميعا

ومهما كان رأى الناس في أمر الحماية واختلاف نظرم اليها من جهة صحتها أو بطلانها فما لا نزاع فيه أن بعض الدول وافقت عليها وانه من الوجهة الدولية أصبحت هذه الحماية صحيحة على الأقل في نظر هذه الدول أما اليوم فقد انتهى الأمر وسواء كانت هذه الحماية صحيحة أو باطلة فقد عنت آثارها

يقولون ولكن بريطانيا قد احتفظت بأمور معينة كانت مبينة في المشروع الذى رفضته البلاد . وجوابي . أن هذه الامور احتفظت بها بريطانيا من تلقاء نفسها وبمحض ارادتها ومن غير أن توقع لها صكا بإقرارها . ولكن مشروع المعاهدة كان يحمل قبول هذه الصمانات شرطا أساسيا لالغاء الحماية وهناك على ما أطر فرق كبيرين أن تكون الضمانات صادرة عن ارادة إنجلترا وبين أن تكون انجلترا حاصلة عليها بصفة شرعية برضى مصر

وفصلا عن هذا فان انجلترا قد احتفظت بهذه الصمانات بصفة عامة دون تمرص للتفاصيل وقد سبق أن بينا أن مبدأ الصمانات في ذاته سلمت به غالبية الامة وانما كان الاحتلاف يقع عند التفصيل - والتصريح الأخير اكتفي بالاجمال واجتنب التفصيل . ثم أن الحكومة البريطانية في تبليغها الى جلالة الملك لم يسعها الا الاعتراف بان الامور المحتفظ بها تكون محلا لمفاوضة مقبلة حمة غير مقيدة فبقي حق مصر

كاملا حتى لو رجعنا الى هذا التلخيص
وفوق هذا كله فأنا أبين أن ترتبط أي ارتباط بأي أمر من هذه
الامور وقلنا أن الكلمة الأخيرة في ذلك تكون للبلاد ممثلة في
برلمانها

وبالاجمال فأن مصر خرجت من هذه المعركة السياسية فائزة بالامور
التي كانت تسعي الى تحقيقها دون أن ترتبط بأي ارتباط أو تلزم بمهد
يقيد حريتها في العمل فيما تقي وان استقلالها أصبح معترفا به من
الدول

نترك هذا الموضوع وننتقل الى نظام الحكم في بلادنا
لقد جعلنا أساس برنامجنا فيما يتعلق بالحكم أن تكون لبلادنا هيئة
نيابية وأن تكون الوزارة مسؤولة أمامها عن كل أعمالها فما استطيع
البقاء في مناصب الحكم الا اذا أولاها البرلمان نقته فحققنا بذلك دفعة
واحدة ما يح صوت البلاد في المطالبة به سنوات عديدة فلم تظهر بطائل
ومالم يحصل عليه كثير من البلاد الا بعد أن بذلت في سبيله جهداً
كبيراً

ويترتب على هذا النظام بطبيعة الحال أن يكون للوزارة تمام الحرية
في تولى ادارة البلاد وسياستها دون أن يشاركها في ذلك أحد لان تحمل
المسئولية يفترض في ذاته حتما هذه الحرية اذ بما لا يمكن تصوره أن
يكون للبرلمان الكلمة العليا في شئون البلاد والاشراف عليها وتكون
الوزارة مسؤولة أمامه عن هذه الشئون فلا تبق في مساندها الا بسيرها
على ارادته وتوخيتها انفاذ مقاصده ثم تكون في الوقت ذاته خاضعة
لأية سلطة أخرى فيما يتعلق بالشئون عينها

هي اننا أيها السادة لم ننتظر ان نفاذ النظام البرلماني حتى نأخذ المسؤولية على عاتقنا بل نحن قد اخذناها على عاتقنا من أول لحظة وأصبحت ادارة شؤون البلاد في يدينا بتام الحرية فلم يبق للمستشارين هذا الأثر الذي كلكم كنتم تعرفونه وتحسبون به وأصبحت كلمتهم لا تخرج عن حد المشورة ولا اريد الحوادث فاخبركم بما سيكون في القريب العاجل

والخلاصة في هذا الباب أن مصر الآن من الوجهة لداخلية أصبحت أمورها بيد ابنائها وانما استصح في القريب العاجل ذات نظام دستوري على أحدث النظم المصرية

ولم يبق علينا الا أن نقنع انجلترا أن ليس بها من حاجة الى التمسك بالضمانات التي تريد الاحتفاظ بها فتخطو بريطانيا العظمى خطوة أخرى بالاكتفاء بما لا يتناقى منها مع استقلالنا الشرعي

أيها السادة : ليس لدينا وسيلة لتأييد ما نذهب اليه اكبر من تعلقنا باهداب السكينة والتزامنا الهدوء وأخذنا باسباب النظام فان حججهم الكبرى في ما يبدونه من رغبة في الضمانات هي شدة حذرهم على مصالحهم وخوفهم عليها وعدم اطمئنانهم في تركها لمهدتها فاذا قضينا على عوامل الفتنة والاضطراب وجعلنا التزام السكينة رائدنا فأننا نعلم هذا السلاح بأيديهم وبدفع حججهم علينا ولا مشاحة في أن كل من يعمل على تمكير السلام أو اثاره الاضطراب مجرم في حق وطنه عامل على هدم كيانه

علي أن خصوصنا السياسيين لا يرون اننا فعلنا شيئاً أو أن الوثائق الجديدة تحوي أمراً جديداً وأذ الغاء الحماية وعلان الاستقلال وتبليغه للدول واعتراف هذه الدول به وادخال النظام النيابي الكامل وتقرير

مبدأ مسئولية الوزارة أمام البرلمان كل هذا لا يهمل - كما ذكرنا في
في نظر بعض الناس متى جاء على وجه خصوص مهم
لاغرابة في ذلك فان للاعتبارات الشخصية عند البعض مقاما قويا
كل مقام . تقولوا علينا الاقاويل وأذاعوا عنا ما أذاعوا في منزل السيد
وعرضها وزعموا أن الوزارة ستعرض لحرية الانتخابات وان البرلمان
سيكون العوبة في يدها . من أين أتاهم علم الغيب ومن أين جاءهم أنها
ستعمل ذلك وأية مصلحة لها في أن لا تتعرف من الامة الا رأيا فاسداً
لا يتفق ورأيها الصحيح

لقد نسوا انهم بهذا يرمون أمتهم بأقبح التهم وينسبون اليها أنها
تنقاد كالانعام وتستسلم استلاماً أعمى للحكام حتي فيما يعود على الوطن
بالتلف والمذلة

لقد نسوا أو تناسوا أيها السادة أننا أشخاص زائلون واننا لن
نبقى متربعين في دست الاحكام الا برهة من الزمن ثم نخلي السبيل للغير
أما النظام الدستوري فهو نظام ثابت دائم وهو أتم ما وصل اليه الناس
الي اليوم لتمثيل الامة أحسن تمثيل وللإشراف على الحكم بأهمها . سنذهب
نحن أما النظام فسيفتي وعجيب ان رجالا يتولون الحكم زمناً قصيراً
يعملون على تحقيق مثل هذا النظام الصالح لكي يجعلوه أداة في يدهم
وسلاحاً يشهرونه في وجه خصومهم

أيها السادة لن تكون الانتخابات مرة مكتوما فستشركون جميعكم
فيها بل يشترك فيها كل مصري له حق الانتخاب وستذيع أخبارها
وتتناقلها الافواه وسترون بأنفسكم أن الحكومة بريئة مما يتهمونها به
وان هذه التهم وليدة الظن الاثم

انني أعتقد أن تحقيق النظام البرلماني 'صحيفة فخار' - ولو ان
الفخر كله في الامة واليهما - فلن يبلغ بنا سوء الرأي الى تسويد هذه
الصحيفة بمثل ما ينسبون اليها من التداخل المعيب فلا تصفوا أيها
السادة الى ما يقولون ويميدون واحكموا بما سترون لا بما تسمعون
هواني أجاهر لكم وهل وأتم في حاجة الى مثل هذه المجاهرة بأن
الانتخابات ستكون حرة بعيدة عن عوامل التأبير وافساد الضمائر

كذلك أخذ خصومنا علينا عدم الغاء الاحكام العرفية حالا
نم ان الغاء الاحكام العرفية لم يصبح أمراً مرهوناً بإرادة السلطة
المسكرية وهو اليوم بيد الحكومة المصرية من حيث المبدأ ولكن
الشروط التي لا يشك أحد في وجوبها لالغاء تلك الاحكام لا تتحقق
بين عمضة عين وانتباهتها ، يعلمون ذلك ولكنهم يغالطون ويشوهون
الواقع في أمر قانون التضمينات للتذرع بذلك في اتهام الوزارة في
اخلاصها وصدق نواياها

تعلمون حضراتكم انه في سنوات الحرب وبعدها صدرت تشريعات
مهمة استمدت فيها سلطة القائد العام لجعلها سارية على الاجانب حينما
كان الالتجاء الى الطرق العادية في اصدار القوانين غير ميسوراً ومقروناً
بالصعوبات أو محتمل البطء في أمور تقضى بالاستعجال كضريبة الخنزير
وقانون أجور المباني وايقاف سريان المدد والمواعيد القانونية وكالمنظمات
المتعلقة بأشخاص الاعداء وأمواهم وتنفيذ معاهدات الصلح

كذلك منعت المحاكم الاهلية والمختلطة لاسباب مختلفة من نظر
مسائل داخلية في اختصاصها أو يجوز اعتبارها كذلك لتتولاها محاكم
عسكرية أو لجان أو غير ذلك من الهيئات وصدرت في هذه المسائل

أحكام وقرارات وبنى على أساسها حقوق وامتيازات ثم صدرت ~~القرارات~~
أوامر إدارية وتدابير تتعلق بالأمن أو النظام العام
وتعلمون حضراتكم أن كل ذلك حصل وأن السلطة العسكرية
امتزكت في أعمال التشريع والقضاء والإدارة العادية لتبسط بسبب
الامتيازات الأجنبية وبسبب الحرب هذا فضلا عن المركز الخاص الذي
تتبع لها بسبب معاهدات الصلح فأصبحت أشبه بنظام طارى بالرغم من
أن الأحكام العرفية بطبيعتها أداة استثنائية

تعملون ذلك حضراتكم ولا تجهلون أن كل ما بني على هذا النظام
يجب أن ينهار إذا زال أساسه وأنه إذا ألغيت الأحكام العرفية سقطت
كل التشريعات التي اتخذت بمقتضاها وأصبح من الممكن أن تنقض كل
الحقوق المدنية التي بنيت على أحكام السلطة وأوامرها بل أن يفتح
على السلطة أبواب مسؤولية واسعة

ليس منا من لا يرغب في إلغاء الأحكام العرفية وبلا تأخير ولكن
كل السان يشعر بأننا لا يمكننا إلغاؤها دون إقرار التصرفات الماضية
ولا عبرة بما يراه غير المسؤولين الذين يرون أنه يكفي أن نطلب فنجاب
عرف الناس ذلك وسمعوا أنه يجب إصدار قانون لإقرار التصرفات
الماضية فقال بعضهم إنما أريد به تقرير الحماية وتنظيم أحكامها وهم
يعلمون أن ذلك القانون لا يخرج أمره عن أن يكون تصفية للماضي
ولا علاقة له مطلقا بالنظام المستقبل فانقطة التضمينات هي التي أفسحت
المجال للمضللين أن يذهبوا إلى التأويل ما شاءوا وحقيقة الأمر أن
ذلك القانون يسمى بالإنجليزية Bill of Indemnity ومعناه الصحيح
القانون الذي يقيل من المسؤولية ويرفعها

على ان بعض من يشكون من وجود الاحكام العرفية ويطالبون
بإلغائها يعملون في الوقت نفسه على عرقلة مساعي الحكومة في ذلك وقد
وعدت هذه الوزارة بأنها اعتماداً على حسن موقف الامة ستسعي في
الحصول على الرجوع فيما اتخذ من التدابير المقيدة للحرية طبقاً للاحكام
العرفية ولكن الذين لا يراعون حرمة يرضون على الفتنة ويشجعون
الرعاع على الاخلال بالنظام وأعمال التهيج والارهاب (أترون في ذلك
شيئاً من الخير للبلاد) ولكن هذه الحكومة لن تري مانماً من القيام
بواجبها وستمضي أعمالها بما تمليه عليها ذمتها وضميرها ولا تلتقي بالا
لهذه الحركات التي لم يقصد بها وجه الله ومصالحة الوطن حتى اذا فرغت
من عملها وتقدمت به الى الامة أدرك كل باغ أن صفحتها بيضاء وان
اخلاصها عظيم

هذا ما أردت أن أقوله لكم في هذا المقام ولكني قبل الختام
وبمناسبة ما ذكره حضرة صديقنا شيخ المحامين وكبيرهم ابراهيم بك
الهلبياوي (وكأني به قد خشي أن تثني عزائنا لما نلقاه من المعارضة)
لا أرى بداً من أن أطمئنه وأن أوجه أنظاركم أيها السادة الى انني لا أكره
المعارضة بل اذا انعدمت هذه المعارضة فاني أصمل على خلقها لما لها
من نفع وقائدة في الوصول الى الحقيقة وتمحيص كل أمر على أكمل وجه
ولكني أريد المعارضة الشريفة التي تترفع عن الاعتبارات الشخصية
ولا تنزل الى اختلاق الاكاذيب والعمل على النيل من الخصم بكل
وسيلة والنظر الى كل عمل من أعماله بمنظار البغضاء والعداوة انني أريد
الخصومة الشريفة التي لا تنظر الا لمصلحة الوطن وخير البلد وتدرس
كل أمر لذاته مجرداً عن كل اعتبار شخصي هذه الخصومة الشريفة

تفتخر بجزويتها وأمد يدي الصالحين أما تلك الخصومة الحقة التي
على الناس سبيل آرائهم وتزدى بأقدارهم وترجمهم في الطرقات وتعمل
على اضطهادهم مادياً وأديباً عقاباً لهم على رأى أو قول تلك الخصومة
الجمتاء المجرمة التي ترعم أمها تعمل هذا باسم الحرية ودفاط عن الحرية
فتمتق بذلك القول المشهور (أيتها الحرية كم من الجرائم ترتكب باسمك)
تلك الممارسة المجرمة يجب علينا جميعاً مكافئتها الى النهاية لأنها نكبة
على بلدنا هض وسأجد من عونكم ما يميننى على الوقوف في وجهها
أيها السادة متى فتح البرلمان المصرى أبوابه فسنقوم منا أحزاب
وشيخ تبعاً لاختلاف الآراء وتعدد وجهات النظر وسيعمل كل حزب
على خدمة الوطن بالسبيل التي يراها أقوم السبل أما اليوم فانا جميعاً
سواء أمام المطلب الاسمي للامة واذا كنا في وقت من أوقات تاريخنا
في حاجة الى الاتحاد فانما هو هذا الوقت الذي نرجو فيه أن نسمي في
ازالة ما يحول بيننا وبين التمتع الكامل باستقلالنا
فأنا أنادي الامة باسم الوطن ومصالحته بضم صفوفنا وتناسى
الماضي وليكن كلنا حرباً واحداً في خدمة بلادنا
والله المسئول أن يعرب اليوم الذي تتحقق فيه جميع آمالنا في ظل
حضرة صاحب الجلالة ملك مصر أطال الله ملكه وأدام عزه

حديث ثروت باشا

عن السودان

مع مكاتب الاهرام

في ٢٢ مايو سنة ١٩٢٢

تفضل صاحب الدولة رئيس الوزارة بالجواب على الاسئلة التي
التيناها بخصوص السودان وهذا نص الحديث :

(س) لفظ الناس كثيراً في مسألة السودان في العهد الأخير
~~بأنها مسألة سودانية بحتة~~ ~~بأنها مسألة سودانية بحتة~~ ~~بأنها مسألة سودانية بحتة~~
بأنها مسألة سودانية بحتة ~~بأنها مسألة سودانية بحتة~~
بالنسبة لمصر ؟

(ج) تذكر ان مسألة السودان من المسائل المحتفظ بها
للمفاوضات المقبلة كما ورد ذلك في كتاب المندوب السامي البريطاني الى
جلالة الملك في ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ولكن ليس معنى الاحتفاظ
بمسألة لئلا يكون للحكومة المصرية رأى فيها ومذهب
تدافع عنه وتسعى لتحقيقه وغير صحيح ان الحكومة لم تبد رأياً
في مركز السودان بالنسبة لمصر فان برنامج الوزارة كان بهذه العبارة
« لم يكن لزملائي ولى » ونحن نشاطر الامة أمانتها في الاستقلال الا
أن تقر الوفد الرسمي على ما فعل « ولم ينب عن ذهن أحد أن الوفد
أشار في الرد الذي أرسله الى الاورد كرزون الى مذهب في علاقة مصر

بالسودان وقال في ذلك « أما مسألة السودان التي لم يكن قد تناولها البحث فلا بد لنا فيها من توجيه النظر الى أن النصوص الخاصة بها لا يمكن التسليم بها من جانبنا . فان هذه النصوص لا تكفل لمصر المجتمع بما لها على تلك البلاد من حق السيادة الذي لا نزاع فيه وحق السيطرة على مياه النيل

وليس معنى اقرار الوفد الرسمي على ما فعل الا أن الوزارة أخذت بعذبه في المسائل المختلفة التي تمرض لها في الرد ومنها مسألة السودان فرأى الحكومة في السودان رأى غير مكتوم . واذا لم يكن الدين ينتقدون على الحكومة عدم ابداء رأيها في السودان قد تذهبوا الى هذا الرأي فليس ذلك من ذنب الحكومة .

(س) ولكن ماهو رأى الحكومة إزاء ما يروونه من احتمال تغيير حالة السودان قبل الوصول الى المفاوضات . وهل هي تنوى السكوت على هذه الحالة الجديدة؟

(ج) احتفظت الحكومة الانجليزية بمسألة السودان كما احتفظت بغيرها من المسائل وأشارت الى أن معنى ذلك الاحتفاظ هو أن هذه المسائل تبنى على ما كانت عليه حتى يجيء دور المفاوضات فلا محل لتوقع أى تغيير في حالة السودان قبل ذلك الدور وما دامت المفاوضات ستجرى حرة حالية من كل قيد فكل ركن من أركان المسألة سيتناوله البحث والتمحيص .

ولقد جرى لى مع فخامة المدوب السامي البريطاني حديث في هذا الشأن وكنا على اتفاق انه مهما كانت نظرية كل فريق فانه لن يحدث من أحد الجانبين أى تغيير في حالة السودان أو بت في شأنه .

بل يجب بقاء التقديم على قدمه حتى يحنى دور المفاوضات بين الحكومتين المصرية والانكليزية . وقد صرحت الحكومة الانكليزية بذلك أخيراً في مجلس الدواب البريطانى بلسان أحد وزرائها . وعلى ذلك فلا محل لأثارة البحث في هذا الموضوع الآن

وعندي ان مسألة السودان مسألة متشعبة الوجوه ومن مصلحة القضية المصرية أن يكون البحث فيها هاملاً لجميع أطرافها في وقت واحد وهذا لا يتيسر الا وقت المفاوضات حيث تلتقى الوجهتان المصرية والانكليزية بصفة تامة واضحة . وأرجو أن لا يتعذر اذ ذاك الوصول الى حل مرض . ثم أن لهذه المسألة كما لغيرها من المسائل المحتفظ بها من الاهمية الكبرى والدقة ما يقضى باشراف الهيئة النيابية على المفاوضات بشأنها .

خطبة ثروت باشا في لجنة الدستور

حضرة صاحب الدولة

وحضرات الاعضاء المحترمين

انى باسم حكومة جلالة الملك المعظم فؤاد الاول أحييكم في هذا الاجتماع الذي هو أول اجتماع للجنةكم الموقرة كما أحيي فيكم الغيرة الوطنية والرغبة الصادقة في خدمة بلادكم العزيزة اذ قبلتم ان تشاركوا الحكومة في مهمة وضع مشروع الدستور للمملكة المصرية بعد اعلان استقلالها

ان الحكومة ايها السادة تقدر كل التقدير خطورة المهمة التي وكلت اليها من جانب ملك البلاد وتعلم حق العلم عظيم مسئوليتها عن حسن القيام بها امام ضميرها وامام الامة والتاريخ كذلك تعلم ان مهمة وضع دستور للبلاد لا يكفى في اداؤها على الوجه الصالح أن ينقل ما وضع لغيرها من البلاد بغير تمحيص وتدقيق بل يجب أن تلاحظ في تقرير احكام هذا الدستور تقاليد البلاد المحلية وعاداتها ومختلف الاعتبارات الاجتماعية فيها وان يستفاد في وضع نصوصه من تجارب الامم الاخرى كذلك أيها السادة لم تتردد الحكومة منذ طلبت اليها القيام بهذه المهمة في أن لا تستأثر في اداؤها برأيها وأن لا تكتمني في ذلك بما لرجالها من الخبرة الخاصة بحالة البلد وبالانظمة العامة . بل صحت

أخذ بها فيتضح لهم أنها لم تكن متحيزة أو صادرة عن غرض أو هوى أو أن ترفضها فيقولوا قد أراءوا ضائراً والحساب بعد ذلك بيد الامة لا أخرى مقدار ارتباط هذا الرفض بالحركة التي روجت منذ أيام الدعوة الى عقد جمعية وطنية وما اذا كانت سبباً أو نتيجة ~~لذلك~~ ذلك لا يعني الآن وإنما يعني تحييص هذه الآراء خصوصاً وان تلك الدعوة كان ينطوي فيها شيء ليس بالليل من سوء الظن بالحكومة وتهمتها في اخلاصها اني أترك جانباً ذلك الفريق الذي يدأب على تحدى الحكومة ومناواتها واقامة المراقيل في وجهها مهما ~~كان ذلك على~~ من الشر والوبال

أما الفريق الثاني فإنه يحكم على الاشياء حكماً نظرياً صرفاً ويخطيء تطبيق النظريات على الواقع اولئك هم الذين ~~يروموا~~ الا على يد جمعية وطنية وانه لا يصح دستور الا اذا كان كذلك - علمنا أن القوانين الدستورية وتوارثتها ومبادئها معروفة ومنتشرة بين جميع الناس وفي وسع كل انسان أن يرجع اليها ليعرف مقدار نصيب تلك النظريات من الصحة ويمكنني أن أقول لحضراتكم أن الأمر في وضع القوانين الدستورية ليس على ما يذكرون فإن كثيراً من البلاد الاوروبية وغير الاوربية لم تكن قوانينها الدستورية وليدة جمعية وطنية وأذكر على سبيل الاستدلال تلك الامة العظيمة التي قطعت شوطاً كبيراً في سبيل الحضارة والمدنية وأعني بها الامة اليابانية وهي تلك البلاد التي أصبحت في مركز لا أريد أن أغالي فأقول أن أمم أوروبا تحسدها عليه ولكن مركزها على كل حال مما تغبط عليه ~~أهل~~ أوروبا فإن بعضها كان الدستور فيها من عمل جمعية وطنية ولكنها الاقل عدداً

السبب في تولي الجمعية الوطنية هذا العمل يرجع الى ظروف استثنائية خاصة كالثورة أو زوال السلطة الشرعية فيها وحلول سلطة مؤقتة عليها أما الأمم الأخرى فقد سادت في وضع دساتيرها على الطريق العادي دساتيرها من مالوكها وأذكر على سبيل المثال إيطاليا والنمسا والبرتغال وتركيا .

فيجب أن لا يغيب عن أذهان أولئك القائلين بنظرية الجمعية الوطنية تلك الفروق بيننا وبين من اضطرتهم أحوالهم الاستثنائية الى الإتيان بالجمعية وطنية لوضع نظام حكوماتهم إذ اننا والله الحمد لسنا في حالة من تلك الاحوال

على انه فيما يتعلق بمصر يجب لأجل تعيين السلطة التي تتولى وضع الدستور الرجوع الى قانوننا العام وقد جرى الأمر فيه على أن تصدر القوانين النظامية من ولي الأمر سواء كان ذلك في انشاء مجلس الوزراء وهو أول حجر وضع في بليان النظام الديمقراطي في مصر أو ما في تلا ذلك من النظم البيانية التي أوجدت نوعاً من الاشتراك بين الأمة والحكومة وهي قانون مجلس شوري النواب وقانون مجلس شوري القوانين والجمعية العمومية والقانون الذي انشأ الجمعية التشريعية واذا كان قانون سنة ١٨٨٢ قد شذ عن هذا القياس فان ذلك يرجع الى أنه في ذلك العهد كانت ثورة على العرش دعت الى اعتصاب وضع الدستور من صاحب السلطة في وضعه وهذا ما يؤيد ما نذهب اليه من أن وضع الدستور بطريق ولي الأمر ليس فيه افتيات على حقوق الأمة أو خروج عن القواعد المألوفة

قد يقول قائل اذالم يكن الدستور من وضع جمعية وطنية فان في وسع

ولى الامر أن يسترده في أي يوم من الايام وهو قول لا يقول به الا كل رجل يجهل مبادئ القانون الحديث وتطوراته لأنه مهما يكن من طريقة وضع الدستور واصداره فان استرداده بعد ذلك محال اذا أنه بمجرد صدوره يصبح حقاً مكتسباً للأمة

انهم يقولون ان الجمعية الوطنية هي الوسيلة الوحيدة للوقوف على رغبات الامة وحاجاتها . وأخشى أن أقول في هذا انه حق يراد به باطل ذلك لانه حتى مع التسليم جديلاً بأن المبادئ العامة في مصر تسمح بأن مثل هذا العمل تتولاه جمعية وطنية فان هناك أشخاص يعملون منذ زمن على ترويح سوء الظن بالحكومة وعلى التقليل من أهمية ماوصلت اليه البلاد وعلى الشكيك في ما نحن قادمون عليه بحيث اذا اجتمعت جمعية وطنية سادت فيها تلك الآراء والنزعات وانقلب العمل فيها الى معارضة وتهويش وتعطيل تمتنع معه كل نتيجة صالحة بل يخشى أن ينقلب وبالا على البلاد ذلك انه بالرغم من أن البلاد نالت فوزاً عظيماً باعلان استقلالها واعتراف الدول به الا أن المسألة المصرية لم تسو بعد تسوية تامة نهائية اذ لا يزال أمامنا مفاوضات يجب أن تمكن مصر من الوصول الى دورها موفورة القوة تامة النظام لم تفسد عليها عوامل الشر والفوضى آمال النجاح فيها

يدعون اننا بعمانا هذا نرمي الامة بالعجز والقصور عن تقدير مصلحتها فالله يعلم اننا نجل أمتنا كل الاجلال ونضعها فوق كل اعتبار وان هذا نفسه هو الذي يدعوننا أن نقيها في هذه الآونة الدقيقة من عوامل الفساد ودواعي التضليل . ولعمري لأن تتم تهمة سيتجلى وجه الحق فيها بعد قليل خير لنا من أن نترك البلاد تسود فيها الفوضى

ويجري الشعب فيها مجراه فأن المهمة اذا اصطدمت بالواقع المحسوس
زائلة ولكن اضرار الشعب والفوضى هائلة وآثارها باقية
وأريد هنا أن أساءل عن قيمة المخاوف والشكوك التي يريد
بعضهم أن ينشرها بين الناس ويحيط بها عمل الحكومة واللجنة
يزعمون اننا نخشى الجمعية الوطنية لأنها لو دعيت للاجتماع لاتخذت
من القرارات مالا يتفق مع ميول الحكومة نريد بالاقصصار على تأليف
لجنة أن تتحكم في النظام الدستوري وأن تحول بين الامة وبين ابداء
رغباتها وأقول ان بننا وبين الامة عهداً يحدد جوهر ما يختلف فيه
الآن لنا برنامج قطعنا فيه على أنفسنا اننا سنراعى في الدستور الذي
نضعه أحدث مبادئ القانون العام وعلى الاخص المسؤولية الوزارية
أمام البرلمان أترى يشكون في مبادئ القانون العام الحديث نفسها أم
يجهلون أن مبدأ المسؤولية الوزارية هو محور النظام الدستوري
وجوهره ولبابه والأمان الكافي ضد خروج السلطات عن حدودها
والاساس الصالح للتعاون بين الامة والحكومة أو يجهلون أن ما خلا
هذا المبدأ لا يبلغ أهميته ان هذا المبدأ ضابط لاحكام الدستور نفسه
قالوا أن وضع الدستور بهذه الطريقة لن يجعل للامة سبيلا الى
تغيير شيء من أحكامه على انى لا أدري مبلغ هذا التكهن من الصحة
فأن ما أعلمه عن القواعد الدستورية وهي التي أشرت اليها في برنامج
الوزارة أن الدستور يشتمل عادة على نص يحتفظ به بسبيل يكون من
حق للامة مشخصة في ادخال ما يري ضرورة ادخاله من التعديلات ...
سيرى الناس اذا انتظروا قليلا أن محاولة عرقلة الحكومة في أعمالها
لم يكن من مصلحة البلاد في شيء وان الحكومة ماتوخت ولن تتوخي

شيئا غير مصلحة الوطن القائمة التي تتلشى أمامها الاعراض الزائلة
والاوهام الباطلة

سيري الناس يوم يصبح الدستور حقيقة واقعة بأن التهمة التي
وجهت للحكومة غير صادقة أن يرون أنفسهم امام نظام يسمح للارادة
العامة بأن يكون لها مظهر حقيقي وأثر فعلى فى تصرف الاعمال العامة
وفي كل شيء يتعلق بمستقبل البلاد

قالوا ائنا خرجنا عن برنامج وزارة عدلى باشا الذي كنا متضامنين
معه فيه . ولكنهم نسوا أو تناسوا أن مهمة الجمعية الوطنية بحسب
ذلك البرنامج لم تكن فى الأصل وضع دستور للبلاد وإنما كانت مهمتها
النظر فى الاتفاق الذي تألفت وزارة عدلى باشا للمفاوضات فيه ثم وضع
الدستور المبني على نصوص هذا الاتفاق بعد ذلك

ظلمتان لا تقبلان التجزئة وكان يجب على الجمعية اذا هي أقرت
الاتفاق أن تراعى فى وضع الدستور ما يكون قد تضمنه من الشروط
والقيود أما اليوم فان وضع الدستور متقدم على الاتفاق وإذا كان
لا يبنى عليه فانه يجب على أي حال أن لا يسد الطريق للوصول اليه .

هذه هي الحقائق التي أردت أن أبسطها امام حضراتكم وان
ماتعرفه الحكومة فى حضراتكم من الكفاءة والكفاية لهذا العمل
أحسن ضمان لان يكون عملكم خير مرشد وهاد الى رغبات البلاد
وحاجاتها

ولا أريد أن أختم كلامى بغير اشارة الى التضحية الكبيرة التي
قدمها حضرة صاحب الدولة رشدي باشا بقبول الاشتراك فى عمل
هذه اللجنة ولا أخنى على حضراتكم أن فكرة اسناد الرئاسة لدولته

أقد حطرت مراراً على بالى من أول يوم فكرت فيه الحكومة في
تأليف اللجنة

ولكن علمنا بتقدير ما يبذله من نفسه وصحته في أداء الواجب
الذي يدعو اليه للوطن ومصالحته وحبنا لشخصه ورغبتنا في تمتعه
بالصحة التامة كل ذلك جعلنا نتردد عن مخاطبته في الامر .

غير انى لما خاطبت بعد ذلك أحدا من حضراتكم الا وسألنى عما
إذا كان رشدى باشا مشتركاً في عمل اللجنة وأظهر رغبته في أن يراه
على رأسها فلم أجد بداً أمام هذا الاجماع من ايصال هذه الرغبة
الى علمه

فتقدم كعادته الى الخدمة الوطنية غير ملتفت الى ما يكلفه ذلك من
تحميل صحته هذه المتاعب الجديدة ولكنه اشترط شرطاً لم يكن في
وسعى قبوله وتركته لدولته الحرية في أن يقدمه بنفسه لحضراتكم
تتصرفوا قية كما تريدون وأختم القول بتكرار التوعية لحضراتكم
توجيه الرجاء الى المولى عز وجل أن يلهمكم السداد وأن يوفقنا جميعاً
لى ما فيه الخير للبلاد

شروط ثروت باشا لتأليف الوزارة

(نقلا عن مقطم ٣١ يناير سنة ١٩٢٢)

- أولاً - عدم قبول مشروع كررون والمذكرة التفسيرية
- ثانياً - تصريح الحكومة البريطانية بإلغاء الحماية والاعتراف باستقلال مصر قبل الدخول في كل مفاوضة
- ثالثاً - إيجاد وزارة خارجية مصرية وتمثيل خارجي من تعيين سفراء وقناصل
- رابعاً - إيجاد برلمان مشكل من هيتين احدهما مجلس نواب والاخرى مجلس شيوخ، ويكون للبرلمان المذكور السلطة التامة على أعمال الحكومة وتكون الوزارة مسؤولة أمامه
- خامساً - اطلاق يد الوزارة بلا مشاركة في جميع أعمال الحكومة تمكيناً للوزارة من تحمل مسؤولية الحكم أمام البرلمان
- سادساً - ألا يكون للمستشارين في الوزارات الا رأى استشاري وأن يبطل مالمستشارين الآن من الحق في حضور جلسات مجلس الوزراء
- سابعاً - حذف وظائف المستشارين في القريب العاجل ماعدا وظيفتي مستشاري الحفانية والمالية فانهما تبقيان الى ما بعد ظهور نتيجة المفاوضات الجديدة

ثامناً - استبدال الموظفين الاجانب بموظفين مصريين وأخذ
 العدة لذلك من الآن ولعميتن وكلاء مصريين على الفور لجميع الوزارات
 وعم وكيل للمالية ووكيل للخارجية ووكيل للمواصلات ووكيل للاشغال
 العمومية ووكيل للداخلية ووكيل آخر للداخلية في الصحة

تاسماً - رفع الاحكام العسكرية ووعده الوزارة اعتماداً على حسن
 موقف الامة بالسعي في سحب ما اتخذ من الاجراءات بمقتضى الاحكام
 العرفية ومن جهة ذلك فك اعتقال المعتقلين المصريين حينما كانوا

حاشراً - الدخول في مفاوضات جديدة - بعد تشكيل البرلمان
 المصرى - مع الحكومة البريطانية بواسطة هيئة مصرية يشرف البرلمان
 المصرى نفسه على تعيينها للنظر في مسألة السودان وفيما لا ينافي استقلال
 البلاد من الضمانات التى تطلبها الحكومة البريطانية تأميناً لمصالح
 الامبراطورية البريطانية ومصالح الاجانب في مصر وذلك كله على شرط
 أن تكون هذه المفاوضات غير مقيدة بشرط أو قيد من القيود
 والشروط المبينة في مشروع كرزون

وبعد الانتهاء من هذه المفاوضات يكون القول الفصل في نتيجتها
 للامة المصرية المشخصة في برلمانها .

الفهرست

صفحة	
٣	المقدمة
	الفصل الاول
٧	مشروع كرزون والمذكرة الايضاحية
	الفصل الثاني
٤٨	التصريح لمصر
	الفصل الثالث
١٣٥	الحالة الحاضرة — واجب الامة في موقفها الحالي
	الفصل الرابع
١٨٥	مناقب ثروت باشا
٢٣٣	مشروع ملنر
٢٣٩	مشروع كرزون
٢٤٦	المذكرة التفسيرية
٢٥٥	رد الوفد الرسمي
٢٥٩	الوثيقتان الجديدتان
٢٦٣	تصريح لمصر
٢٦٥	تأليف الوزارة الجديدة
٢٦٦	برنامج الوزارة

تابع القهرست

٤٤

- | | | | | | |
|-----|-----|-----|-----|-----|--|
| ٢٧٠ | ... | ... | ... | ... | خطب ثروت باشا في وفود المهنتين |
| ٢٧٣ | ... | ... | ... | ... | خطبة صاحب الدولة ثروت باشا في مأدبة الكونتنتال |
| ٢٨٧ | ... | ... | ... | ... | حديث ثروت باشا عن السودان |
| ٢٩٠ | ... | ... | ... | ... | خطبة ثروت باشا في لجنة الدستور |
| ٢٩٨ | ... | ... | ... | ... | هروط ثروت باشا لتأليف الوزارة |